كتابي 52

سومرست موم

# أرواح هائمة

Looloo
www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة

# أرواح هائمة

(نيل ماك آدم)

Looloo
www.dvd4arab.com

# «سومرست موم» وهذه القصص الثلاث!

ليس من شـــك فى أن انســـحاب « سومرست موم » من مجال الإنتاج الأدبى ســـيخلف فراغا كبيرا . إذ أن « موم » تفرد بأسلوب معين ، ونوع من القصص ، وطريقة لعـــرض الأحداث وإيراد الحوار فى رواياته ، من العسير أن تجتمع كلها معا فى إنتاج كاتب ما .. كما أن أسفاره ورحلاته ، مكنته من أن ينقل قصصه بين مختلف الأجواء والأصقاع ، بحيث لا يمل القارىء الوفى له ، الذى يحرص على أن يقرأ له كل ما ينتج .. وليس يعزى مثل هذا القارىء سوى أن « سومرست » قـــد أنتج فى أعوام النشـــاط من حياته الأدبية ، إنتـــاجا غزيرا ، وثروة قصصية طائلة : من روايات، وقصص طويلة، وقصص قصيرة ، ومسرحيات .. ولم يدع ركنا فى عـــالم القصـــة إلا ارتاده : فمن قصص عاطفية ، إلى جريمة ، إلى قصـــص وصفية وتصويرية ، إلى مشكلات اجتماعية ، إلى تحليلات نفسية دقيقة . وكثيرا ما كان يجمع لونين أو ثلاثة أو أكثر من هذه الألوان فى القصة الواحدة .. ولعلك قد لمست هـــذه البراعة فيما قدمه لك « كتابى » من ملخصات لقصص « موم » ومسرحياته ، وفى قصة « الخاطئة » التى قدمتها لك «مطبوعات كتابى » فى رابع أعدادها .

## نحو آفاق جديدة ..

ومناسبة اعتزال « موم » الإنتـــاج ، فرصة خليقة بأن تتطلب تقديم بعض تحفه الرائعة لك ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ولكن اختيار التحف الجديرة بمثل هذه المناسبة ، لم يكن بالمهمة الميسورة .. فما أكثر ما أنتجته المطابع العربيـــة من روايات « موم » وقصصه . ومع أن ما ترجم منها ترجمـــة كاملة ، أمينة ـــ لم تمتد إليها يد التحريف أو الاختصار ـــ قلة ضئيلة ، إلا أن اختيار المادة التى تجدها بين يديك ـــ فى هـــذا العدد من « مطبوعات كتابى » ـــ كان يتطلب البحث عن أنواع جديدة ، متباينة ، تتيح لك تنويعا يدخـــل شيئا من الجـــدة والطرافة على ما تقرؤه من مواد قصصية فى العادة .

وكان أول عوامل الجدة والطرافة ، هو الانتقال من الأجواء القصصية التى ألفتها وعرفتها ، إلى أجواء جديدة لم يســـبق لك أن ارتدتها ، أو أن صلتك بها حديثة ، لم تتجاوز بعـــد مجرد الاستطلاع الذى يقف بك عند الحواف ، دون إيغال أو تعمق .. وهنا قفزت إلى الذهن بقاع الشرق الأقصى : حوض المحيط الهادى ، والجزر العديدة المتناثرة بين الساحل الآسيوى الشرقى وقارة استراليا ، وجنوب شرقى آسيا .. فلقد ارتاد « موم » هذه البقاع فى أسفاره العديدة ، وخـــلال عمله فى « المخابرات السرية البريطانية » .. وفى هذه أو تلك ، كانت حاسته ـــ كأديب وقصصى يسعى إلى التعمق والبحث قبـــل أن يسعى إلى تشويق القارىء وإمتاعه وتسليته ـــ تطغى على كل اعتبار .

وإذ تم اختيـــار مسرح الوقائع ، برزت من بين إنتـــاج « سومرست موم » ثلاث مجموعات ضم فيها أروع ما كتب عن تلك الأصـــقاع .. وقد ضمت هذه المجموعات أربع عشرة



قصة ، بين طويلة وقصيرة . ولكن أيا من هذه القصص لا تكفى لأن تملأ صفحات عدد كامل من « مطبوعات كتـــابى » .. وبعملية حسابية صغيرة ، تبين أن لا بد للعدد من ثلاث قصص، فهل تختار القصص الثلاث من بين الأربع عشرة قصة ، دون مراعاة لتقسيمها بين المجلدات الثلاثة ؟ .. أو تختار بحيث تمثل كل قصة منها مجموعة من هذه المجموعات ؟

وكان لا بد من قراءة القصص الأربع عشرة لاختيار الثلاث المنشودات ، وإذا القراءة تجيب عن ذلك التساؤل ، وتحدد أفضل ثلاث قصص فى تلك المجلدات .. وإذا كل قصة تمثل فعلا مجموعة من المجموعات الثلاث .. من تلقاء ذاتها ، دون تعمد أو تحيز !

## وهكذا اختيرت القصص الثلاث !

وهكذا اختيرت القصص الثلاث التى يضمها هذا العـــدد من « مطبوعات كتابى » .. اختيرت وفقا لعوامل أهمها :

١ ـــ جدة الميدان الذى تدور فيه : ومدى ما أورده « موم » من تفصيلات وصفية تمكنك من أن تزيد معلوماتك العامة . فإن القصة يجب ألا تكون مادة للتسلية وقضاء الوقت فحسب، وإنما يجب أن تكون ـــ كذلك ـــ وسيلة لتنمية الثقافة والمدارك.

٢ ـــ طرافة المادة : فقد اعتـــدنا أن تدور القصص حول الحب والغرام ، حتى أخذ الكتاب يكررون موضوعاتهم مع تلوين فى العرض والأسلوب والحبكة ، وحتى ضاق القراء بهذا التكرار الممل .. وهنا تظهر عبقـــرية « مـــوم » فى ابتكار

www.dvd4arab.com

موضوعات قصصه .. حتى القصة التى تدور حول الحب ، اختار لها فكرة طريفة ، وعرضا يمكن أن يكون من مظاهر الطابع الفردى لموم كقصاص !

٣ ــ الشفافية : وهــذا تعبير قد يبدو غريبا فى هــذا السياق ، ولكن هذه القصص ــ فى الواقع ــ تشف حقا عن أفكار الكاتب ، وعن أسلوبه ، وعن فنه القصــصى .. ثم ــ وقبــل كل شىء ــ عن روح الكاتب وشخصــيته . فإن لسومرست موم أن يفخــر بأن روح الكاتب فيه تطغى على ما عداها . والكاتب القصصى الصادق ، هو الذى يعكس فى قصصه الحقائق بصدق لا اصطناع فيه ولا تزييف . وقد حرص « سومرست موم » ــ فى القصص التى نقدمها هنا ــ على أن يصور الحياة فى البلاد التى قضى عليها أن تكون ضحايا للجشع البريطانى .. فى المستعمرات . أو بالأحرى ، حرص « موم » على أن يصور حياة « البيض » المستعمرين فى تلك البلاد التى احتلوها وراحوا يمتصون خيراتها باسم حمل أضواء «الحضارة» و « المدنية » إليها .. وكانت شخصيته الخاصة كانجليزى وموظف فى « المخابرات السرية » ــ لفترة من الزمن ــ تحاول أن تطغى على قلمه ، ولكن شخصيته ككاتب نزيه ، عف ، كانت لا تلبث أن تتغلب فى سياق الوصف ، فتكشف عن كثير من الأمور التى يمر القارىء العادى بها عفوا ، وربما لم يفطن إليها .. ولكن القارىء الباحث المدقق ، الذى لا يقرأ ــ لمجرد التسلية ــ لا يملك سوى أن يتبينها واضــحة ، بعبــارات



صريحة ، تكشف عن زيف المزاعم التى يتعلل بها الاستعمار للبقاء فى تلك البلاد .

على أن مدى كل هذه العوامل التى روعيت فى اختيار قصص هذا العدد من « مطبوعات كتابى » ــ وهى : جدة الميدان ، وطرافة المادة ، والشفافية ــ لن تبين واضحة تمام الوضوح، إلا حين نتحدث عن كل قصة على حدة ..

## القصة الأولى : شاب صالح فى أحضان الغوانى !

ولقد اختيرت القصة الأولى « أرواح هائمة » ، أو ــ كما أسماها «موم» أصلا ــ «نيل ماك آدم» NEIL MAC ADAM من مجموعة أطلق عليها اسم « آه كينج » AH KING ، نشرت لأول مرة فى سبتمبر سنة ١٩٣٣ ، ثم نشرت للمرتين الثانية والثالثة فى أكتوبر من العام ذاته .. ونشرت بعد ذلك خمس مرات .

وتعد مقدمة هذه المجموعة دراسة أدبية طريفة بصــدد التأليف عن بلاد أجنبية ، فإن كثيرا من كتاب القصة ، يعتقدون ان التأليف معناه التمسك بالجو المحلى ، ولو .. ولو عمــد الواحد منهم إلى نقل ما يعجب به من قصص أجنبية يســبغ عليها الجو المحلى ، ويخلع على أبطالها أسماء محلية !! .. ولكن « موم » يذهب إلى أن من حق القصصى أن يضع أحداث قصصه فى إطار من بيئة البلدان التى يزورها ومن أجوائها ــ إذا كان رحالة ــ على شريطة أن يرى أن هذه الأحداث لا يمكن أن تقع فى البيئة والجو اللذين يعيش فيهما عادة ، فى بلاده .. إذ

www.dvd4arab.com

أن القصة يجب أن تعتمد على البيئة والجو اللذين توجد فيهما الشخصيات التى تقوم بالأدوار فيها !

ثم ينتقل إلى الجزء الذى يهمنا فى هذه الدراسة ، إذ يقول : « وما حاولت فى أى من قصصى — التى من هذا النوع — أن أعالج أبناء البلاد التى اتخذتها مسرحا للوقائع ، إلا بقـدر أثرهم فى حياة البيض الذين يعيشون بينهم . ذلك لأن الكاتب الإنجليزى يعانى مشقة فى سبيل الإلمام بالقـدر الكافى من المعلومات عن مواطنيه الذين يتعرف عليهم — طوال حياته — بالمشاهدة ، والملاحظة ، والشعور ، وحكم العادة .. فما بالك إذا كان الأمر يتعلق بأفراد من عنصر آخر غير عنصره إطلاقا ! .. ان الحواجز التى تلهم الرجل الأسمر أو الأصفر فى الحياة، مسجلة فى مجموعة من القوانين لا سبيل للرجل الأبيض إلى استكناه حقيقتها ، ومن ثم فليس بوسعه أن يطمئن إلى أنه يعرض التفسير الحقيقى لتصرف قد يبدو غاية فى البساطة »!

وإذن ، فإن الأمانة الأدبية تجعل « موم » يخشى أن يكتب عن أهالى البلاد التى زارها — إلا فى حدود ضيقة — لأنه لم يعش بينهم بحيث يندمج فيهم ، ويشرب مشربهم ، ويتقمص نشأتهم ، ويكتسب عاداتهم وتقاليدهم ونوازعهم بالقدر الكافى .. ومن ثم فقد اقتصر — فى هذه القصص — على أن يصف « الأثر الذى تطبعه — على نفر من البيض — الحيـاة التى يحيونها فى بعض البـلاد النائيـة .. فإن البيض فى هـذه الأوساط ، كثيرا ما يعمدون إلى تطوير فطرتهم وأمزجتهـم الخاصة وصـفاتهم إلى درجة تبدو مسـتحيلة فى غير تلك



الظروف . ذلك لأن العوامل التى تؤثر على أبناء تلك البلاد ، تؤثر عليهم هم أيضا ، فأنت غالبا ما تجدهم مجردين من تلك الصفات المركبة المعقدة التى تجعل شخصيات أولئك الذين يعيشون فى الظروف البراقة المصطنعة — التى تتسم بها الحياة المتمدينة المثقفة — مادة لدراسة لا تنتهى ولا تنضب ! » .

وعلى هدى هذه الآراء ، نرى « موم » يرسم — فى إطـار مستمد من بعض بقاع ولايات الملايو — مأساة الزوجة التى تعيش مع زوج منصرف لأبحاثه العلمية .. فهى لا تجد سلوى سوى القراءة والتدخين .. ولكنها ولدت أصلا وفى عروقهـا دماء حارة ، تتلظى بالنزوات ، ولا تزيدها الروايات سـوى سخونة ، ولا تزيدها الثقة العمياء التى يضعها الزوج فى زوجته سوى اندفاع !.. والزوج منصرف إلى بحوثه ، لا يبدو ذكاؤه فى أوج يقظته إلا فى المسائل العلمية ، دون المسـائل الدنيوية !

وفى هذه القصة يرسم لنا « موم » شخصية شـاب طيب صالح .. بكل ما للطيبة وللصلاح من معنى ، فهو يصر على الاحتفاظ بـ « بكارته » للزوجة التى سيقدر له أن يحظى بها فى المستقبل ، فلا يزيد تمسكه هذا زوجة العالم — وهو فى الوقت ذاته رئيسه — سوى تدلها فى هـواه ، وتهافتا على إغوائه .. وهذه شخصية ما كان « موم » ليجد لها وسـطا ملائما سوى تلك الأدغال النائية .. فإن الشاب الطيب الصالح الذى يستطيع أن يصمد ضد أعنف الغوايات — فى الأوساط التى نسميها متمدينة — نادر كل الندرة !

Looloo
www.dvd4arab.com

## القصة الثانية : بين النعرة الاستعمارية والأمانة الأدبية !

لننتقل إذن إلى القصـــة الثانيـــة : « جبـــان ؟ ! » ، أو « خيط من الدم الأصفر » THE YELLOW STREAK ، كمـــا أطلق عليها « موم » .. وقد اخترت من بين ست قصص ضمتها مجموعة أسـماها الكاتب « شـــجرة الجـــزورينا » THE CASUARINA TREE .. وهى تسمية طريفة ، يجدر بك أن تعرف اصلها ، كما ذكره « موم » :

« .. ولكنهم ، يقولون كذلك إنه عندما يتم لأشـــجار التين البنغالى أن تمتص المياه التى تكون المستنقعات ، حول مصبات الأنهار ، وتغدو الأراضى صالحة للزراعـــة ، فإن شـــجرة « الجـــزورينا » تنبت من تلقاء ذاتها ، فتعمـــل بدورها على إصلاح التربة وتخصيبها .. فإذا ما أتمت مهمتها ، ماتت قبل أن تزحف عليها طفيليات الأدغال العملاقة . ومن ثم خطر لى أن « شجرة الجزورينا » عنوان لا بأس به لمجموعة من القصص عن الإنجليز الذين يعيشون فى ( الملايو ) و ( بورنيـــو ) ، إذ تصورت أنهم — إذ يفدون بعد طلائع الرواد — فيفتحون تلك البلاد للحضارة الغربية، إنما يقومون بمثل دور تلك الشجرة!» .

هنا كان « موم » يكتب وقد تغلبت عليه النعرة القومية .. وكذلك فعل حين حاول أن يصور خسة أولئك الذين جـــاءوا من آباء من البيض وأمهات من بنات المستعمرات ..

إنها النعرة الاستعمارية الخبيثة ، التى قـــد يكون الأصل والمنصب فرضاها على « موم » . ولكن الروح الأدبية الأمينة



تعرف كيف تتسلل خلال هذه النعرة .. فيرسم قلم القصص صـــورة للموظفين الإنجليز فى المســـتعمرات ، وكيف أنهـــم يتزوجون من بنات البلاد ليرضوا شهواتهم ، ثم يتخلوا عنهن وعن اطفالهن فيما بعد .. ان قصص هذه المجموعة « شجرة الجزورينا » مليئة بالأمثال التى تبين هذا الواقع . ثم تغـــافل الأمانة الأدبية النعرة الاستعمارية ، فترسم صورة واضحة لما يقيمه « رسل الحضارة الغربية » فى المستعمرات من فوارق عنصرية ولونية ، نستطيع أن نلمسها بجـــلاء فى القلق والهم اللذين جثما على « ايزارت » لوجود دم أسمر فى عروقه !!

## القصة الثالثة : هنا تنتصر الأمانة الأدبية !

بقيت القصة الثالثة « الانتصار القاتل » أو « ماكنتوش » MACKINTOSH كما أسماها « موم » .. وقد اختيرت من مجمـــوعة اطلق عليها اســـم « رجفة ورقة شـــجرة » THE TREMBLING OF A LEAF وهذه القصة تمثل بحق أمانة « موم » ككاتب قصصى وأديب ، سواء كانت هذه الأمانة نابعة عن نفسه ، أو كانت روحه الأدبية تفرضها عليه فرضا !

والذى يقرأ القصة ، لا يملك إلا أن يرى أن الافتراض الأخير هو الأرجح . فإن التعصب للعنصر كان يملى على « موم » أن يحاول تبرير قسوة « ووكر » ، الذى كان مديرا إداريا لإحدى المناطق النائية ، أى بمثابة ( مأمور مركز ) .. فهو فظ ، جلف، محب للانتقام من الأهالى إذا غضب عليهم ، محب للتشفى منهم إذا ما أذلهم .. هكذا يصوره « موم » وهـــو فى تيار الوحى

www.dvd4arab.com

الأدبى . ثم يفطن إلى ما لهذه الصورة من أثر فاضح للاستعمار البريطانى ، فيبادر إلى تخفيفها ، دون أن يمحوها — وهذه أمانة ! — فيحاول أن يبرر هذه القسوة بأنها شدة الأب الذى يحب الخير لأبنائه .. ولكن الأمانة الأدبية تعاود التسلط على « موم » . فيصور « ماكنتوش » — مساعد « ووكر » — وهو يحلل لنفسه مسلك رئيسه ، فيرى أن هذا الفظ لم يكن يحب الأهالى كأبناء — كما كان يزعم — إلا لأنهم كانوا فى قبضة يده .. كان يحبهم كما يحب الرجل الأنانى كلبه !

إن هذه القصة الأخيرة من أقوى القصص التى كتبها « موم » فى حياته .. لا لشىء إلا لأنها تمائل صراعا قويا ، عنيفا ، فى نفس الكاتب .. تمثل صراعا بين الأمانة الأدبية والنعرة العنصرية !

ونحن لا نملك إزاء ما نلمسه من نوبات هذا الصراع خلال القصة ، سوى أن نعجب بموم .. لأن وجود الصراع فى حد ذاته ، دليل على أن ضميره ما يزال حيا !

## براعة فذة فى اختيار الخاتمة

بقيت النواحى الفنية فى القصص الثلاث .. ولن نتناول منها ، فى هذه العجالة ، سوى ناحية واحدة .. ناحية البراعة الفذة فى ابتكار الخاتمة .. ففى قصة « نيل ماك آدم » : أحاطت الزوجة المفتونة بالفتى العف ، وضيقت عليه الخناق ، وهددته بأكثر مما هددت به زوجة عزيز مصر ، النبى يوسف .. فماذا يفعل ؟.. لم يعد أمامه مهرب البتة ، ولم يبق



سوى أن يستسلم . وهنا يخف « موم » إلى إنقاذ الموقف ، فيضع للقصة نهاية لا يمكن أن تخطر ببال القارىء ، وهو يمضى فى تتبع الأحداث فى سياقها الطبيعى !

وفى قصة « خيط من الدم الأصفر » : يمعن فى تصوير « ايزارت » كجبان خسيس ، وفى تصوير « كامبيون » فى صورة المغدور الذى يتسامح ويتستر على الغادر .. ليكشف فى النهاية أن هذا التستر وذاك التسامح إنما كان مردهما إلى أن « كامبيون » كان يظن فى نفسه أنه هو الذى تخلى عن نجدة الآخر !

وفى قصة « ماكنتوش » : يهيىء الجو بحيث يبدو أن «ووكر» ولا بد مقتول فى ليلة معينة .. ويوقن « ماكنتوش » من ذلك ، فيضطرب ، ويعمد إلى إثبات وجوده فى داره ، بأن يدير لحنا على « الجراموفون » ، ويجلس فى انتظار نبأ الاغتيال ، وإذا « ووكر » يدخل عليه دون ماضر أو بأس .. حتى إذا قتل « ووكر » أخيرا ، ذات مساء ، يتوقع القارىء أن يغتبط « ماكنتوش » لتخلصه من هذا الرئيس الفظ المغرور ، لا سيما وأنه سيخلفه فى منصبه ، ولكن ..؟!

ولكن .. لن نفسد عليك رواء الخاتمة التى ابتكرها « موم » .. ولن نستبقيك بعيدا عن القصص لأكثر من هذا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

# أرواح هائمة

(نيل ماك آدم)

Looloo
www.dvd4arab.com

كان « الكابتن بريدون » رجلا لطيفا دمث الأخلاق . وعندما أبلغه « أنجوس مونرو » — أمين متحف كوالا سولور — أنه نصح « نيبل ماك آدم » — مساعده الجديد — بأن ينزل عند وصوله إلى ( سنغافورة ) فى فندق « فان دايك » ، وعندما طلب إليه أن يعنى بالفتى حتى لا يصاب بضر — خلال الأيام القلائل التى لابد له من أن يقضيها هناك — قال إنه سيبذل كل جهده .

وكان « الكابتن بريدون » يتولى قيادة السفينة « السلطان أحمد » ، وقد اعتاد أن ينزل دائما فى فندق « فان دايك » عندما يكون فى ( سنغافورة ) . فقد كان متزوجا من يابانية ، وكان يستأجر غرفة من الفندق ، يتخذها دارا .. فلما عاد من رحلته — التى استغرقت أسبوعين — على طول ساحل ( بورنيو ) ، أبلغه المدير الهولندى للفندق أن « نيبل » قد وصل منذ يومين . وكان الفتى جالسا فى حديقة الفندق المترية الصغيرة ، يقرأ أعدادا قديمة من صحيفة « ستريتس تايمز » فتفرس فيه « بريدون » أولا ، ثم تقدم إليه وقال : « ألست ماك آدم ؟ » . فهب « نيبل » واقفا ، وقد تضرج وجهه حتى منابت شعره ، ورد بخجل قائلا : « بلى .. » .

— ان اسمى « بريدون » ، وأنا ربان السفينة « السلطان أحمد » .. انك ستبحر معى يوم الثلاثاء القادم ، وقد طلب « مونرو » منى أن أرعاك .. فما رأيك فى أن نتناول « استينجا » ؟.. أحسبك قد عرفت الآن معنى هذه الكلمة !



— شكرا لك ، ولكنى لا أشرب الخمر .

وكانت تشوب حديثه لكنه أسكتلندية صارخة . فقال بريدون : « لست الومك على هذا ، فكم من رجل طيب تقضى عليه الخمر ، فى هذه البلاد ! » .

ونادى الخادم الصينى ، وأمره بأن يأتى له بكأس مضاعف من الويسكى ، وبعض الصودا . ثم قال لنيبل : « ماذا فعلت منذ أن حضرت إلى هنا ؟ » . فأجاب الشاب : « تجولت فى البلدة » .

— ليس فى سنغافورة الكثير مما يستحق المشاهدة .

— لقد وجدت أشياء كثيرة جديرة بالمشاهدة .

وكان أول ما فعله — بطبيعة الحال — هو أن زار المتحف . ومع أنه لم يجد فيه الكثير مما لم يكن قد شاهده فى بلاده من قبل ، فإن ما كان يحويه من الوحوش والطيور والزواحف والفراشات والحشرات — التى تعيش فى هذه المنطقة — أثار إعجابه ودهشته . وقد أفرد فيه قسم لذلك الجزء من ( بورنيو ) ، الذى كانت ( كوالا سولور ) عاصمته . ولما كانت هذه المخلوقات ستشغل القسط الأوفر من اهتمامه فى الثلاث السنوات القادمة ، فإنه فحصها بعناية .. ولكن أشد ما بهره كان خارج المتحف .. فى الشوارع . ولولا أنه كان شابا متزنا رزينا ، لضحك ملء شدقيه فرحا وابتهاجا . فقد كان شيئا جديدا عليه .. وقد ظل يسير حتى كلت قدماه ، فوقف فى ركن من شارع مزدحم ، يرقب بعجب ذلك الصف الطويل من

www.dvd4arab.com

مركبات « الريكشة » والرجال الصغار الأجسام الذين يجرونها وهم يعدون بخطوات قصيرة . ووقف أيضا على جسر مقام على قناة ، فشاهد القوارب المحلية تنساب فى اتجاهين متعاكسين ، وكأنها أسماك السردين فى علبة . وأطل على المحال الصينية فى شارع ( فيكتوريا ) ، حيث تباع عدة أشياء غريبة .. ورأى تجار ( بومباى ) المترهلين الضخام ، يقفون على أبواب محالهم ، وقد حاولوا أن يبيعوه بعض الحرير والمجوهرات . وراقب أبناء عشائر « التاميل » بوجوههم التى تنم عن التفكير والتأمل ، وهم يمشون فى رشاقة مهيبة .. وشاهد العرب ذوى اللحى والطاقيات البيضاء ، وهم يبدون أنفة مترفعة . وكانت الشمس ترسل أشعتها الساطعة الوهاجة على هذا المنظر المتباين المعالم ، وقد شعر بالارتباك ، وظن أن الأمر يقتضى منه سنوات ريثما يعرف وجهته فى هذا العالم الحافل ذى الألوان المتعددة .

* * *

وبعد أن تناولا العشاء — فى تلك الليلة — سأله الكابتن بريدون عما إذا كان يود مشاهدة البلدة ، وقال له : « خليق بك أن ترى شيئا من الحياة أثناء وجودك هنا ! » .

واستقلا مركبتين من مركبات « الريكشة » وذهبا إلى الحى الصينى . وكان الربان — الذى يمتنع عن شرب الخمر عادة ، وهو فى البحر — قد عوض فى النهار حرمانه ، وأخذ يشعر بالابتهاج . ووقفت المركبتان عند دار فى شارع جانبى ، فهبط الرجلان ، وطرقا الباب . حتى إذا فتح ، اجتازا ردهة



ضيقة ، فوصلا إلى غرفة كبيرة ، صفت الأرائك بحذاء جدرانها — وقد كسيت بقماش أحمر الون — وجلست عليها بعض النسوة ، بين فرنسيات وإيطاليات وأمريكيات . وكان فى الغرفة معزف ميكانيكى تنبعث منه أنغام موسيقية عالية ، وقد راح نفر قليل يرقصون على وقعها . وطلب الكابتن بريدون بعض الشراب ، فأخذت امرأتان أو ثلاث ينظرن إليهما فى إغراء ، وهن ينتظرن الدعوة . فقال الكابتن فى غير تورع : « حسنا أيها الشاب .. هل تميل إلى واحدة من هؤلاء ؟ » .

— لا !

— هل تعلم أنه لا توجد فتيات من البيض حيث أنت ذاهب؟

فتمتم الشاب : « آه ، حسنا ! » . وعاد الكابتن يسأله : « أتود أن تذهب لترى نسوة من الأهالى ؟ » . وأجاب نبيل : « لا بأس ! » . فدفع الكابتن ثمن الشراب وخرجا . وذهبا إلى دار أخرى ، كانت فيها فتيات صينيات صغيرات الأجسام ، أنيقات ، دقيقات الأقدام ، وأيديهن كالأزهار . وكن يرتدين ثيابا من الحرير المزركش برسوم تمثل زهورا . ولكن وجوههن المخضبة كانت أشبه بالأقنعة . وأخذن ينظرن إلى الغريبين بأعين سوداء ساخرة .. وكأنهن من غير البشر ، إلى درجة عجيبة !

وقال بريدون فى لهجة من يؤدى واجبا : « لقد أحضرتك هنا لأننى رأيت أنك خليق بأن ترى المكان . وتكفيك مجرد نظرة على المكان ، فهم لا يحبوننا لسبب ما ، حتى أن بعض هذه الدور الصينية لا تسمح للرجل الأبيض بأن يلجها . وهم

www.dvd4arab.com

يصفوننا بأن رائحتنا كريهة ، أليس هذا مضحكا ؟!.. انهم يقولون إن رائحتنا أشبه برائحة الجثث ! » . فهتف الشاب : « نحن ؟ » .

ـــ دعنا نرى اليابانيات ، فهن ظريفـات ! .. ان امرأتى يابانية كما تعرف ، فتعال معى ، آخذك إلى مكان فيه فتيات يابانيات .. ولن أكون هولنديا إذا أنت لم تجد بغيتك بينهن !

وكانت المركبتان تنتظرانهما ، فاستقلاهما . وأدلى «الكابتن بريدون » إلى السائقين بالاتجاه ، فانطلقا بجران المركبتين .. واستقبلتهما فى الدار سيدة يابانية بدينة ، فى أوسط العمر ، انحنت لهما عند دخولهما ، واقتادتهما إلى غرفة نظيفة ليس فيها من الأثاث غير الحصير على الأرض ، فجلسا . وبعـد برهة ، دخلت فتاة صغيرة تحمل صحفة عليها قدحان من الشاى الباهت اللون . وانحنت فى حياء ، وقدمت لكل منهما قدحا . وتكلم الكابتن مع المرأة المتوسطة العمر ، فنظرت إلى نبيل وابتسمت ، وقالت شيئا للفتاة الصغيرة خرجت ـــ على أثره ـــ من الغرفة . وإن هى إلا برهـة حتى دخلت أربع فتيات . وكن فاتنات فى زيهن القومى ( الكيمونو ) ، وشعورهن السوداء اللامعة المقصوصة بمهارة . وكن صغيرات القدود، ملتفات الأعواد ، مستديرات الوجوه ، ضاحكات العيون . وانحنين ـــ حين دخلن ـــ حتى كادت جباههن أن تمس الأرض، وتمتمن بتحيات مهذبة . وكان حديثهن كشقشقة الطيور !.. ثم تقدمن وجثون ـــ كل اثنتين إلى جانبى أحـد الرجلين ـــ وأخذن يغازلنهما برقة وحـلاوة . وسرعان ما لف الكابتن



بريدون ذراعيه حـول الخصرين النحيلين . وراح الجميع يتحدثون فى أتم آيات السرور ! .. وخيل لنبيل أن فتـاتى الكابتن كانتا تسخران منه ، لأن أعينهما البراقة تحولت نحوه بخبث ، فاحمر وجهه . ولكن الفتاتين الأخريين التصقتا به ، وراحتا تتحدثان إليه باليابانية ، وكأنه يفهم كل كلمة تقولانها . ولاحتا سعيدتين إلى حد أثار ضحكه .. وكانتا شـديدتى العناية به ، فأمسكتا له القدح ليرتشف الشاى منه دون أن يتكبد مشقة حمله فى يده ، وأشعلتا له سـيجارة ، ومدت إحداهما يدا بضة صغيرة لتتلقى الرماد فلا يقع على ملابسه ، وأخذتا تربتان وجهه الناعم ، وتنظران فى فضول إلى يديه الكبيرتين .. كانتا لعوبتين كالقطط ! .. وما لبث الكابتن أن قال : « حسنا ، أيهما تفضل ؟ .. اختر لنفسك ! » . فتساءل : « ماذا تعنى ؟ » .

ـــ سأنتظر ريثما تحزم أمرك ، ثم أدبر أمر نفسى !

ـــ لست أريد أيا منهما ، وسأعود لأنام .

ـــ لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟ .. ما أحسبك خائفا ؟

ـــ لا .. كل ما فى الأمر أننى لا أميل لذلك . ولكن لا تدعنى أقف فى طريقك ! .. اننى عائد إلى الفندق .

ـــ إذا لم تكن راغبا فى شىء من هـذا ، فلست أريده أنا الآخر . فإنما كنت أبغى أن أجاريك وأونسك !

وتحدث إلى السيدة المتوسطة العمر . والظاهر أن ما قاله حمل الفتيات على أن ينظرن إلى نبيل فى عجب طارىء . وقد

www.dvd4arab.com

ردت السيدة على الكابتن ولكنه هز كتفيه ، وهنا أبدت إحدى الفتيات ملاحظة جعلت الجميع يضحكون . فتساءل نبيل : « ماذا قالت ؟ » . وأجاب الكابتن مبتسما : « انها تعابثك لتستدرجك ! » . ولكنه مع هذا رمق نبيل فى استغراب . أما الفتاة ، فبعد أن أضحكتهم ، تحدثت مباشرة إلى نبيل . ولكنه لم يفهم شيئا ، اللهم إلا أن السخرية كانت ظاهرة فى نظراتها ، مما جعل وجهه يتضرج ، ثم يعبس . فما كان ليحب أن يكون موضع سخرية ، غير أن الفتاة ضحكت ، والقت ذراعها حول عنقه .

وقال الكابتن : « هيا ، لننصرف ! » .. حتى إذا بلغا الفندق ، سأله نبيل : « ما الذى قالته الفتاة حتى جعلت الجميع يضحكون ؟ » . فأجاب : « قالت إنك .. بكر ! » . وإذ ذاك قال الشاب : « لست أرى فى هذا ما يدعو إلى الضحك » .

— وهل هذا القول صحيح ؟ — اظنه كذلك !

— ما عمرك ؟ — اثنان وعشرون عاما !

— وفيم انتظارك ؟ — إلى أن أتزوج !

فصمت الربان .. وعندما وصلا إلى نهاية الدرج ، مد يده وأومضت عينه عندما القى على نبيل السلام ، ولكن نبيل واجهه بنظرة صريحة ، صادقة ، لا اضطراب فيها .

* * *

وابحرا بعد ثلاثة أيام . وكان نبيل الراكب الأبيض الوحيد فى السفينة . وكان يقبل على القراءة عندما يكون



الكابتن مشغولا . وكان يقرأ كتاب « أرخبيل الملايو » لادجار والاس — للمرة الثانية — فقد سبق أن قرأه وهو صبى . ومع ذلك فقد بدا كأنه جديد عليه ، واستأثر بكل اهتمامه . فاذا لم يكن الكابتن منصرفا إلى العمل ، فانهما كانا يلعبان الورق معا ، أو يجلسان على ظهر السفينة يدخنان ويتحدثان .

وكان نبيل نجل طبيب من الأرياف . ولم يكن فى استطاعته أن يتذكر فترة من حياته لم يهتم فيها بالتاريخ الطبيعى .. وعندما انتهى من الدراسة الثانوية ، ذهب إلى جامعة أدنبره ، فحصل فيها على درجة « البكالوريس » فى العلوم ، بمرتبة الشرف . وكان يسعى للحصول على وظيفة معيد فى علم الأحياء ، عندما قرأ فى مجلة « ناتشر » إعلانا عن وظيفة مساعد لأمين متحف ( كوالا سولور ) . وكان « أنجوس مونرو » — أمين المتحف — قد عاش فى ( أدنبرة ) مع عمه الذى كان تاجرا من أهل ( جلاسجو ) ، فأرسل هذا العم إلى « أنجوس » يطلب منه أن يجرب هذا الفتى ، وقال إن نبيل وإن كان مشغوفا بعلم الحشرات ، إلا أنه تدرب كثيرا على تحنيط الطيور والحيوانات ، وهى ناحية ورد فى الاعلان أنها مهمة . كما أرسل شهادات من مدرسى نبيل القدامى ، وقال أن الفتى يجيد لعب كرة القدم ، وأنه كان عضوا فى فريق جامعته ! .. ولم تنقض بضعة أسابيع حتى وصلت برقية بتعيين نبيل . وإن هما إلا أسبوعان حتى سافر فعلا .

وسأل نبيل الكابتن : «أى نوع من الرجال المستر مونرو ؟»، فقال : « انه شخص طيب ، والجميع يحبونه » .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـــ لقد اطلعت على رسائله فى المجلات العلمية ، وقد نشرت له رسالة فى العدد الأخير من مجلة « ايبيس » .

ـــ لست أدرى شيئا عن هـــذا ، وكل ما أعرفه هو أن له زوجة روسية ، ولكنها غير محبوبة كثيرا !

ـــ لقد تلقيت منه خطابا وأنا فى ( سنغافورة ) ، قال فيه إنه سيستضيفنى فترة ، ريثما أتمكن من الطـــواف بالبلد ، وأتبين ما يمكننى عمله !

وكانت السفينة عندئذ تمخر النهر ، وشوهدت عند مصبه قرية للصيادين قائمة على أعمدة فى وسط الماء ، وقد اكتسى الشاطىء بالنخيل وأنواع أخرى من الأشجار ، امتدت وراءها غابة كثيفة ، وظهر فى الأفق شبح جبل يرتفع إلى الســـماء الزرقاء .. وأثار نبيل هذا المنظر ، فأخذت ضربات قلبه تشتد وهو يستوعب هذه الصورة الرائعة بعينيه .. واستولت عليه الدهشة ، إذ كان يتوقع أن يرى أرضا محفوفة بالأسرار ، ولكنه لم يكن يتوقع أن يرى هذه السماء الزرقاء الصـــافية ، ولا السحب البيضاء القليلة الظاهرة فى الأفق ، وكأنها أشرعة سفن ساكنة لا حركة فيها ، تتجلى تحت أشعة الشمس .. وكانت الأشجار الخضراء فى الغابة متألقة تحت الضوء الساطع ، وقد تناثرت بيوت ( الملايو ) ذات السقوف المغطاة بالقـــاب ، وقبعت فى أحضان أشجار الفاكهة . ورأى نبيل الأهالى فى قوارب صغيرة ، يجدفون وهم وقوف . ولم يخامره أى شعور بأنفه اكتئاب ، بل شعر فى هذا الصـــباح المشرق بالحـــرية ، وأحس بالفضاء الواسع .. وهكذا استقبلته البلاد بترحاب



رائع ، وأدرك أنه سيكون سعيدا فيها . وألقى الكابتن بريدون ـــ الذى كان واقفا فى مركزه فى السفينة ـــ نظـــرة ودية على الفتى الواقف تحته .. لقد أحبه خلال الأيام الأربعـــة التى استغرقتها الرحلة .. صحيح أنه لم يكن يشرب الخمـــر ، ولا كان يستسيغ النكتة ، ولكن جديته هذه كانت تنطوى على شىء جـــذاب . فهو يرى كل شىء مهما وممتعـــا . وهـــذا ـــ بطبيعة الحال ـــ ما كان يحمله على ألا يجد فى النكتة متعة . ولكنه كان يضحك للنكتة ـــ وإن لم يستسغها ـــ لا لشىء إلا لأنه كان يشعر بأنك تنتظر منه ذلك ! .. وكان يضحك لأن الحياة عظيمة ، ويظهر الامتنان لكل شىء تقوله له ، ولو كان تافها .. فهو لا يطلب منك شيئا قط ، دون أن يقول : « أرجوك » ، وهو على الدوام يقول : « أشكرك » ، عندما تعطيه هذا الشىء! .. وكان وسيما ، وهذا ما لم يكن ينكره أحد ! .. ووقف نبيل ويداه على الحاجز ، يتطلع إلى الشاطىء وهو يمر أمامه .. كان طويل القامة ـــ يبلغ مائة وثمانين سنتيمترا طولا ـــ عريض المنكبين ، ذا شعر كستنائى مجعد له بريق غريب يشبه الذهب أحيانا ، عندما يسقط عليه الضوء .. وكانت عيناه الكبيرتان الزرقاوان تبرقان دهاة ، وتعبران عن هنائه .. كما كان أنفه صغيرا ، وفمه كبيرا ، وذقنه توحى بقوة العزيمة ، ووجهه كبيرا إلى حد ما . ولكن أهم ما كان يجتذب الأنظار إليه هو جسمه ـــ إذ كان ناصع البياض ، ناعمـــا ـــ واللون الوردى الذى تميزت به خداه .. وقصارى القول أن جسمه كان جميلا ، جديرا بأن يكون لامرأة . وكان الكابتن بريدون يقابله فى كل صـــباح بنكتة لا تتغير : « هل حلقت لحيتك

Looloo
www.dvd4arab.com

اليوم ؟ » . فيمر نبيل بيده على ذقنه ، ويقـول : « لا .. أتظن أنها بحاجة إلى حلاقة ؟ » . فكان الربان يضحك دائما ويقول : « بحاجة إليها ؟! إن لك وجها كعجز الطفل !! » . وكان وجه نبيل يتضرج دائما ، وهو يتمتم متلعثما : « اننى أحلق لحيتى مرة فى الأسبوع ! » .

ولكن شكله لم يكن العامل الوحيد الذى كان يحمل الناس على حبه ، بل كانت هناك أيضا الصراحة والنشاط وغضارة الشباب ، التى كان يواجه بها الدنيا .. ومع كل ما كان عليه من عزيمة ، ومن وقار وجدية فى معالجة كل أمر ، ومن ميل إلى مناقشة كل نقطة تثار ، فقـد كان فى أخـلاقه شىء من بساطة عجيبة تشيع فى نفسك شعورا غـريبا .. ولم يكن فى وسع « الكابتن » أن يدرك كنه هذا الشىء . فكان يقـول لنفسه : « ترى أيرجع هـذا الشىء إلى أنه لم يتصـل قط بامرأة ؟ .. يالله من أمر عجيب ! .. ما كان من المعقول أن تتركه الفتيات وشأنه ، وقد أوتى هذه البشرة ! » .

ولكن السفينة « السلطان أحمد » كانت تقترب من منعرج فى النهر ، تظهر بعده ( كوالا سولور ) للعيان ، فقطعت الأعمال الضرورية على الربان تأملاته ، إذ اتصل بغرفة الآلات ، فاذا سرعة السفينة تنخفض إلى النصف .. وبدت ( كوالا سولور ) مستلقية على الشاطىء الأيسر للنهر : بلدة صغيرة بيضـاء ، نظيفة .. وفوق تل — إلى اليمين — قامت القلعة وقصر السلطان . وهب نسيم داعب علم السلطان المرفوع على سارية طويلة ، فتحرك فى زهو .. وألقت السفينة مرساها وسـط



النهر ، فصعد إليها الطبيب وضابط البوليس اللذان جاءا فى زورق الحكومة . وكان برفقتهما شخص طويل القامة ، نحيل الجسم ، فى ملابس بيضاء . ووقف الربان عند أول الممر ، فصافح الرجال الثلاثة ، ثم تحول إلى الأخير منهم ، وقال : « لقد أحضرت إليك الشاب سالما معافى مفعما بالأمـل ! » . ونظر إلى نبيل وقال يقدم الرجل : « هذا هو مونرو ! » .

وبسط الرجل الطويل النحيل يده إلى نبيل ، وتفرس فيه بعين فاحصة ، فاحمر وجه نبيل قليلا ، وابتسم فانفـرجت شفتاه عن أسنان جميلة ، وقال : « كيف حالك يا سيدى ؟ » .

ولم يبتسم مونرو بشفتيه وإنمـا بعينيـه الرماديتين .. وكانت خداه غائرتين ، وله أنف أقنى وشفتان شاحبتان ، وبشرة لوحتها الشمس بسمرة شديدة .. وكان الاجهاد يبدو جليا على وجهه . ولكن مظهره كان ينم عن لطف مفـرط . فسرعان ما شعر نبيل بالثقة به .. وقدمه الكابتن للطبيب وضابط البوليس ، واقترح أن يتناولوا معا شيئا من الشراب . وعندما جلسوا وأحضر الخادم زجاجات البيرة ، فخلع مونرو القبعة عن رأسه .. ورأى نبيل تحتها شعرا كستنائى اللون ، بدا الشيب يدب فيه .. كان الرجل فى الأربعين من العمر ، هادئا ، رزينا ، يمتاز بطابع عقلى عن الطبيب الحاد الحركة ، وضابط البوليس المزهو بنفسه .

وهز ملاّ الخادم أربعة أقداح بالبيرة ، قال الكابتن : « أن مالك آدم لا يشرب خمرا ! » . فقال مونرو : « هـذا خير وأفضل . وأرجو ألا تكون قد استدرجته فى طريق الإثم ! » .

Looloo
www.dvd4arab.com

فأومضت عين الربان وهو يجيب : « لقد حاولت ذلك فى سنغافورة ، فلم يحدث شىء ! » .

وبعد أن انتهى « مونرو » من شرب قدح البيرة التفت إلى نيبل وقال : « وبعد .. أنهبط إلى الشاطىء ؟ » .. وعهد بمتاع نيبل إلى خادم مونرو ، ثم هبط الرجلان إلى أحد الزوارق المحلية . وإذ بلغا البر قال مونرو : « أتحب أن تذهب رأسا إلى الدار ، أو أن تقوم أولا بجولة .. ان أمامنا ساعتين قبل موعد الغداء ! » . فقال نيبل : « ألا نستطيع أن نذهب إلى المتحف ؟ » .. فابتسم مونرو ابتسامة خفيفة نمت بجلاء عن اغتباطه . وكان نيبل خجولا ، ولم يكن مونرو ثرثارا بطبيعته ، ولهذا سارا فى صمت .. وعند النهر ، رأيا أكواخ الأهالى التى يعيش فيها أهل الملايو عيشتهم الأزلية التى لا تتغير .. وكانوا يعملون ، ولكن فى غير عجلة ، وإن أشعرك ذلك بنشاط عادى مشوب بالسعادة . كان ثمة ما يوحى بالحياة الرتيبة ، التى قوامها الولادة ، والموت ، والحب والأمور العامة التى لا غنى للبشر عنها ! .. ومرا بالأسواق والشوارع الضيقة ذات السقوف المقبوة ( البواكى ) ، حيث رأيا الصينيين يعملون ويأكلون ، ويتحدثون بأصوات عالية كعادتهم ، ويكدون ويكدحون ويناضلون إلى الأبد .

وقال مونرو : « إنها ليست مثل سنغافورة حقا ، ولكنى اعتقد على الدوام أنها بلدة بهيجة ! » . وكان يتحدث بلهجة أهدأ من لهجة نيبل ، وإن كانت اللكنة الاسكتلندية ظاهرة فيها ، مما أدى إلى ارتياح نيبل ، فما كان بوسعه ان يقصى



عن عقله أن إنجليزية الشعب الإنجليزى مشوهة ! .. وكان المتحف مبنى حجريا جميلا . وإذ اجتازا أبوابه ، اعتدل مونرو ونصب قامته بحركة غريزية .. وأدى الخادم الواقف لدى المدخل التحية ، فتحدث إليه مونرو بلغة الملايو ، مبينا له — على ما ظهر — أمر نيبل ، فقد التفت الخادم إلى الشاب وابتسم ، وأدى له التحية مرة أخرى . وكان الجو فى الداخل رطبا إذا قيس بحر الخارج . كما كان الضوء مريحا بعد الوهج الذى صادفاه فى الشوارع .

وقال مونرو : « أخشى أن يخيب ظنك ، فنحن لم نحصل على نصف ما كان ينبغى أن يكون لدينا ، وما كان يعوقنا إلى الآن سوى الافتقار إلى المال . وكان علينا أن نبذل ما فى وسعنا، فأرجو أن تتساهل فى الحكم ! » .

وتقدم نيبل وكأنه سباح يغوص مطمئنا فى بحر ، خلال فصل الصيف .. وكانت المعروضات منظمة بشكل يدعو إلى الإعجاب ، لأن مونرو سعى إلى توفير الجو المسلى إلى جانب الناحية التعليمية : فكانت الطيور والوحوش والزواحف معروضة وقد أحيطت — على قدر الإمكان — بالأوساط الطبيعية التى تعيش فيها ، بشكل يوحى بوجود الحياة . وفقد نيبل خجله ، فراح يتحدث فى حماسة صبيانية عن هذا وذاك ، موجها سيلا لا نهاية له من الأسئلة ، وقد استبد به الاهتمام . ولم يشعر الاثنان بمرور الوقت ، حتى لقد دهش مونرو عندما نظر إلى ساعته . فما لبثا أن خرجا من المتحف، واستقلا مركبتين من مركبات « الريكشة » إلى الدار .

www.dvd4arab.com

وقاد مونرو الشاب الى غرفة الأستقبال ، فاذا فيها سيدة مستلقية على أريكة ، وهى تقرأ كتابا ..



وقاد مونرو الشاب إلى غرفة الاستقبال ، فاذا فيها سيدة مستلقية على أريكة ، وهى تقرأ كتابا .. ونهضت ببطء عند دخولهما الحجرة ، فقال مونرو : « هذه زوجتى .. أرجو أن لا نكون قد تأخرنا كثيرا يا داريا ! » . فابتسمت السيدة وقالت : «وفيم يهم هذا ؟ .. أهنـاك ما هو أقل قيمة من الوقت ؟ » .

ومدت السيدة يدها إلى نيبل – وكانت يدا كبيرة إلى حد ما – وصوبت إليه نظرة طويلة فاحصة ، ولكنها تنم عن ود . ثم قالت لزوجها : « أظنك كنت تربه المتحف ! » .

وكانت سيدة فى الخامسة والثلاثين ، متوسطة الطول ، ذات وجه أسمر شاحب ، وعينين زرقاوين . وكان شعرها – المفروق عند منتصف رأسها ، والمعقود عند أعلى عنقها – غير منسق ، وذا لون بنى شاحب عجيب . أما وجهها فكان كبيرا ، بارز عظام الوجنتين ، مكتنز الأنف بعض الشىء . ولم تكن جميلة ، ولكن حركاتها البطيئة كانت مقترنة بفتنة مثيرة . كما كان فى تصرفاتها تراخ جسدى لا يمكن لغير بليدى الاحساس أن يغفلوه ! .. وكانت ترتدى ثوبا قطنيا أخضر اللون ، وتتحدث الإنجليزية بإجادة تامة ، وإن كانت تشوبها لكنة خفيفة .

وجلسوا يتناولون طعام الغداء ، وقد عاد الخجل إلى نيبل مرة اخرى . ولكن داريا لم تلحظ ذلك – على ما بدا – فراحت تتحدث بحرية وطلاقة .. سألته عن رحلته وعن رأيه فى ( سنغافورة ) ، وحدثته عن الناس الذين سيلتقى بهم ، وقالت



www.dvd4arab.com

ان مونرو سيأخذه — بعد ظهر ذلك اليوم — لزيارة المقيم — لأن السلطان كان متغيبا عن البلاد — ثم يذهب به إلى النادى حيث يقابل كل الناس ! .. واستقرت عيناها الزرقاوان عليه باهتمام ، وهى تقول : « لسوف تغدو شخصية معروفة ! » . ولم يكن من الصعب على أى شخص أقل ذكاء من نبيل أن يلاحظ أنها كانت تبدى اهتماما كبيرا بحجمه ، وفتوته ، وشعره اللامع المجعد ، وبشرته البديعة . فقد استطردت قائلة : « انهم لا يميلون إلينا كثيرا ! » .

فقال زوجها : « هذا هراء ، وأنت حساسة أكثر مما ينبغى يا داريا ! .. كل ما فى الأمر أنهم إنجليز ! » .

— إنهم يرون أن من المضحك أن يكون « أنجوس » عالما ، ويظنون أن من الحطة أن أكون روسية .. ولكن هذا لا يهمنى ، فهم أغبى من رمانى حظى العاثر إلى المقام بينهم وأكثرهم تفاهة وضيق أفق !

— لا تزعجى « ماك آدم » فى لحظة وصوله .. لسوف يجدهم كرماء ذوى حفاوة !

وسألت ماك آدم : « ما اسمك الأول ؟ » . فأجابها : « نبيل » . وإذ ذاك قالت : « سأناديك به ، وعليك أن تنادينى باسم داريا ، لأننى أكره أن ينادونى باسم المسز مونرو ، فان هذا يجعلنى أشعر كما لو كنت زوجة وزير ! » .. واحمر وجه نبيل وارتبك . فقد ضايقه أن تطلب منه بهذه السرعة أن يرفع الكلفة فيما بينهما !



.. ومضت هى تقول : « بعض الرجال هنا ليسوا أشرارا ! » فقال مونرو : « انهم يؤدون أعمالهم على خير وجه ، وهذا ما جاءوا إلى هنا من أجله » .

— إنهم يصطادون ، ويلعبون كرة القدم والتنس والكريكيت ، وعلاقتى بهم على ما يرام .. أما النساء فلا سبيل إلى احتمالهن ، إذ أنهن غيورات وخبيثات وكسولات .. لا يستطعن التحدث فى شىء ، فاذا طرحت موضوعا أدبيا نظرن إليك بازدراء ، وكأنك شخص غير مهذب ! .. وماذا يملكن أن يتحدثن فيه ؟ .. انهن لا يهتممن بشىء . فاذا أنت تحدثت إليهن عن الجسد ، اعتبرنك وقحا ، وإذا تحدثت عن الروح توهمنك متحذلقا !

وابتسم مونرو وقال بروحه الكريمة السمحة : « لا تأخذن كلام زوجتى بحرفيته ، فان الجالية هنا كأية جالية أخرى فى الشرق ، فهم ليسوا أغبياء جدا ، ولا مهرة جدا ، وإنما هم ودودون رقيقو الحاشية ، وهذا ليس بالشىء القليل ! » . فقالت السيدة : « لست أريد الناس ودودين رقيقى الحاشية ، وإنما أريدهم ذوى حيوية وعاطفة .. أريدهم أن يعنوا بالبشر ، وأن يضفوا على الأمور الروحية أكثر مما يبدون من الاهتمام بكأس من الجن أو طعام مخلوط بالتوابل .. أريد أن يكون للفن والأدب مقام بينهم ! » ثم التفتت إلى نبيل فجأة ، وسألته : « هل لك روح ؟ » . فقال مرتبكا : « لست أدرى .. الواقع أننى لا أعرف ما تعنينه بهذا ! » .

— لماذا تضرج وجهك عندما وجهت إليك السؤال ؟ ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لماذا تخجل من روحك ؟.. إنها أهم ما فيك ، فحدثنى عنها ، لأننى مهتمة بك وأريد أن أعرف !

وبدا لنيبل أن من المحرج أن يعامل بهذه الطريقة من شخص غريب تماما عنه .. أبدا لم يسبق له أن قابل مثيلا لهذه المرأة ، فقد كان شابا جادا ، إذا وجه إليه سؤال صريح ، بذل جهدا للإجابة عنه ، وكان وجود « مونرو » هو الذى أربكه ! .. وقال لداريا : « لست أدرى ما تعنينه بكلمة روح .. إذا كنت تعنين كيانا غير مادى أو ذاتا غير مجسدة ، خلقها الخالق على حدة ، لتكون ذات ارتباط مؤقت بالجسم المادى ، فان إجابتى تكون بالنفى .. ويخيل إلى أن هذه النظرية القائلة بازدواج جوهر الشخصية الإنسانية لا يمكن لأى قادر على أن ينظر إلى برهانها نظرة هادئة ، أن يدافع عنها . أما إذا كنت من ناحية أخرى تعنين بالروح مجموعة العناصر الجسدية التى تؤلف ما نعرفه باسم شخصية الفرد ، فإنى إذن أقول أن لدى روحا بطبيعة الحال ! » .

فابتسمت داريا وقالت : « يا لك من رقيق ، وانك لمليح إلى درجة عجيبة ! .. لا ، إنما أعنى القلب بنزواته ، والجسد بشهواته ، والسرمدية التى فينا ! .. ألا نبئنى ، ماذا قرأت فى رحلتك ؟ .. أم تراك اكتفيت بلعب التنس على ظهر الباخرة ؟ » .

ودهش نيبل لانتقالها من موضوع إلى آخر فجأة ، وكان خليقا بأن يستاء لولا البشاشة التى ظهرت فى عينيها ، وما كان فى طباعها من بساطة طبيعية خالية من الاصطناع .



وابتسم « مونرو » بهدوء لارتباك الشاب .. وعندما ابتسم ، أصبحت الخطوط الممتدة من جانبى أنفه إلى ركنى فمه عبارة عن غضون وتجعدات ! .. وقال نيبل : « لقد قرأت كثيرا لكونراد » . فتساءلت : « للمتعة أو لصقل عقلك ؟ » . فأجاب : « للأمرين معا ، فأنا معجب به إلى أبلغ حد ! » . وإذ ذاك طوحت داريا بذراعيها فى حركة احتجاج مبالغ فيها ، وصاحت : « هذا البولندى ؟ ! .. كيف تسمحون أيها الإنجليز لأنفسكم بأن يبهرها هذا المتلاعب بالألفاظ ؟ ! .. لقد اجتمعت فيه كل سطحية مواطنيه .. فأنت إذا تعمقت فى التفكير فى هذا السيل المتدفق من الكلمات ، والجمل التى تحمل أكثر من تأويل ، والبلاغة البراقة ، والعمق المصطنع ، فماذا تجد ؟ .. لن تجد غير شىء عادى تافه !.. إنه أشبه بممثل من الدرجة الثانية ، يرتدى ثوبا شاعريا ، ويلقى كلمات من مسرحية لفيكتور هوجو ، فاذا أنت تقول — فى الدقائق الخمس الأولى — إنها بطولة .. ثم تتردد روحك ،فتصيح : لا ، هذا زيف .. زيف .. زيف ! » .

وكانت تتكلم بعاطفة لم يعهدها نيبل من أحد المتحدثين فى الفن والأدب ، وقد شاع الاحمرار فى وجهها — الذى كان يفتقد اللون عادة — وأبرقت عيناها .. فقال نيبل : « ما من كاتب يعرف كيف يهيىء الجو ككونراد ، وفى وسعى أن أبصر الشرق وألمسه وأشم عبيره وأنا أقرأ له ! » .

— هراء ! ماذا تعرف عن الشرق ؟ .. سيقول لك كل امرىء إن كونراد ارتكب أفدح الأخطاء فيما ذكره عن الشرق ! .. سل أنجوس !

Looloo
www.dvd4arab.com

فقال مونرو : « من الطبيعى انه لم يلتزم الدقـــة فى كل الحالات . فان ( بورنيو ) التى وصفها ليست هى ( بورنيو ) التى نعرفها . فلقد شاهدها من فوق سفينة تجارية ، ولم يكن دقيقا فى ملاحظة ما شاهده . ولكن هل لهذا قيمة ؟ .. لست أدرى لماذا يجب أن ندع الحقيقة تشوه الخيال ، ولست أظن أنه ينال من الكاتب أن يخلق من وحى روحه بلادا مظلمة ، غامضة ، ذات جو شاعرى ، وبطولة ! » .

فقالت السيدة : « إنك عاطفى يا عزيزى انجوس ! » .. ثم التفتت إلى نبيل وقالت : « يجب أن تقرأ لتورجنيف .. ويجب أن تقرأ لتولستوى .. ويجب أن تقرأ لدستويفسكى !» .

*** 

ولم يعرف نبيل كيف يحكم على « داريا » ، فقد تجاوزت المراحل الأولى للتعارف ، وعاملته ــ فى الحال ــ كأنه شخص عرفته خير معرفة طوال حياتها . وأدهشه هذا ، وحيره ، إذ لاح له أنه سلوك أرعن .. كانت غريزته قد اعتادت أن تتوخى الحذر عندما يلتقى بأى امرىء . ومع أنه كان ودودا ، إلا أنه لم يكن يميل إلى أن يتمادى فى الود قبل أن يتبين الطـريق أمامه .. لم يكن يميل إلى أن يمنح أى شخص ثقته قبل أن يتأكد من أن هناك مبررا لذلك .. ولكنــك لم تكن تستطيع أن تتمالك نفسك مع « داريا » ، إذ أنهـا كانت تنتزع ثقتك انتزاعا .. كانت تسكب المشاعر والأفكار التى يحتفظ بهـا اغلب الناس لأنفسهم ، مثلها فى هذا مثل المسرف الذى يلقى بقطع الذهب وسط حشد من الناس ! .. انها لم تكن تتحدث



ولا كانت تتصرف كما يفعل كل إنسان عرفه من قبل .. ولم تكن تبالى بما تقــول ، بل كانت تتكلم عن الوظائف الطبيعية للحيوان الممثل فى الإنسان ، بطريقة جعلت الدم يتدفق إلى خديه ، فأثار بذلك سخريتها ، وقالت له : « يا لك من غر !.. اى عيب فى هذا الكلام ؟.. عندما أريد أن أتعاطى دواء مسهلا، فما الذى يمنعنى من أن أقول ذلك ؟ .. وعندما اعتقد انك تريد دواء كهذا ، فما الذى يمنع أن أقول لك ذلك ؟ » .

ــ إنك على حق .. من الناحية النظرية !

وحملته على أن يحدثها عن والده وأمه وإخوته ، وعن حياته فى المدرسة وفى الجامعة . وحدثته عن نفسها .. كان والدها قائدا برتبة « جنرال » ، وقد قتل فى الحرب . وكانت أمهـا أميرة من أسرة « لوتشكوف » .. وكانوا فى روسيا الشرقية عندما استولى البلاشفة على السلطة ، فهربوا إلى (يوكوهاما)، وعاشوا فيها حياة بؤس وشقاء فباعوا جواهرهم وما استطاعوا أن ينجوا به من تحف .. وهناك ، تزوجت من مواطن لاجىء مثلها ، فلم تسعد معه ، ولم تلبث أن طلقت منه بعد عامين !.. وماتت والدتها ، ثم اضطرت ــ إذ غدت معدمة ــ إلى كسب عيشها بجميع السبل التى كانت تملكها .. فعملت فى هيئة أمريكية للغوث، وعملت كمدرسة فى إحدى مدارس الارساليات، واشتغلت فى مستشفى !

وغلى دم نبيل واشتد ارتباكه ، عندما حدثته عن الرجال الذين حاولوا استغلال فرصة ضعفها وفقرها . ولم تخف عنه شيئا من التفاصيل . فقال : « يا للوحوش ! » فأجابته

Loolaa www.dvd4arab.com

وهى تهز كتفيها : « آه .. كل الرجال على هذه الشاكلة ! » .. وذكرت أنها دافعت — ذات مرة — عن فضيلتها بإشهار المسدس ، ثم قالت : « لقد هددته ، وأقسمت أننى سأقتله إذا تقدم خطوة واحدة منى .. ولو أنه تقدم لكنت قتلته ككلب ! » . فهتف نبيل : « يا لله ! » .

ومضت تروى قصتها فقالت إنها قابلت « أنجوس » فى ( يوكوهاما ) — وكان يقضى إجازته فى اليابان — فأسرتها استقامته والخلق المهذب اللذان كانا ظاهرين بوضوح فيه . وأعجبت برقته وحفاوته .. ولم يكن رجل أعمال ، وإنما كان عالما ، والعلم أخ شقيق للفن . وقد كفل لها « أنجوس » السلام والأمن . وكانت قد تعبت من اليابان ، فبدت لها ( بورنيو ) أرضا محفوفة بالغموض .. وقد مضى على زواجها من « أنجوس » خمس سنوات !

وأعطت نبيل روايات روسية ليقرأها .. أعطته : « آباء وأبناء » ، و « آنا كارنينا » ، و « الأخوة كارامازوف » .. وقالت : « هذه الكتب الثلاثة هى أثمن الذخائر فى أدبنا ، فاقرأها ! .. انها أعظم روايات شهدها العالم ! » .. وكانت — ككثير من مواطنيها — تتكلم وكأنما ليس فى العالم أدب آخر ، وكأن عددا من الروايات والقصص ، وعددا من القصائد ، ونحو ست من التمثيليات الجيدة ، قد جعلت كل ما أنتجه العالم من أدب مجرد كم مهمل ! .. وهكذا سحرت نبيل وطغت عليه .. وقالت له وهى تلقى إليه بنظرات رقيقة ناعمة : « انك يا نبيل تشبه اليوشا ( بطل الأخوة كارامازوف ) ..



ولكنك اليوشا اسكتلندى يتميز بالشك والفطنة اللتين لا تسمحان لروحك .. لا تسمحان لما فى نفسك من جمال روحى بأن يظهر ويتجلى ! » .

فقال بخجل : « ليس بى أى شبه باليوشا ! » .

— إنك لا تعرف من الذى تشبهه ، لأنك لا تعرف شيئا عن نفسك ! .. لماذا تنصرف إلى دراسة التاريخ الطبيعى ؟ أمن أجل المال ؟ .. لقد كان فى استطاعتك أن تكسب كثيرا من المال لو أنك اشتغلت فى مكتب عمك المحامى فى ( جلاسجو ) ! .. اننى لأحس فيك بشىء غريب .. شىء سماوى ، حتى أننى لأود أن أخر ساجدة عند قدميك ، كما فعل الأب زوسيما إذ ركع أمام ديمترى ، فى « الأخوة كارامازوف » .

فابتسم نبيل ، وإن اكتسى وجهه بالاحمرار ، وقال : « أرجو الا تفعلى ! » .

غير أن الروايات التى قرأها جعلته يراها أقل غرابة مما كانت ، إذ هيأت حولها جوا مكنه من أن يكشف فيها عن خصال ربما كانت غير مألوفة فى النساء اللواتى عرفهن فى اسكتلندا — وهن أمه وبنات عمه فى جلاسجو — ولكنها كانت ميزات شائعة بين كثير من شخصيات القصص الخيالية الروسية . فلم يعد يعجب لحبها السهر والاسراف فى احتساء الشاى ، والاستلقاء على الأريكة طول النهار تقريبا ، وإدمانها التدخين .. كان بوسعها أن تظل أياما بطولها لا تفعل سوى ذلك ، دون أن تسأم !.. كانت تنطوى على خليط من الخمول والحيوية !.. وكثيرا ما كانت تقول — وهى تهز كتفيها — أنها

Looloo
www.dvd4arab.com

شرقية ، وما أصبحت أوربية إلا بمحض المصادفة . وكانت ذات بهاء خداع يوحى بأنها شرقية فعلا . وكانت مهملة للغاية ، فلم يبد أنها كانت تستنكر أن تتناثر أعقاب السجاير ، والصحف القديمة ، والعلب المعدنية الخاوية ، فى جنبات غرفة الجلوس . على أن نبيل خال أن فيها شيئا من « آنا كارنينا » ، فحول إليها العطف الذى شعر به نحو هذه المرأة المثيرة للاشفاق ، إذ فهم كبرياءها : فما كان من الشذوذ أن تنبذ سيدات الجالية اللاتى تعرف عليهن بعد ذلك — شيئا فشيئا — فاذا هن من عامة الناس .. كان عقلها أسرع تفكيرا من عقولهن ، وكانت أكثر ثقافة منهن ، كما أنها أوتيت — فوق ذلك — نوعا من الحساسية الجياشة التى كن يبهتن لها إلى درجة غير عادية ، ومع أنها كانت فى المنزل ترتدى « البارونج » و « الباجو » — وهما زى نساء تلك الأصقاع — إلا أنها كانت إذا خرجت مع « انجوس » للعشاء ، تأنقت فى ثيابها بدرجة غير مألوفة هناك . وكانت تحب أن تظهر مفاتن صدرها الكبير وظهرها الجميل ، وكانت تصبغ خديها وتكحل عينيها كما تفعل الممثلات عندما يظهرن على المسرح ! .

ومع أن نبيل كان يغتاط لتلك النظرات المشغوفة أو المهتاجة التى كان ظهورها يثيرها ، إلا أنه لم يكن يملك سوى أن يرى — فى قرارة نفسه — أن مما يرثى له أن تجعل من نفسها نهبا للأنظار ، وكانت تبدو عظيمة فى الواقع ، ولكنك كنت خليقا بأن ترى أنها ليست جديرة بالاحترام ، إذا لم تكن تعرفها ! .. وكان فيها أمور لم يفهمها : فقد كانت ذات شهية عظيمة للأكل ،



وكانت تأكل أكثر مما كان يأكل هو وانجوس معا ! .. ولم يكن فى وسعه أن يعتاد الصراحة التى كانت تتوخاها فى مناقشة الشئون الجنسية .. وكانت — من ناحيتها — ترى أن من المؤكد أنه كان على صلات بكثير من النساء فى مسقط رأسه وفى ( أدنبره ) ، ولهذا أخذت تلح عليه لكى يذكر لها تفاصيل مغامراته . ولكن دهاءه الاسكتلندى ساعده على أن يروغ من إلحاحها ويتهرب من أسئلتها . وكانت تضحك لهذا الاحجام . وكانت تفزعه أحيانا : فقد أخذ يألف الصراحة التى كانت تبدى بها إعجابها بشكله . ولم تكن تتحرك له نأمة عندما كانت تقول له إنه جميل أشبه بإله شاب من آلهة الشمال ، فقد كان الغزل ينحسر عنه كما ينحسر الماء عن ظهر بطة .. ولكنه لم يكن يحب منها أن تمر بيدها — وكانت يدا كبيرا ، ولكنها ناعمة جدا — على شعره ، وتتخلل أصابعها خصلاته برفق . ولم يكن يستسيغ تلك القبلة التى كانت تطبعها على خده وهى تبتسم ! .. وحدث يوما أنها أرادت أن تشرب ، فبدأت تصب الماء فى كوب كانت على المائدة ، وإذا نبيل يسرع قائلا : « هذه كوبى ، وقد شربت فيها ! »

— وماذا فى هذا ؟ .. إنك لست مصابا بالزهرى ، أليس كذلك ؟

— أنا نفسى أكره أن أشرب من كوب غيرى !

وكانت غريبة الأطوار فيما يتعلق بالسجائر كذلك . فقد حدث مرة أن كان معها ، فأشعل سيجارة ، ولكنها مدت يدها وأخذتها من فمه ، وقالت إنها تريدها . ثم شرعت تدخنها ،

www.dvd4arab.com

وبعد أن جذبت منها نفسا أو اثنين ، اعادتها إليه وقالت إنها لم تعد ترغب فى مزيد . وكان طرف السيجارة الذى دفعتــه فى فمها قد اصطبغ بخضاب شــفتيها ، فكره أن يدخنها ، ولكنه خاف أن تظنه فظا فى أنه ألقى بالسيجارة ، فأخذ يدخنهـا باشمئزاز !.. وكثيرا ما كانت تطلب منــه ســيجارة ، فاذا قدمها إليها سألته أن يشعلها لها . وعندما يفعل ذلك ويمد يده بالسيجارة ، تفتح شفتيها لكى يضــعها بينهما !.. ولم يكن بوسعه أن يمنع طرف الســيجارة من أن يبتل من فمه ، فكان يعجب من انها كانت تطيق أن تضعها فى فمها بعد أن كانت فى فمه هو !.. وكان على يقين أن مونرو لا يستسيغ هــذا . ولكنها ذهبت إلى درجة أن فعلت ذلك مرة أو مرتين فى النادى، فشعر نبيل إذ ذاك بأن لون وجهه أصبح قرمزيا ، وود لو أنها لم تكن على هذه العادات المستهجنة . ولكنه ظن أنهــا عادات روسية . ولم يكن فى وسع المرء أن ينكر انها خير رفيقة، فقد كان حديثها مثــيرا إلى حد عجيب .. كان ــ من قبيــل التورية ــ أشبه بالشمبانيا ( التى ذاقها نبيل مرة واحدة ولم يستسغها ) . ولم يكن ثمة ما تعجز عن الكلام فيــه .. وما كانت تتحدث كالرجال ، فأنت حين تتحدث إلى رجل ، تعرف عادة ما سيقوله ، بعد أن تسمع أول حديثه ، أما مع «داريا» ، فما كان بوسعك أن تتنبأ بما توشك أن تقول . وكانت بديهتها رائعة ، فكانت تمنحك آراء ، وتوسع مداركك ، وتثير خيالك .. وقد شعر نبيل بحيوية لم يسبق له أن شعر بها ، وخيــل إليه أنه يسير على قمم جبال ، وأن آفاق الروح غير محدودة



.. وأصبح يحس بنوع من الغبطة إذا ما فكر فى المجال العظيم الذى التقى فيه عقله بعقلها .. كانت هذه الأحاديث تجعــل من اللذة الحسية المزهوة زبدا تافها !.. واستطاع أن يرى أن المرأة كانت أذكى من صادف من النساء ــ من وجوه عديدة ــ مع أن نبيل كان بطبيعته حذرا ، ونادرا ما كان يصدر رأيا ــ ولو فيما بينه وبين نفسه ــ ما لم يكن متأكدا منه !

وكانت إلى جانب هذا الذكاء زوجة « أنجوس مونرو » .. ومهما يكن من تحفظ نبيل إزاء « داريا » ، فانه لم يكن يشعر بأى حذر من ناحية « أنجوس » !.. وكانت براعتها الفــذة خليقة بأن تتضاءل ، إذا هى لم تفد من الإعجاب البالغ الذى كان يكنه لزوجها . فقد كان نبيل يترك نفســه على ســجيتها فى حضرة « أنجوس » ، إذ كان يشعر نحوه بما لم يسبق ان شعر به نحو أى شخص آخر . فقد كان « أنجوس » عاقلا ، متــزنا ، متســامحا إلى أقصى الحـــدود ، وهـــذا هــو الطـــراز الـــذى كان نبيل يرجــو أن يكونه عنــدما تتقدم به السن !.. كان قليل الكلام ، فاذا تكلم صدر فى حديثه عن عقل راجح . وكان حكيما ، ذا نكتة لاذعة يفهمها نبيل ، وتجعل من المزاح الإنجليزى الــذى يصدر عن قلوب رواد النادى عبثــا تافها !.. كذلك كان كريما ، صبورا ، له مهابة يستحيل على أى امرىء إزاءها أن يرفع الكلفة معه ، ولكنه لم يكن ــ مع هذا ــ متعجرفا ولا متكبرا ، وإنما كان صادقا ، وأمينا . ولم يكن إعجاب نبيل به كعالم يقل عن إعجابه به كرجل . فقد كان واسع التفكير ، دقيقا . ومع أن اهتمامه كان منحصرا فى

looloo www.dvd4arab.com

البحوث ، فقد كان يؤدى إجراءات العمل اليومية المألوفة فى المتحف بمواظبة وأمانة .

* * *

وكان فى تلك الفترة معنيا بالحشرات العضوية ويعتزم وضع رسالة فى مقدرتها على التوالد العذرى . وقد وقع حادث ذو علاقة بالتجارب — التى كان يقوم بها — كان له أثره البالغ فى نفس ( نيبل ) . فقد حدث يوما أن أفلت قرد صغير من وثاقه، وأكل جميع اليرقات التى كانت التجارب تجرى عليها ، فأتلف الدليل الذى كان مونرو يعتمد عليه . وقد كاد نيبل أن يبكى عندما رأى هذا ، ولكن أنجوس اكتفى بأن أخذ القـرد وابتسم وربت عليه ، وهو يردد العبارة المأثورة عن اسحق نيوتن : « دياموند ! دياموند !.. إنك لا تدرى مدى ما أوقعت من تلف ! »

وكان يدرس التقليد والمحاكاة بين المخلوقات كذلك . وقد نقل إلى نيبل عدوى اهتمامه بهذا الموضوع المثير للجدل ، وطالما عقدا محادثات طويلة بشأنه . وقد دهش نيبل لغزارة معرفة أمين المتحف ، الذى بدا كالموسوعة ، مما جعل نيبل يخجل من جهله .. وعندما تحدث مونرو عن رحلاته إلى الريف ، ليجمع عينات من الحشرات لتجاربه ، اشتدت حماسة نيبل ، فقد كانت هذه هى الحياة الحقيقية ، فى رأيه .. حياة المتاعب والصعاب ، التى تقترن بالحرمان فى أغلب الأحيان ، وبالخطر فى بعض الأحيان ، والتى يتمثل الجزاء عنها فى نشوة الحصول على عينات نادرة — أو جديدة ، على الأقل — وفى جمال المناظر ، وتأمل الطبيعة ، وفى الشعور — فوق كل شىء —



بالحرية من كل قيد . وكان هذا الجزء من العمل هو الذى عين نيبل لمباشرته أساسا ، فقد كان مونرو منهمكا فى البحوث بحيث بات من العسير عليه أن يتغيب عن مركزه بضعة أسابيع فى الرحلة الواحدة ، كما أن داريا كانت ترفض على الدوام أن ترافقه ، لأنها كانت تشعر بخوف لا حد له من الغابة ، وكانت تذعر من الوحوش والأفاعى والحشرات السامة ، وكان مونرو لا ينفك يؤكد لها أنه ما من حيوان يؤذيها إلا إذا عاكسته أو أخافته . ولكنها لم تستطع — برغم هذا — أن تتغلب على خوفها الغريزى . ولم يكن يحب أن يفارقها ، إذ أنها لم تكن تهتم بالمجتمع المحلى ، وكان يعلم أن ابتعاده عنها يجعل الحياة فى نظرها مملة إلى حد لا يطاق . ولكن السيد كان شديد الاهتمام بالتاريخ الطبيعى ، وتواقا إلى أن يستكمل المتحف جميع الأحياء فى تلك البلاد . وكان على مونرو ونيبل أن يقوما معا برحلة ، حتى يتعلم نيبل كيف يمضى فى العمل . وقد مكثا أشهرا يدرسان خطط هذه الرحلة . وأخذ نيبل يتطلع إليها كما لم يتطلع إلى أى شىء فى حياته !

وكان — فى تلك الأثناء — قد تعلم لغة ( الملايو ) ، وألم إلماما سريعا بمختلف الهجمات التى قد تفيده فى رحلته .. كما كان يلعب التنس وكرة القدم .. وسرعان ما عرف كل شخص من أفراد الجالية الأوربية . وكان يطرح عنه العلم والقصص الروسية ، إذا ما نزل ميدان كرة القدم ، فينصرف إلى الاستمتاع بالملعب . وكان قويا وسريعا ونشيطا فى لعبه .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

ولم يكن فى النية أن يقيم نييل إقامة مستمرة مع مونرو . وقد كانت هناك استراحة رحيبة فى ( كوالا سولور ) ، ولكن القاعدة كانت تقضى بأن لا يقيم المرء فيها لأكثر من أسبوعين ؛ فكان الأعزاب يؤلفون جماعات تشترك كل منها فى دار واحدة ؛ إذ لم تكن لهم مساكن رسمية .. وعندما وصل نييل ، لم يكن هناك مكان خال فى إحدى هذه الدور . ولكن حدث ذات مساء — بعد أن كان قد أقام فى البلاد أربعة أشهر — أن أخبره « وارنج » و « جونسون » ، بينما كانا يجلسان معه بعد مباراة فى التنس ، أن زميلا لهما فى الدار سيعود إلى بلاده ، وسألاه عما إذا كان يجب أن ينضم اليهما فى المسكن .. وكانا شابين فى مثل سنه ، ومن أعضاء فريق كرة القدم ، وقد مال إليهما نييل . وكان «وارنج» يعمل فى الجمارك ، و «جونسون» فى البوليس . وقد ابتهج نييل لهذه الفكرة ، وتقبلها على الفور ، فأبلغاه بنفقات هذه الإقامة ، واتفقا معه على يوم ينتقل فيه إلى الدار ، على أن يكون هذا اليوم بعد أسبوعين .

وأبلغ مونرو وزوجته بهذا النبأ فى وقت العشاء ، قائلا : « إنه لجميل منكما أن أبقيتمانى معكما هذه الفترة الطويلة ، ولكنى كنت على مضض . إذ فرضت نفسى عليكما .. كنت فى أشد حالات الخجل . أما الآن فلم يبق أمامى أى عذر ! » . فقالت داريا : « ولكننا نحب أن تقيم معنا هنا فلست بحاجة إلى عذر ما ! »

— ما أرانى أقيم هنا إلى ما لا نهاية !

— ولم لا ؟.. إن مرتبك ضئيل ، فما جدوى إنفاقه فى



المسكن والمأكل ؟.. ثم إنك لن تلبث أن تضيق بوارنج وجونسون لأنهما غبيان ، ولا يفكران فى شىء غير الانصات إلى « الجراموفون » ، واللعب !

وكان من المناسب حقا أن يعيش الإنسان بغير مقابل ، فقد كان يقتصد الشطر الأكبر من مرتبه . وكان بطبيعته ميالا إلى الاقتصاد ، ولم يعتد التبذير إذا ما لم تدع إليه ضرورة . ولكنه — برغم هذا كله — كان ذا أنفة ، فليس بوسعه أن يعيش على حساب الآخرين . وقد نظرت إليه « داريا » بهدوء ، وبعينين فاحصتين ، وقالت : « لقد الفناك — أنا وأنجوس — وأعتقد أننا سنفتقدك . ويمكنك إذا أردت أن تدفع نفقات إقامتك معنا .. إنك لا تكبدنا شيئا ، ولكنى على استعداد لأن أتبين — من حساب الطاهى — المبلغ الذى تتكلفه ، وتستطيع أن تدفعه إذا كان ذلك يهون عليك الأمور ! » . فأجاب بشىء من التردد : « إن إيواء غريب فى المنزل من الأمور المزعجة ولا بد ! » . ولكنها قالت : « ستكون إقامتك فى تلك الدار مزرية !.. ويالها من قاذورات ، تلك التى يأكلونها ! »

وكان صحيحا أن المرء يأكل عند آل مونرو وجبات لا يجد خيرا منها ، فى أى مكان آخر فى ( كوالا سولور ) ، وقد عرف نييل هذا بالتجربة ، إذ تناول طعام عشائه مرات فى دور أخرى — منها دار المقيم — فلم يجد ما هو أفضل من طعام آل مونرو . إذ كانت « داريا » ذواقة للطعام ، حريصة على أن يكون الطاهى بارعا إلى أقصى درجة . فكان يطهو لها الأكلات الروسية التى تغرى بالإقبال عليها ، وكان حساء

www.dvd4arab.com

الكرنب على مائدتها ، جديرا بأن يسير المرء خمسة أميال ليظفر بنصيبه منه .

وظل مونرو لا يقول شيئا . ولكنه ما لبث أن قال : « يسعدنى أن تبقى معنا . ومن المناسب أن تكون فى عين المكان الذى أكون فيه ، حتى إذا استجد شىء أمكننا أن نبحثه فى وقته .. ان وارنج وجونسون من خير الفتيان ، ولكنك قد تتبين — بعد أن تقضى معهما فترة من الزمن — أنهما محدودا الأفق ! » . فقال نبيل : « آه ، لا بأس إذن ، وسيسرنى البقاء . فالله يعلم أننى لا أريد أحسن من هذا .. كل ما فى الأمر أننى خشيت أن أكون قد أثقلت عليكما ! » .

وهطل المطر فى اليوم التالى ، واشتد إلى حد أصبح من المستحيل معه لعب التنس أو كرة القدم ، غير أن نبيل ارتدى — حوالى الساعة السادسة — معطفا واقيا من المطر — وذهب إلى النادى . ولم يكن هناك أحد غير المقيم ، الذى كان جالسا فى مقعد مريح ، يقرأ إحدى المجلات .. وكان يدعى «تريفليان» ويزعم أنه كان يمت إلى صديق « بيرون » الذى كان يحمل هذا الاسم . وكان طويل القامة ، بدينا ، أشيب الشعر ، ذا وجه كبير أحمر يشبه وجه الممثل الهزلى . وقد كان مغرما بالمسرحيات التى يؤديها الهواة ، وكان أعزب وإن اشتهر بأنه كان ولوعا بالفتيات ، ويحب تعاطى شراب « الجن » قبل العشاء ، ويدين بمنصبه هذا لصداقته للسلطان .. كما أنه كان لطيف المعشر ، محدثا لبقا ، لا يحب العمل كثيرا ، بل يحب أن يسير كل شىء فى يسر وسهولة دون أن يثير أحد أية



مشاكل . ومع أنه لم يكن كفءا ، إلا أنه كان محبوبا من الجميع ، لأنه كان لين العريكة ، مضيافا . والواقع أنه بهذا جعل الحياة مريحة أكثر مما لو أنه كان نشيطا وكفءا :

وإذ وقع نظره على نبيل ، أومأ إليه محييا وقال : « حسنا أيها الشاب ، كيف حال الحشرات اليوم ؟ » . فأجاب نبيل بلهجة جدية : « فى خير حال يا سيدى ! » .

وإن هى إلا بضع دقائق ، حتى دخل «وارنج» و «جونسون» وشخص ثالث ، كان موظفا حكوميا يدعى «بيشوب» . وسألوا نبيل أن يشترك معهم فى لعب « البريدج » ، ولكنه اعتذر . فذهب بيشوب إلى المقيم وسأله : « هل تتكرم بأن تكون رابعنا فى اللعب .. فليس فى النادى اليوم كثيرون » . فنظر المقيم إلى الآخرين ثم قال : « لا بأس . سأفرغ من قراءة هذا الموضوع ، ثم أنضم إليكم ، فابدأوا اللعب وكأننى معكم ، ولن أغيب أكثر من خمس دقائق ! » .. وسار نبيل إلى الرجال الثلاثة ، وقال لوارنج : « بهذه المناسبة ، أشكرك كل الشكر يا وارنج ، ولكنى لن أستطيع الانتقال إلى داركم ، لأن مونرو وزوجته سألانى أن أستمر فى الإقامة معهما ! » .. وارتسمت على وجه «وارنج» ابتسامة عريضة وقال : « هذا عجيب ! » . فقال نبيل : « انه لطف بالغ منهما ، أليس كذلك ؟ .. لقد الحفا فى هذا ، حتى أننى لم أستطع الرفض ! »

فقال بيشوب : « ما الذى قلته لك ؟ » . فأجاب وارنج : « لست اللوم الفتى ! » .. وكان فى مسلك الشابين شىء غريب لم يرق لنبيل . فقد بدا له أنهما كانا يتهكمان . فاحمر وجهه

www.dvd4arab.com

وصاح : « عم تتحدثان بحق الشيطان ؟ » . فقال بيشوب : « آه ، لا تغضب .. إننا نعرف صاحبتنا « داريا » ، ولست انت أول شاب جميل الطلعة تستهويه ، ولن تكون الأخير !» .

ولم يكد ينتهى من كلامه حتى كانت قبضة نيبل قد انطلقت كالبرق ، فأصابت وجه بيشوب ، فسقط على الأرض . وهب جونسون فطوق وسط نيبل ، لأنه كان قد فقد سيطرته على اعصابه ، وأخذ يصيح قائلا : « دعنى ، فسوف أقتله ما لم يسحب ما قال ! » . وانتبه المقيم إلى الهرج ، فقام متثاقلا ، واتجه نحوهم ليستجلى الأمر وقال : « ما هذا ؟.. ما هذا ؟.. ماذا تلعبون أيها الأولاد ، بحق الجحيم ؟ » .. وبهت الجميع ، إذ كانوا قد نسوا وجوده ، وهو صاحب السلطان عليهم . فتخلى جونسون عن نيبل ، واستجمع بيشوب نفسه ووقف ، وتجهم وجه المقيم وسأل نيبل : « ما معنى هذا ؟.. هل ضربت بيشوب ؟ » ، فأجاب : « أجل يا سيدى » . وعاد المقيم يسأله : « ولماذا ؟ » . وإذ أجاب : « لأنه غاه بعبارة تمس شرف سيدة » ، أبرقت عينا المقيم ولكنه استمر فى حديثه قائلا : « وأية سيدة ؟ »

فرفع نيبل رأسه عاليا ، وانتصبت قامته ، وقال : « إننى أرفض الإجابة ! »

ولو لم يكن المقيم أطول من نيبل ببوصتين ، وأكبر منه حجما ، لكان موقف الشاب أدعى للارهاب .. وقال المقيم لنيبل : « لا تكن غبيا ! » . فقال جونسون : « انها داريا مونرو ! » . وإذ ذاك قال المقيم : «وماذا قلت يا بيشوب ؟» .



— لقد نسيت الكلمات التى استخدمتها ، ولكنى قلت ما معناه أنها شاركت عددا كبيرا من الشبان الفراش ، وعبرت عن ظنى بأنها لم تفلت فرصة لأن تفعل ذلك مع « ماك آدم » ايضا !

— إنه ظن ينطوى على أشد الاهانات ، ويحسن بك أن تعتذر إليه وتصافحه !

— لقد تلقيت لكمة شديدة ، ولن تلبث عينى أن تتورم .. وليلعننى الله إذا أنا اعتذرت عن صدق قلته !

— إنك من كبر السن بحيث تدرك أن مجرد صدق قولك يجعله أبلغ إهانة . أما عن تورم عينك ، فيقال إن قطعة من اللحم النيىء تفيد فى مثل هذه الظروف !!.. وإذا كنت أضع رغبتى فى أن تعتذر ، فى قالب رجاء ، فليس هذا سوى مجاملة وتأدبا ، ولكنها فى الواقع أمر !

وسادت فترة من الصمت ، بدا المقيم خلالها متلطفا .. وما لبث بيشوب أن قال فى تجهم : « اننى أعتذر عما قلت يا سيدى » . فقال المقيم : «والآن .. دورك يا ماك آدم !» .

— آسف لأننى آذيته يا سيدى ، وأعتذر أنا الآخر !

فقال المقيم : « فلتتصافحا ! » .. وتصافح الشابان فاستطرد المقيم قائلا : « لست أحب أن يتسع هذا الموضوع ، لأنه لن يكون سارا لمونرو الذى نحبه جميعا على ما أعتقد . فهل أعتمد عليكم فى أن تعقلوا ألسنتكم ؟ » . فأومأوا جميعا

www.dvd4arab.com

برؤوسهم . ومضى المقيم يقول : « والآن .. انصرفوا ، وابق أنت يا ماك آدم ، فانى أحب أن أزجى إليك بضع كلمات ! » . .

وعندما أصبح الاثنان وحيدين ، جلس المقيم وأشعل سيجارا لنفسه ، وقدم آخر لنييل ، ولكن هذا اعتذر لأنه لم يكن يدخن غير السجائر .. وقال المقيم مبتسما : « انك شاب عنيف جدا ، ولست أحب أن يظهر الموظفون الذين تحت إمرتى بمثل هـذه المظاهر فى مكان عام » .

— إن المسز مونرو صديقة حميمة لى ، وقد أظهرت لى عطفا كبيرا ، فلست أطيق أن أسمع شيئا ضدها !

— إننى أخشى إذن أن تضطر إلى أن تنشىء لنفسك وظيفة جديدة تناسبك ، إذا بقيت هنا زمنا أطول .

فصمت نييل برهة ، ووقف منتصبا أمام المقيم ، فارع الطول ، لا يشوب وجهه الجاد سوى أمارات الصدق .. وطوح برأسه إلى الوراء فى تحد ، وأظهر الانفعال لكنته الأسكتلندية أوضح من المألوف ، وهو يقول : « لقد أقمت مع آل مونرو أربعة أشهر ، وأقسم لك بشرفى على أنه — فى النطاق الذى يمسنى — ليست هناك أية ذرة من الحقيقة فيما قاله هذا الوحش .. فلم تبد المسز مونرو لى معاملة يمكن أن تصفها بأنها منطوية على ود لا مبرر له ، ولم تظهر أية بادرة توحى إلى — بالقول أو بالفعل — بأن لديها أية فكرة غير بريئة ، وإنمـا كانت لى بمثابة الأم أو الشقيقة الكبرى ! » .. وظل المقيم يراقبه فى تهكم واستهزاء ، ثم قال : « يسعدنى جدا أن أسمع هذا فهو أحسن ما سمعته عنها منذ وقت طويل ! »



— أنت تصدقنى يا سيدى .. أليس كذلك ؟

— طبعا !.. وربما تكون قد أصلحتها !

ونادى المقيم الساقى ، فطلب منه كأسا من الجن ثم التفت إلى نييل وقال : « هذا يكفى ، ويمكنك الآن أن تذهب إذا أردت ، ولكنى لا أريد المزيد من العراك ، فحذار ، وإلا أوقعك هـذا فى متاعب ! »

* * *

وعندما سار نييل عائدا إلى دار مونرو ، كان المطر قد توقف عن الهطول ، وظهرت النجوم فى رقعة السماء المخملية ، وأخذت الفراشات تطير فى الحديقة وتنتقل بين الأزهار ، وتصاعد من الأرض دفء معطر .. مما كان يوحى إليك بأنك إذا توقفت عن السير استطعت أن تسمع حركة نمو الزرع الجميل .. وكانت زهرة الليل البيضاء تبعث فى الجو أريجا شذيا .

وكان مونرو يجلس فى الشرفة منهمكا فى نسخ بعض المذكرات على الآلة الكاتبة ، بينما استلقت « داريا » على مقعد طويل ، وراحت تقرأ .. وكان المصباح المعلق وراءها يلقى ضواه على شعرها القاتم ، فيكسبه بريقا يبديه كالهالة !.. وعندما سمعت خطواته ، وضعت الكتاب جانبا ونظرت إليه وابتسمت ابتسامة مسرفة فى الود . وقالت : « أين كنت يا نييل ؟ » . فأجاب : « فى النادى » . وعادت تقول : « وهل كان هنـاك أحد ؟ »

Looloo
www.dvd4arab.com

وكان المنظر عائليا مريحا ، وفى مسلك « داريا » دعة وطمأنينة يستحيل على الإنسان الا يتأثر بهما ، وقد انصرف كل من الزوجين إلى ما يهمه ، ومع ذلك فقد لاح أنهما متحدان ، وأن ائتلافهما طبيعى إلى حد لا يمكن لأى إنسان أن يتصور معه أنهما غير سعيدين !.. ولم يصدق نبيل كلمة واحدة مما قال بيشوب وما لمح به المقيم ، فقد كانت هذه أمورا لا يقبلها العقل ، وكان هو متأكدا — على أية حال — من أن ماساورهم من ريب نحوه كان بعيدا عن الحقيقة ، فلماذا لا يكون باقى الحديث غير حقيقى كذلك ؟ .. لقد كانت لهؤلاء الناس أفكار خبيثة ، وكانوا أشرارا ، ولهذا فهم يظنون أن كل شخص آخر على شاكلتهم !.. وشعر بألم فى مفاصل أصابعه ، ولكنه شعر أيضا بالاغتباط لأنه آذى بيشوب .. وتمنى لو يعرف من الذى بدأ إذاعة هذه الشائعة الخبيثة ، إذن لدق عنقه !

غير أن مونرو قطع عليه أفكاره ، معينا موعد الرحلة التى بحثا أمرها طويلا . وبدأ — بطريقته الدقيقة — يعد العدة للرحلة ، حتى لا ينسيا شيئا فى المحطة الأخيرة . وكانت الخطة التى رسمها تتمثل فى أن يمضيا فى النهر إلى أقصى ما يستطاع ، ثم يشقا طريقهما خلال الغابة ويسعيا وراء العينات على جبل ( هيتام ) الذى لا يعرفه الكثيرون . وكانا يتوقعان أن تستغرق الرحلة شهرين . وأخذت روح مونرو المعنوية ترتفع باقتراب موعد الرحيل . ومع أنه لم يكن يتحدث كثيرا — بل ظل هادئا متماسكا أعصابه — إلا أنه لم يكن من العسير على المرء أن يحكم من البريق الظاهر فى عينيه والنشاط الذى دب فى خطواته ،



بمدى تشوقه إلى البدء فى الرحلة .. وبينما كان فى المتحف فى صبيحة أحد الأيام ظهر عليه المرح ، وقال فجأة لنبيل ، بعد أن فرغا من بعض تجارب كانا يجريانها : « لدى أنباء ساره لك .. إن داريا ستأتى معنا ! »

— هل ستأتى حقيقة ؟.. أنه لأمر عظيم حقا !

واغتبط نبيل لهذا النبأ ، بينما قال مونرو :

— إنها المرة الأولى التى تمكنت فيها من إغرائها بمرافقتى . وكم نبأتها أنها ستسر وتستمتع بالترحال ، ولكنها لم تكن تصغى إلى !.. يا للنساء من مخلوقات شاذة !.. لقد يئست من إقناعها ، فلم أسألها المجىء فى هذه المرة ، ولكنها فاجأتنى فى الليلة الماضية برغبتها فى مرافقتنا !

فقال نبيل : « لشد ما أنا مسرور ! » . وأردف مونرو : « لم أكن استسيغ فكرة تركها وحدها فترة طويلة . أما الآن ، فيوسعنا أن نبقى فى الرحلة أطول فترة نشاء ! » .

وبدأت الرحلة فى ساعة مبكرة من صباح أحد الأيام وقد استقلوا أربعة قوارب ، يقودها بحارة من أبناء الملايو . وكانت الحملة تتألف من خدمهم وأربعة من الصيادين ، من عشائر « الدياك » . وجلس البيض الثلاثة متجاورين تحت السقيفة — فى أحد هذه القوارب — بينما كان الخدم الصينيون و « الدياك » فى القوارب الأخرى . وقد اصطحبوا أكياسا من الأرز لمرافقيهم ، وأطعمة لأنفسهم ، وملابس ، وكتبا . وكل ما كان ضروريا لعملهم .. وما كان أسعدهم حين تركوا المدينة وراءهم ، فاستولى عليهم المرح ، وأخذوا يتحدثون ، ويدخنون ،

ويقرأون !.. وكانت حركة النهر مهدئة للأعصاب إلى حد رائع .. وتناولوا طعام الغداء على شاطىء مكسو بالحشائش والأعشاب ، حتى إذا كان الغسق ، القوا المراسى لقضاء الليل ، وقد ناموا فى دار طوبلة ، واحتفل الأهالى بزيارتهم ، فقدموا شراب « العرق » ، واقاموا حفلة راقصة يقصر عن وصفها الخيال !

وفى اليوم التالى ، أخذ مجرى النهر يضيق ، فزاد فى شعورهم بأنهم مقدمون على المجهول . أما النباتات التى حفلت بها حواف الشاطئين — وكأنها حشد من الناس المتحمسين تدفعهم من الوراء حشود أكبر — فقد فتنت نبيل إلى حد بهر أنفاسه عجبا وغبطة !.. حتى إذا كان اليوم الثالث ، انتقلوا إلى قوارب أخف وزنا ، إذ ازداد المجرى ضحلا والتيار اندفاعا . ولكن التيار اشتد ، فلم يعد فى طاقة البحارة أن يجدفوا ، بل استخدموا المدراة لتسيير القوارب ضد التيار بحركات قوية رائعة . وكانوا بين الحين والآخر يمرون بشلالات ، فينزلون إلى الشاطىء ، ويفرغون القوارب ، ثم يسحبونها خلال ممرات مملوءة بالصخور ..

* * *

وفى اليوم الخامس بلغوا بقعة لم يتمكنوا بعدها من التقدم. وكانت هناك دار حكومية فقضوا فيها ليلتين ، قام خلالها مونرو باتخاذ الإجراءات اللازمة ليوغلوا فى داخل البلاد . فطلب حمالين لنقل متاعهم ، ورجالا ليبنوا لهم دارا عندما يصلون إلى جبل ( هيتام ) . وكان لزاما على مونرو أن يقابل



زعيم قرية مجاورة ، فرأى — اقتصادا فى الوقت — أن يذهب بنفسه إلى الزعيم ، بدلا من أن يستدعيه إليه . ولهذا ذهب إلى القرية فى فجر اليوم التالى لوصولهم ورافقه دليل واثنان من « الدياك » . وكان يتوقع أن يعود فى بضع ساعات .

وبعد أن ودع نبيل رئيسه ، رأى أن يستحم . وكانت هناك بركة غير بعيدة عن الدار ، ينساب فيها الماء صافيا ، حتى لتستطيع أن ترى كل ذرة من رمال القاع . وكان النهر فى هذه البقعة ضيقا للغاية ، حتى أن أشجار الضفتين كانت تتعانق فوقه .. كانت بقعة جميلة ، ذكرت نبيل بالبرك الاسكتلندية التى كان يستحم فيها وهو غلام ، وإن كانت — مع هذا — تختلف عنها اختلافا غريبا ، إذ كان يخيم عليها جو شاعرى ، وإحساس بالطبيعة البكر ، مما ملأ قلبه بمشاعر تعذر عليه تحليلها .. ولقد حاول تحليلها — فى الواقع — ولكن رؤوسا أكبر سنا من رأسه ، عجزت عن تعرف كنه هذه السعادة ! .. وكان هناك طائر أزرق اللون ، يقف على فرع شجرة ، وقد انعكس لونه الأزرق الزاهى على ماء الجدول الشفاف . ثم طار ، فاذا له جناحان فى بريق الجواهر . والظاهر أنه فوجىء بظهور نبيل الذى خلع ثيابه ، وارتمى فى الماء !

وكان الماء عذبا ، ولكنه لم يكن باردا . فأخذ يضرب فيه بيديه ورجليه ، مستمتعا بحركة ساقيه القويتين . ثم استلقى على ظهره ، وأخذ يتطلع — خلال الأغصان — إلى السماء الزرقاء ، وإلى الشمس التى كانت ترسل أشعتها على سطح الماء . ولكنه سمع فجأة صوتا يقول : « ما أفصح بياض

Looloo
www.dvd4arab.com

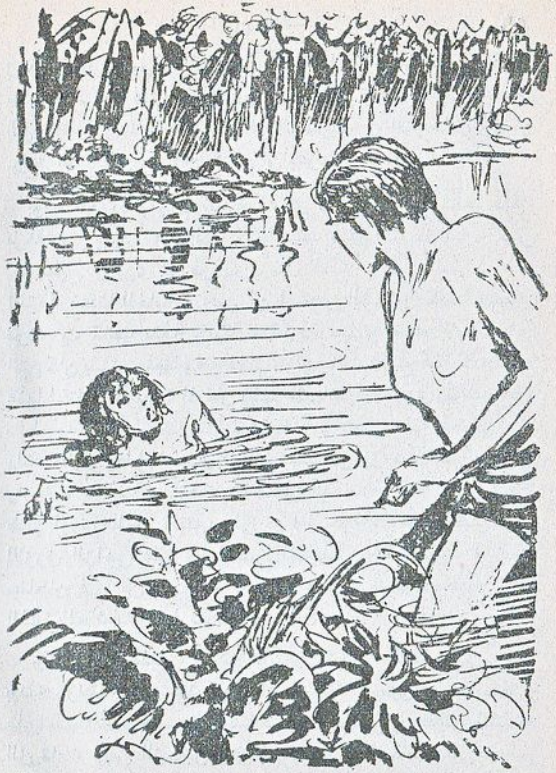

ولكنه سمع فجأة صوتا يقول : « ما أنصع بياض جسمك يا نبيل ! »



جسمك يا نبيل ! » . فشهق وانتفض من استلقائه ، وغاص بجسمه فى الماء، ثم استدار فرأى داريا واقفة على الشاطىء!..

وقال : « اسمعى .. ليست على جسدى ثياب ما ! » .

ـــ إننى أرى هذا .. وإنه لأكثر متعة أن يستحم الإنسان بغير ملابس ! انتظر برهة ، فانى آتية إليك ، إذ يلوح الاستحمام ممتعا !

وأخذت تخلع ملابسها ، فأسرع يشيح بوجهه . ثم سمع صوت ارتطام جسمها بالماء ، فضرب الماء مرتين أو ثلاثا ليبتعد فيفسح لها مكانا تسبح فيه بمنأى عنه . ولكنها سبحت نحوه وقالت : « أليس الشعور بالماء على الجسم لذيذا ؟ » .

وضحكت ، وفتحت كفها ناثرة الماء عليه ، فارتبك ولم يدر إلى أية ناحية يوجه نظره ، إذ كان من المستحيل عليه ـــ فى هذا الماء الصافى ـــ ألا يرى أنها كانت عارية من كل شىء . ولم يكن الأمر سيئا وهى فى الماء ، ولكنه لم يتمالك أن يفكر فى الصعوبة التى ستحف بمبارحة الماء . وبدا أن « داريا » كانت منتشية ، إذ هتفت : « لست أبالى بأن يبتل شعرى! » . ثم انقلبت على ظهرها ، وسبحت حول البركة بضربات قوية ، بينما كان نبيل يقول لنفسه إن خير ما يجب أن يفعله ـــ عندما تغادر الماء ـــ هو أن يوليها ظهره ريثما ترتدى ملابسها وتنصرف .. ثم يغادر الماء بعد ذلك .. ولكنها لم تكن شاعرة بحرج الموقف ـــ فيما بدا ـــ فاغتاظ منها ومن مسلكها غير اللائق وقد ظلت تتحدث إليه وكأنها على البر فى كامل ملابسها ..

Looloo www.dvd4arab.com

بل انها راحت تلفت انتباهه إليها ، إذ قالت : « هل يبـدو شعرى بشع المنظر ؟ .. إنه من النعومة بحيث يغدو كذيول الجرذان إذا ما ابتل ! .. أمسكنى من تحت كتفى لحظة ، ريثما أحاول أن أعقصه ! » .

ـــ إنه لا بأس به ، ومن الخير أن تتركيه الآن .

ـــ إننى اكاد أموت من الجوع ، فما رأيك فى تناول الفطور ؟

ـــ إذا خرجت من الماء أولا ، وارتديت ملابسك ، فسأتبعك بعد دقيقة واحدة .

قالت : « حسنا » . وسبحت نحو الشاطىء بحركتين من ذراعيها . أما نبيل فقد حول نظره إلى ناحية أخـرى حتى لا يراها وهى تخرج عارية من الماء .. ولكنها لم تلبث أن صاحت : « لست قادرة على الخروج ، فتعال وساعدنى ! » .. فقد كان النزول إلى النهر سهلا ولكن الشاطىء كان عاليا، بحيث يتمين على المرء أن يرفع نفسه بأن يتشبث بغصن شجرة .. وقال نبيل : « لا أستطيع ذلك ، فليست على جسمى قطعة من الملابس » .

ـــ أعرف هذا ، فلا تكن متزمتا كمواطنيك الاسكتلنديين ، بل اخرج إلى الشاطىء ، ومد إلى يدك لتساعدنى على الخروج !

ولم يكن هناك مفر من هذا ، فخرج نبيل وسحبها وراءه . كانت قد تركت ملابسها بجـوار ملابســه ، فأخذت تجفف جسمها . ولم يسع نبيل إلا أن يحذو حذوها . ولكنه أدار لها ظهره من باب الكياســة والذوق ، فقالت له : « الحق أن لك



جسدا جميلا للغاية ، فهو أبيض ، ناعم الملمس ، كانه جسم امرأة ! .. إنه لأمر عجيب أن تكون هذه الصفات مقترنة بمثل قوتك وفتوتك .. ثم أنك لم تؤت شعرة واحدة على صدرك ! » .
فلف نبيل « الســارونج » ـــ المئزر ـــ حول خصره ، وسلك ذراعيه فى « الباجو » ، ثم سألها : « أعلى استعداد أنت ؟ » .

وظل نبيل بعد الفطور متجهما بعض الشىء .. لقد كانت « داريا » ممعنة فى صبغتها الروسية إلى أبعد مدى . وكان من الغباء أن تتصرف تصرفا كهذا ، لم يكن فيه شىء من الضرر ـــ بطبيعة الأمر ـــ ولكنه كان عين النوع الذى يحمل الناس على أن يظنوا فيها الظنون .. وأسوأ ما كان فى الأمر ، انك لم تكن تملك أن تنبهها إلى الأمر بأية إشارة ، فانها ما كانت تفعل سوى أن تضحك منك . ولكن الواقع هو أنه لو كان قد قـدر لواحد من أولئك الرجال الذين فى ( كوالا سولور ) أن يراهما يستحمان سويا وهما عاريان ، لما أفلحت أية حجة فى إقناعه بأنه لم يحدث بينهما شىء غير لائق ! .. وقد اعترف نبيل بينـه وبين نفســه ـــ وبطـريقته المنصفة ـــ بانه لا يملك أن يلوم أشخاصا كهؤلاء .. كان تصرفها أسوأ ما يكون ، فما كان من حقها أن تزج بشخصى فى مثل هذا المأزق .. وشعر بأنه مغفل، فقد كان المسلك مجافيا للياقة ، مهما يكن رأيك أو حجتك !

* * *

وفى صباح اليوم التالى ، شاهدا الحمالين آتين فى صـف طويل ، وقد حمل كل منهم نصيبه من الأمتعة فى سـلة علقت على ظهره ، ووراءهم الخدم والأولاد والصيادون . فانضمـا

Looloo
www.dvd4arab.com

إلى هذا الموكب ، وسار الجميع فى طريق يمتد فوق الحواف السفلى للجبل ، خلال وهاد ومرتفعات تكسوها أعشاب طويلة . وكانوا يصادفون — بين فترة وأخرى — جداول ضيقة اجتازوها على جسور مصنوعة من ألغاب . وكانت الشمس تلفحهم بحرارتها العنيفة . ووصلوا بعد ظهر ذلك اليوم إلى ظلال أجمة من أشجار الغاب ، فكانت متنفسا لهم بعد ذلك القيظ الشديد . وكان منظر الغاب رائعا وهو ينتصب فى رشاقة إلى ارتفاعات لا يكاد يصدقها العقل .. وأخيرا ، وصلوا إلى الغابة الكبرى : أشجار ضخمة تلتف حولها النباتات المتسلقة الغزيرة ، وقد تعانقت الفروع والأغصان ، وخيمت عليها الرهبة !.. وشق القوم طريقهم خلال الأعشاب والنباتات الكثيفة ، ضاربين وسط ظلام خفيف كظلام الغسق ، لا يحظون بلمحة من ضياء الشمس إلا بين آن وآخر ، خلال الأغصان المتشابكة فوقهم .. ولم يروا إنسانا أو حيوانا ، لأن سكان الغابة يجفلون عادة لأول صوت لوقع الأقدام ، فيختفون عن الأنظار ! .. وكانوا يسمعون الطيور فى أعالى الأشجار ، ولكنهم لم يروا منها غير طائر « أبى الزهور » المغرد ، الذى يتنقل بين الشجيرات ويحط على الزهور ليداعبها ويغنى لها . وما لبث القوم أن حطوا الرحال لقضاء الليل . فأعد الحمالون فرشا من الأغصان بسطوا عليه قماشا واقيا من البلل والرطوبة . وأعد الطاهى الصينى العشاء ، فلما انتهوا من تناوله ، تأهبوا للنوم .



وكانت هذه هى الليلة الأولى التى يقضيها نبيل فى غابة ، ولهذا لم يستطع النوم . فقد كان الظلام دامسا ، وأصوات الحشرات التى لا تحصى تكاد تصم أذنيه ، ولكنها كانت أشبه بصوت حركة المرور فى مدينة كبيرة .. صوت مسترسل ، رتيب ، حتى لقد كان يخيل لنبيل — فى لحظات وجيزة — أنه صمت لا يعكره شىء .. فاذا ما سمع صرخة أطلقها قرد هاجمته أفعى ، أو صياح طائر من طيور الليل ، أوشك قلبه أن يقفز من صدره ، وداخله إحساس خفى ، بأن جميع المخلوقات المحيطة بهم تراقبهم .. كان هناك صراع وحشى مستعر فى جوف الغابة ، وراء نار المعسكر ، بينما كانوا — هم البيض الثلاثة — ينامون على فراشهم المعد من أغصان الأشجار ، لا يملكون دفاعا عن أنفسهم .. كانوا وحيدين أمام أهوال الطبيعة . وكان مونرو بجواره ، وأنفاسه تترد بهدوء خلال نومه العميق .

وهمست داريا : « استيقظ أنت يا نبيل ؟ » . فأجاب :

— أجل ! ماذا بك ؟

— إننى خائفة .

— ليس هناك ما يخيف .

— الصمت رهيب .. ليتنى لم أرافقكم !

وأشعلت سيجارة .. وما لبث النعاس أن استولى على نبيل ، ولكنه سرعان ما استيقظ على صوت نقر طير « نقار الخشب » وضحكته الرقيقة ، وهو يطير من شجرة إلى أخرى ، وكأنه يسخر منهم !



Looloo
www.dvd4arab.com

وبعد أن تناولوا فطورا سريعا – فى الصباح التالى – استأنفت الحملة سيرها . وكانت القردة تقفز بين الأغصان وتتجمع فى ندى الفجر المتساقط من أوراق الشجر ، وصرخاتها الغريبة أشبه بنداء الطير .. وبدد الضوء مخاوف « داريا » ، فاذا بها متيقظة الحواس ، مرحة ، بالرغم من أنها قضت ليلة لم تر فيها النوم . ومضى القوم يتسلقون الجبل حتى وصلوا بعد الظهر إلى مكان مناسب لإقامة معسكر ، وهنا قرر مونرو أن يقيم بيتا . وبدأ الرجال العمل ، فقطعوا بسكاكينهم الطويلة جريد النخيل وأغصان الشـــجيرات ، وسرعان ما أقاموا كوخا من غرفتين ، يرتفع عن الأرض فوق أعمدة من الخشب .. وكان نظيفـــا ، جديدا ، ناضر الخضرة ، زكى العبير .

ولم يكن مونرو وزوجته يشعران بالغربة فى أى مكان : هو بفضل قدم تعوده ، وهى لأنها ظلت سنوات تجوب العالم ، ولأنها أوتيت موهبة القطط فى إراحة نفسها أينما حلت . فان هو إلا يوم واحد ، حتى كانوا قد دبروا كل شىء ، واستقروا ، وأصبح لهم برنامج يومى لا يتغير . ففى الصـــباح الباكر ، كان نيبل ومونرو يخرجان – كل على حدة – لجمع العينات . أما فترة بعد الظهر ، فكانت تقضى فى تثبيت الحشرات فى صناديق ، والفراشات بين صفحات من الورق ، وتحنيط الطيور . حتى إذا حل الظلام ، راحا يتصيدان اليرقات . وكانت « داريا » تشغل بشئون البيت والخدم والحياكة والقراءة ، وتدخن ما لا حصر له من السجائر . ومرت الأيام بهيجة ، رتيبة ، ولكنهـــا حافلة بالأحداث . وكان نيبل مفتونا : ارتاد الجبل من جميع



نواحيه . وعثر فى أحد الأيام على أنواع جديدة من الحشرات العصوية ، فأطلق عليها مونرو اسم «كونيكوليتا ماك آدم» .. وهذه هى الشهرة بعينها !.. وشعر نيبل – وكان عندئذ فى الثانية والعشرين من العمر – بأنه لم يعش سدى ، ولكن حدث – فى يوم آخر – أن كادت أفعى أن تقتله ، ولكنه نجا بأعجوبة .. لم يكن قد رآها نظرا لخضرة لونها ، ولم ينقذه من عدوانها سوى أحد الصيادين « الدياك » ، وكان يرافقه . فتعاون معه على قتلها ، ونقلاها إلى المعســـكر . وقد ارتجفت « داريا » عندما شاهدتها ، فقد كانت تعانى من ذعر – يكاد يكون جنونيا – من وحوش الغابة . ولم تكن تبتعد عن المعسكر أكثر من بضع ياردات ، خوفا من أن تضل الطريق . وقد سألت نيبل – ذات ليلة – عندما كانوا جالسين يتناولون العشاء : « هل أخبرك أنجوس يوما كيف ضل الطريق ؟ » . فابتسم أنجوس وقال : « إنها لم تكن تجربة سارة » . وإذ ذاك قالت داريا : « خبره عنها يا أنجوس ! » .

***

وتردد أنجوس برهة ، فقد كانت تجربة يكره أن يتذكرها . ولكنه قال أخيرا : « كان ذلك منذ بضع سنوات ، وكنت قـــد خرجت ومعى شبكة صيد الفراشات . واسعدنى الحظ فى ذلك اليوم ، إذ حصلت على عينات نادرة ، كنت أبحث عنها منذ زمن طويل . وبعد فترة من الوقت أحسست بأننى جوعان ، فعدت أدراجى . وسرت قليلا ، وهنا طرأ على بالى أننى قد سرت مسافة أبعد من المنطقة التى كنت أعرفها . وشاهدت

Looloo
www.dvd4arab.com

فجأة علبة ثقاب فارغة ، ففزعت إذ أدركت أنها عين العلبة التى ألقيتها عندما بدأت فى العودة . وهذا معناه أنى كنت أسير فى دائرة ، فعدت إلى النقطة التى كنت فيها منذ ساعة !.. ولم يسعدنى هذا بطبيعة الحال ، ولكنى فحصت المكان حولى، ثم بدأت السير من جديد . وكان الجو خانقا ، وقد نضح العرق جسمى .. وظننت أننى اهتديت إلى اتجاه المعسكر ، فأخذت أبحث عن الآثار التى طبعتها قدماى فى مجيئى . وخيل إلى أنى عثرت على علامة أو اثنتين، فانتعش الأمل فى نفسى، وواصلت السير .. وشعرت بظمأ شديد .. ومضيت فى سبيلى مهتديا ببعض النباتات والمعالم الأخرى . غير أنى أدركت فجأة أننى ضللت الطريق ، إذ لم يكن من المعقول أن أكون قد سرت فى الطريق الصحيح هذه الفترة من الزمن دون أن أصل إلى المعسكر !.. وأعترف أننى جزعت . غير أنه كان من الواجب أن أتمالك نفسى . فجلست ، وأخذت أفكر فى الموقف .. وكنت أتعذب من العطش ، وقد انقضى الظهر منذ وقت طويل ، ولم يبق على حلول الظلام غير ثلاث ساعات أو أربع . ولم أعجب بفكرة قضاء الليل فى الغابة . وكان الشىء الوحيد الذى هدانى إليه التفكير ، هو محاولة العثور على جدول . فإذا تتبعت مجراه أوصلنى إلى جدول أكبر ، ثم إلى النهر . ولكن هذا كان يقتضى — بطبيعة الحال — يومين أو ثلاثة أيام ، فلعنت نفسى لغفلتى !.. غير أنه لم يكن أمامى سبيل آخر ، فعاودت السير ، حتى إذا قدر لى أن أصادف جدولا ، استطعت أن أشرب وأروى عطشى على أية حال . ولكننى لم أعثر على قطرة ماء فى أية ناحية ، فبدأت أشعر بالخوف . ورأيت أننى سأظل



فى تجوالى هذا إلى أن أسقط إعياء .. وكنت أعرف أن فى الغابة كثيرا من الحيوانات الكاسرة ، وأننى هالك لا محالة إذا صادفت خرتيتا . وكان أدعى الأمور إلى جنونى ، أننى كنت أعرف أننى لم أكن أبعد عن المعسكر بأكثر من عشرة أميال ، فأرغمت نفسى على أن أظل متمالكا قواى العقلية .. وكان النهار قد بدأ يولى ، ويأخذ الظلام ينتشر فعلا فى أعماق الغابة .. وشعرت بالأسف لأنى لم أكن قد حملت معى بندقية فكنت أطلقتها ليسمعها من كانوا فى المعسكر فيعرفوا أنى ضللت الطريق ويبحثوا عنى .. وكانت النباتات كثيفة حتى أنه لم يكن فى استطاعتى أن أرى الأشياء ، على بعد يزيد عن ست أقدام .. وشعرت — ولست أعرف أكان ذلك بتأثير الأعصاب المرهفة ، أم لا — بأن هناك حيوانا يتسلل بجانبى ، فوقفت ، ووقف هو الآخر .. ومشيت فمشى هو !.. ومع أننى لم أستطع أن أرى شيئا، أو ألمح أية حركة بين النباتات — بل ولم أسمع صوت تكسر أى غصن ، أو احتكاك جسم بأوراق الشجر — إلا أننى كنت أعرف إلى أى مدى تستطيع هذه المخلوقات أن تسير دون أن تحدث أى صوت .. وكنت متأكدا من أن شيئا ما يتعقبنى ، فأخذ قلبى يدق بعنف حتى ظننت أنه يكاد ينفجر ، وشعرت بخوف شديد ، ولم أستطع أن أمنع نفسى من العدو إلا باستخدام كل ما لدى من قدرة على ضبط النفس . فقد كنت أعرف أننى أقضى على نفسى بالهلاك إذا عدوت ، إذ لم يكن ثمة معدى من أن أتعثر فى جذع شجرة فأسقط على الأرض ، وعندئذ ينقض الحيوان على .. ولو أننى عمدت إلى الجرى ، لما كان ثمة من يعلم غير الله إلى أين أذهب !..

www.dvd4arab.com

وشعرت بأن على أن أتمالك قواى .. وأحسست بأننى أكاد أبكى . هذا فضلا عن ذلك العطش غير المحتمل ، الذى كنت أشعر به .. أبدا لم يتملكنى الخوف كما تملكنى إذ ذاك !.. وصدقنى إذا قلت إننى لو كنت أحمل مسدسا ، لأطلقته على رأسى . فقد كان الموقف رهيبا ، فلم أكن أصبو إلى أكثر من إنهائه . وكنت تعبا بحيث لم أعد أقوى حتى على الترنح !.. ولو كان لى عدو أصابنى بإساءة قاتلة ، لما تمنيت له العذاب الذى عانيته إذ ذاك !.. وفجأة ، سمعت صوت طلقتين ، فسكن قلبى !.. إذن فهم يبحثون عنى ؟!.. وهنـا فقـدت صوابى ، فرحت أعدو فى اتجاه الصوت وأنا أصرخ بأعـلى صوتى .. وسقطت على الأرض ، ولكنى نهضـت واقفا ، وواصلت العدو ، وظللت أصرخ حتى خيـل إلى أن رئتى ستنفجران .. وسمعت صوت طلق آخر ، أقرب من الطلقين السابقين، فعاودت الصراخ .. وإذا بى أسمع صراخا يجيبنى، كما سمعت جلبة تدافع بعض الرجـال خـلال النباتات .. وسرعان ما رأيت نفسى محاطا بصيادين من « الدياك » ، أخذوا يشدون على يدى ويقبلونهما .. وكانوا يضحكون ويبكون فى وقت واحد ، فكدت أبكى أنا أيضا .. وسقطت فاقد الوعى ، ولكنهم أعطونى بعض الشراب . ولم نكن نبعد بأكثر من ثلاثة أميال عن المعسكر .. وكان الظلام حالكا عندما عدنا إليه !.. لعمرى ، لقد كانت تجربة جعلتنى أقرب ما أكون إلى الهلاك !»

وسرت فى جسد «داريا» رعشة قوية ، بينما أردف زوجها: « صدقانى إذا قلت إننى لا أود أن أضل طريقى فى الغابة مرة



أخرى ! » . فسأله نبيل : « وماذا كان يحدث لو أنهم لم يعثروا عليك ؟ » .

ـــ أستطيع أن أخبرك بهذا : كنت أجن ! .. وإذا لم تلدغنى أفعى ، أو يهاجمنى خرتيت ، كنت أمضى متخبطا إلى أن أسقط إعياء .. أو أموت جوعا أو ظمأ .. ولا تلبث الوحوش أن تنهش جسمى ، وينظف النمـل عظامى من البقـايا التى تخلفهـا الوحوش !

ورانَ عليهم ـــ بعد هذا الحديث ـــ صمت ممض !

* * *

وحدث بعد أن قضوا قرابة الشهر على جبل ( هيتـام ) ، أن أصيب « نبيل » بالحمى ، برغم « الكينين » الـذى حمله مونرو على أن يتعاطاه بانتظام ، ولم تكن الإصابة شـديدة ، ولكنه حنق على نفسه لاضطراره إلى ملازمة الفراش .. وتولت داريا تمريضه ، فخجل من نفسه لأنه أتعبها . ولكنها لم تكن تصغى إلى اعتراضاته .. وكانت ـــ فى الواقع ـــ ذات كفاءة بالغة !.. وزاد من ضيق نبيل أن اضطر إلى أن يسمح لها بأن تؤدى له أشياء كان بوسع الخدم الصينيين أن يؤدوها عنها ، ولكنها ظلت ترعاه رعاية تامة . وعنـدما بلغت الحمى أقصى عنفوانها ، راحت تغسل جسمـه بالماء البارد بقطعـة من الاسفنج ، فكان يشعر لذلك براحة لا سبيل إلى وصفها ، ولكنه كان يشعر بحرج شديد كذلك . بيد أنها أصرت على أن تغسل له جسمه فى الصباح مرة ، وفى المساء أخرى . وكانت تقول له:

www.dvd4arab.com

« إننى لم أمكث فى المستشفى البريطانى فى ( يوكوهاما ) ستة أشهر ، دون أن أتعلم أبسط مقتضيات التمريض .. علـــى الأقل ! » .

وكانت تقبله فى فمه فى كل مرة ، بعد أن تنتهى من غســل جسمه . وكانت هذه مودة وتلطفا منها استعذبهما ، ولكنه لم يضف عليهما أهمية تذكر ، بل إنه تمادى إلى أكثر من ذلك ، فعلق على الأمر بدون حياء ، وهو شىء نادر منه . فقد سألها يوما : «هل اعتدت دائما أن تقبلى مرضاك ، فى المستشفى ؟» . فابتسمت وقالت : « أو لست تحب أن أقبلك ؟ » . وأجاب : « لا يضيرنى هذا » . فقالت بتهكم : « لعله يعجل بشفائك ! » .

وحلم بها فى إحدى الليالى ، فاستيقظ فجأة والعرق يكسو جسمه . وشعر بأن درجة حرارته هبطت ، وأن حاله قــد تحسنت . ولكنه لم يهتم بذلك ، لأن ما رآه فى المنام ملأه بالخجل .. واستولى عليه الفزع ، لأن مجرد توارد هذه الأفكار على رأسه ــ ولو فى النوم ــ أثار أســاه ، إذ أحس بأنه وحش فاسق !.. وكانت تباشير النهار قد بدأت تنبثق . وسمع « مونرو » يستيقظ فى الغرفة المجاورة ــ التى كان يشغلها وزوجته ــ وكانت داريا قد نامت فى ساعة متأخرة ، فحرص مونرو على ألا يزعجها .. وعندما مر بغرفة نبيل ، هتف به بصوت خافت : « هالو ! .. أمستيقظ أنت ؟ »

ــ أجل لقد عاودتنى النوبة ، ولكنى تحسنت الآن .



ــ حسن .. يحســن بك أن تبقى فى الفراش اليــوم ، وستصبح غدا فى أكمل صحة .

ــ أرجو أن ترسل إلى « آه تان » بعد أن تتناول فطورك .

* * *

وسمع مونرو عندما غادر الدار .. ثم جاء الخادم الصينى ، فطلب نبيل منــه ما كان يبغى . وإن هى إلا ســاعة حتى استيقظت داريا، فجاءت إليه ، والقت بتحية الصباح . ولكنه لم يستطع التطلع إليها .. وقالت له : « سأتناول فطورى ، ثم آتى لأغسل لك جسمك » . ولكنه أجابها : « لقد اغتسلت .. استعنت بآه تان على ذلك » . فهتفت متسائلة : «ولماذا؟» . وكان جوابه : « إنما أردت أن أعفيك من هذه المشقة ! » .

ودنت من الفراش ، وانحنت لتقبله ، ولكنه حول رأســه بعيدا عنها ، وقال : « أرجو ألا تفعلى ! » . فتساءلت فى عجب: « ولماذا ؟ » . فتمتم : « أنه عمل سخيف ! » .. وتفرست فيه برهة وهى مأخوذة، ثم هزت كتفيها وتركته . ولكنها لم تتغيب كثيرا ، بل عادت إليه لترى ما إذا كان بحاجة إلى شىء . وإذا به يتظاهر بالنوم . فربتت على خده برقة ، ولكنه هتف بها : « بالله لا تفعلى هذا ! » .

ــ ظننتك نائما !.. ماذا بك اليوم ؟

ــ لا شىء !

ــ لماذا تعاملنى بجفاء ؟.. هل فعلت ما ساءك ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

وأجاب باقتضاب : « لا » . ولكنها الحت قائلة : « نبئنى بما هناك ! » ..

وجلست على الفراش ، وأخذت يده ، فحول وجهه نحو الحائط وقد بلغ منه الخجل حدا جعله لا يستطيع كلاما . ولكنه تمالك نفسه وقال : « يبدو أنك نسيت أننى رجل ، فماذا بك تعاملينني كصبى فى الثانية عشرة ! » .

وغمغمت : « آه ! » ، ثم سكتت . وأخذ وجهه يشتد احمرارا ، وقد غضب على نفسه واغتاظ منها .. كان خليقا بداريا أن تكون أكثر لباقة !.. ولم تلبث قبضتاه أن شدتا على الغطاء بعنف ، وقال : « اننى أعرف أن ليس لسلكك أى معنى لديك ، وأنه ينبغى أن يكون كذلك لدى .. والحق اننى لا أرى له تأويلا ، عندما أكون مستيقظا ، ولكن المرء لا يستطيع شيئا مع أحلامه ، وإن كانت الأحلام دليلا على ما يدور فى العقل الباطن ! » .

ــ هل حلمت بى ؟ .. وماذا لو كان هذا قد حدث فعلا؟.. لست أرى فيه أى ضير !

وحول وجهه ، ونظر إليها .. كانت عيناها تتألقان بريقا ، بينما كانت عيناه هو مغمضتين بالانقباض وتبكيت الضمير .. وقال لها : « انك لا تعرفين الرجال ! » . فانفجرت ضاحكة، وانحنت فوقه، وطوقت عنقه بذراعيها، وهى تقول : « أخبرنى أيها الحبيب عن حلمك ! » .. وفوجىء بحركتها هذه ، فكاد يجن ، ودفعها جانبا بعنف ، وقال : « ماذا تفعلين .. أمجنونة أنت ؟! » . وقفز من فراشه فقالت :



ــ ألا تعرف أننى أحبك حب الجنون ؟

فهتف مبهوتا : « عم تتحدثين ؟ » . وجلس على جانب الفراش ، والارتباك ظاهر عليه بوضوح . فضحكت وقالت : « وماذا تظننى جئت أفعل فى هذا المكان المرعب ؟.. إنما جئت لأكون معك يا حبيبى !.. ألا تعلم أننى أموت رعبا من الغابة؟ .. اننى خائفة من أن تكون هناك أفاعى أو عقارب أو أى شىء آخر .. حتى فى هذا البيت ، ولكنى .. أعبدك ! » . فقال بحدة : « ليس لك أن تتحدثى لى هكذا ! » . فابتسمت قائلة : « لا تكن متزمتا ! » .. فقال متعجلا : « لنخرج من هنا ! » .

وخرج إلى الشرفة فتبعته . وألقى بنفسه على مقعد ، فجثت إلى جانبه وحاولت أن تمسك يديه ، ولكنه سحبهما قائلا : « أرى أنك لا بد مجنونة ، وأضرع إلى الله ألا تكونى قد عنيت حقيقة ما قلت ! » . فقالت مبتسمة : « بل أعنى كل كلمة قلتها ! » .. وضايقه أنها لم تبد أى إدراك لفظاعة اعترافها ، فقال : « أنسيت زوجك ؟ »

ــ وماذا يهم من أمره ؟.. أن أنجوس لم يعد يهمنى فى شىء!

فظللت وجهه الناعم سحابة من العبوس وقال ببطء : « أخشى أن تكونى امرأة سوء ! » . فضحكت باستهزاء ، وقالت : « ألأننى وقعت فى حبك ؟.. ما كان يجب أن تكون بهذا الجمال يا حبيبى ! » .

ــ لا تضحكى برب السماء !

ــ لا أستطيع ، فأنت مضحك .. ولكنى أعبدك مع هذا !..

Looloo
www.dvd4arab.com

إننى أحب جسمك الأبيض ، وشعرك اللامع !.. احبك لأنك جامد ، واسكتلندى ، ولا تعرف المجون !.. أحب قوتك ، واحب شبابك !

* * *

وأومضت عيناها ، وتسارعت أنفاسها ، وانحنت فقبلت قدميه العاريتين ، فسحبهما بسرعة وهو يصيح محتجا ، فكاد فى حركته العنيفة أن يقلب المقعد ، وقال : « انك لمجنونة أيتها المرأة ، الا تشعرين بالخجل ؟ » .. وأجابته : « لا ! » .

ـ ماذا تريدين منى ؟

ـ الحب !

ـ اى نوع من الرجال تحسبيننى ؟

فأجابت بهدوء : « رجل .. كبقية الرجال ! » .

ـ وهل تظنين ، بعد كل ما فعله « أنجوس مونرو » معى، أن بوسعى أن أكون ذلك الوحش اللعين الذى يعبث مع زوجته ؟.. اننى معجب به أكثر من إعجابى بأى شخص آخر عرفته . فهو عظيم ، وهو يقدر بعشرة من أمثالى وأمثالك معا .. إننى لأوثر أن أقتل نفسى عن أن أخونه . ولست أدرى كيف تظنين أن بوسعى أن أقدم على عمل دنىء كهذا الذى تريديننى عليه !

ـ أواه يا عزيزى ، لا تتحدث بمثل هذا الهراء !.. بماذا يضره هذا ؟.. ما ينبغى لك أن تأخذ المسألة بهذا الجد ، فان



الحياة جد قصيرة ، ونحن أغبياء إذا لم نقتنص كل فرصة يمكن أن نستخدمها للسرور !

ـ لن تستطيعى بهذا الكلام أن تقلبى الخطأ صوابا !

ـ لست أعرف شيئا عن هذا ، وما أرى إلا ان قولك موضع جدال !

فنظر إليها مذهولا .. كانت جالسة عند قدميه ، وهى متمالكة نفسها . وبدا أنها كانت مستمتعة بالموقف، غير شاعرة بما كان يشعر به من جدية !.. وما لبث أن قال : « أتعرفين أننى ضربت فتى فى النادى ، لأنه ألقى ملحوظة مهينة عنك ؟ » .

ـ ومن هو ؟

ـ أنه بيشو .

ـ يا له من كلب قذر !.. وماذا قال ؟

ـ قال إنك كنت على علاقات ببعض رجال !

ـ لست أدرى لماذا لا يعنى الناس بشئونهم ؟.. ومع ذلك، فمن ذا الذى يأبه لما يقولون ؟.. انى أحبك ، ولم يسبق لى أن أحببت أحدا مثلك .. اننى لمجنونة فعلا بحبك :

ـ هدئى من تهورك !.. اهدئى !

ـ أسمع !.. عندما ينام « أنجوس » الليلة ، سآتى إلى غرفتك !.. أنه ينام كصخره ، فلا خطر يخشى منه :

ـ لا تفعلى !

ـ ولم لا ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

فهتف : « لا ، لا ، لا ! » .. وشعر بخوف شديد .. وفجأة ، هبت « داريا » واقفة ، واندفعت نحو البيت!

* * *

وعاد مونرو عند الظهر ، فانهمك نيبل معه فى العمل خلال فترة ما بعد الظهيرة .. واشتركت « داريا » معهما كما اعتادت أن تفعل أحيانا . وكانت مرحة حتى لقد ظن مونرو أنها بدأت تستمرىء الحياة فى هذه البقعة . وقد اعترفت فعلا بهذا ، حينما قالت : « ان الحياة ليست رديئة إلى هذا الحد ، وانى لأشعر اليوم بالسعادة ! » .

وكانت تغيظ نيبل بقولها ، وهى تبدو كما لو كانت لا تفطن إلى أنه كان صامتا وكان يحاول أن يبعد نظره عنها . وقال مونرو : « ان نيبل هادىء للغاية ، وأحسب أنه ما يزال يشعر ببعض الضعف ! » .

— لا .. ولكننى لا أشعر بميل كبير للكلام .

كان فى حيرة من أمره ، فقد كان يوقن من أن « داريا » قادرة على أن تفعل أى شىء . وتذكر ذلك التهور الجنونى الذى اتسمت به « ناستاسيا فيليبوفنا » — بطلة قصة « الغبى » — فشعر بأنها قادرة على أن تتصرف هى الأخرى بتلك الرعونة التعسة .. ولقد رآها — أكثر من مرة — تحتد على الخدم الصينيين ، فعرف إلى أى مدى تفقد سيطرتها على أعصابها. ولم تكن المقاومة تؤدى إلا إلى إمعانها فى الحنق ، وما لم تحصل فورا على بغيتها ، فانها كانت تذهب فى الغضب إلى حد



الجنون . ولكنها — لحسن الحظ — كانت تفقد فجأة اهتمامها بالشىء بعين السرعة التى تهفو بها إليه . ولو أنك استطعت أن تحول انتباهها برهة ، لنسيت كل شىء عن هذا الشىء . وفى مثل هذه المواقف ، كان نيبل يزداد إعجابا بلباقة مونرو . وكان غالبا ما يشعر بسرور خبيث حين يشهد الدهاء الرقيق الذى يستخدمه مونرو ليهدىء من قوة غضبها النسوى .. وكان سخط نيبل عليها يزداد بقدر حبه لمونرو .. لقد كان قديسا رفعها من وهاد المهانة والادقاع ، ليتخذها لنفسه زوجة . فهى تدين له بكل شىء ، إذ حماها باسمه ، فاكتسبت الاحترام .. ولعل أبسط عرفان بفضله كان كفيلا بأن يجعل من المستحيل عليها أن تكن فى نفسها أفكارا كالتى عبرت عنها فى ذلك الصباح !.. ولقد كان من العادى أن تصدر المراودات الجريئة عن الرجال ، فهذه شيمتهم !.. أما إقدام النساء على ذلك فكان أمرا يثير الاشمئزاز .. وهكذا شعر نيبل بأن حياءه وعفته قد خدشا ، وأن العاطفة الجامحة التى رآها فى وجهها ، والإيماءات غير المحتشمة ، قد أذهلت احتشامه !

وساءل نفسه : أتراها ستنفذ حقيقة وعيدها ، وتأتى إلى غرفته ؟.. ولم يخطر له أنها ستجرؤ على هذا . ولكن ما إن حل الليل وذهب الجميع إلى أسرتهم ، حتى شعر بجزع شديد حرمه النوم !.. واستلقى على الفراش وجعل يصغى. ولم يكن يعكر السكون غير صيحات رتيبة تصدر عن قنبرة.. وكان يسمع — خلال الجدار المبنى من سعف النخيل — صوت تنفس مونرو المنتظم . وفجأة ، فطن إلى أن هناك من كان

www.dvd4arab.com

يسترق الخطى إلى غرفته .. وعرف أنها « داريا » ! .. وكان رأيه قد استقر على ما ينبغى أن يفعل . فقد صاح بصوت عال : « أهذا أنت يا مونرو ؟ » .

وتوقفت داريا فجأة .. واستيقظ مونرو . وقال نيل : « هناك شخص فى غرفتى ، وقد ظننته إياك ؟ » . فقالت داريا : « لا تنزعجا .. أنا هذا الشخص ! .. لم أستطع النوم ففكرت فى تدخين سيجارة فى الشرفة » . فقال مونرو : « آه ، أفهذا كل شيء ؟.. حذار أن تصابى ببرد ! » . واجتازت داريا غرفة نيل وخرجت إلى الشرفة . ورآها الشاب تشعل سيجارة ، ثم سمعها ــ بعد برهة ــ تأوى إلى فراشها .

ولم يرها فى صباح اليوم التالى ، لأنه خرج ــ قبل أن تستيقظ ــ ليستأنف جمع العينات . وتعمد ألا يعود إلا وهو واثق من أن مونرو قد عاد إلى البيت . وتجنب الانفراد بها إلى أن حل الظلام ، ونزل مونرو ليضع شباكا لصيد اليرقات . فلما أصبحا وحيدين ، همست داريا فى صوت غاضب : « لماذا أيقظت أنجوس فى الليلة الماضية ؟ » .. فهز كتفيه ، وواصل عمله دون أن يجيب . وعادت تتساءل : « هل خفت ؟ » . فأجاب : « لقد أوتيت قدرا من الحشمة ! » .

ــ أوه !.. لا تكن مغرورا .

ــ لخير أن أكون مغرورا ، عن أن أكون خنزيرا قذرا !

ــ اننى أكرهك !

ــ إذن فدعينى وشأنى .



ولم تجب ، وإنما صفعته ، فاحمر وجهه ، ولكنه لم يفه بكلمة واحدة !.. وعاد مونرو ، فتعمدا أن يتظاهرا بالانهماك فى عملهما .

وظلت داريا بضعة أيام لا تتحدث إلى نيل إلا فى أوقات الأكل ، وفى المساء ، وقد حرصا ــ بغير اتفاق سابق ــ على إخفاء ما طرأ على علاقتهما من توتر . غير أن الجهد الذى بذلته لتخرج عن صمتها لم يكن ليخفى على أى شخص آخر أكثر شكا من « أنجوس » . ولم تكن تتمالك أن تحتد أحيانا على نيل .. وكانت تمازحه ، ولكن شيئا من الوخز كان يخالط مزاحها ! .. وكانت تعرف كيف تكشف قلة درايته ، ولكنه كان حريصا على ألا ترى هذا فيه . وداخله شعور بأن ما كان يبديه من انبساط كان يغيظها !

* * *

وفى أحد الأيام ، عاد نيل من جمع العينات . وكان قد حرص على ألا يصل إلى البيت إلا فى آخر دقيقة ممكنة قبل موعد الغداء . ولكنه دهش عندما وجد أن مونرو لم يكن قد عاد بعد . فسألها : « أين المستر مونرو ؟ »

ــ إنه لن يجيء ، فقد بعث برسالة قال فيها إن المكان الذى يوجد فيه ، مكان جميل ، وانه لن يعود قبل هبوط الليل !

وكان مونرو قد خرج فى الصباح قاصدا إلى قمة الجبل ، لأن الأماكن المنخفضة لم تمكنه من الحصول على نتائج طيبة

Looloo
www.dvd4arab.com

فيما كان يجرى من بحوث على الحيوانات الثديية ، فخطر له أن يبحث عن مكان أعلى — تتوفر فيه المياه — فينقل إليه المعسكر .. وتناول نيبل وداريا غداءهما فى صمت ، حتى إذا فرغا منه ، دخل الشاب البيت ، فأتى بصندوق جمع العينات وبالقبعة . ولم يكن من عادته أن يخرج فى فترة ما بعد الظهر . فسألته داريا بحدة : « إلى أين تذهب ؟ »

— سأخرج .

— ولماذا ؟

— لأننى لا أشعر بتعب ما ، وليس ثمة شىء آخر أفعله بعد الظهر .

وفجأة انفجرت باكية وقالت : « كيف يتسنى لك أن تكون قاسيا إلى هذا الحد ؟.. آه ، من القسوة أن تعاملنى هكذا ! » . فتساءل وهو يطل عليها من علياء قامته ، وقد حمل وجهه المليح — الذى نم عن شىء من الصلابة — أمارات الحيرة : « ماذا فعلت ؟ » .

— لقد كنت فظيع القسوة .. اننى لا أستحق أن أتعذب هكذا ، مهما يكن ذنبى ! لقد فعلت كل شىء ممكن من أجلك ، فنبئنى بأى شىء كان بوسعى أن أفعله ولم أفعله عن طيب خاطر .. لشد ما أنا تعيسة !

فتململ فى وقفته .. كان فظيعا أن يسمعها تقول ذلك . ولقد كان يزدريها ويخشاها ، ولكنه مع هذا ظل يكن لها ذلك القدر من الاحترام الذى كان يشعر به على الدوام نحوها ،



لا لأنها سيدة فحسب ، وإنما لأنها زوجة انجوس مونرو كذلك !.. ومضت تبكى دون أن تستطيع ضبط نفسها .. ولحسن الحظ ، كان الصيادون « الدياك » قد خرجوا مع مونرو فى الصباح ، ولم يبق فى المعسكر غير الخدم الصينيين الثلاثة، الذين ناموا — كعادتهم بعد الغداء — فى المكان المخصص لهم ، على خمسين ياردة من الدار . ومن ثم فقد كانا وحيدين! .. وقال نيبل أخيرا : « لست أبغى أن أشقيك ، ولكن الأمر كله سخيف ، ومن الغباء أن تقع سيدة مثلك فى حب فتى مثلى . ان الأمر يحرجنى . أليس لديك شىء من ضبط النفس ؟! » .

— آه يا إلهى !.. ضبط النفس !

— أعنى أنك إذا كنت تهتمين بى حقا ، لما رغبت فى أن تجعلى منى هذا المخلوق السافل . أما من قيمة لما يضعه زوجك فينا من ثقة مطلقة ؟.. إن مجرد تركه إيانا وحيدين — كما نحن الآن — خليق بأن يجعلنا نتشبث بشرفنا . انه لا يؤذى ذبابة ، ولن أستطيع أن أحترم نفسى إذا خنت هذه الثقة !

فرفعت نظرها فجأة وقالت : « ما الذى يحملك على الظن بأنه لا يرتضى أن يؤذى ذبابة ؟.. أن كل هذه الزجاجات والصناديق مليئة بحيوانات لا أذى منها ، وقد قتلها جميعا ! » .

— لمصلحة العلم !.. إن هذا أمر آخر !

— يا لك من غبى !.. غبى !

— إذا كنت غبيا ، فهذا ليس ذنبى .. فلماذا تضايقيننى ؟

www.dvd4arab.com

— اتظننى كنت راغبة فى ان اقع فى حبك ؟

— يجب أن تخجلى من نفسك !

— أخجل ؟!.. ما هذا الغباء ؟.. يا إلهى ، ماذا فعلت حتى جعلتنى أدوس قلبى من أجل حمار عنيد مثلك !

— إنكِ تتكلمين عما فعلته من أجلى ، فماذا فعل مونرو من أجلك ؟

— إن مونرو يضجرنى حتى الموت .. لقد برمت به .. سئمته حتى الموت !

— إذن فأنا لست الأول ؟!

كان منذ اعترافها الغريب — بحبه — يتعذب بالشك .. الشك فى أن ما قاله أولئك الرجال فى ( كوالا سولور ) لم يكن خلوا من الحقيقة .. لقد كان يرفض أن يصدق كلمة واحدة مما قالوا ، بل إنه ظل — حتى الآن — عاجزا عن أن يحمل نفسه على التفكير بأن فى وسعها أن تكون بمثل هذا الفجور !.. كان من الفظيع حقا أن يفكر فى أن « أنجوس مونرو » كان يعيش فى جنة المغفلين ، وهو الرجل الرقيق ، الكبير الثقة بالناس !.. لا ، ما كان من المحتمل أن تكون على مثل هذا القدر من السوء ، ولعلها قد أساءت فهمه !

وابتسمت خلال دموعها ، وقالت : « طبعا ، لست الأول .. كيف يمكن أن تكون على هذا القدر من الغباء ؟.. أواه يا عزيزى ! لا تكن متزمتا إلى هذا الحد !.. اننى أحبك ! » .



شعورها نحوه كان لونا من الشذوذ .. جنونا قد يستطيعان

إذن فالأمر حقيقى ! .. لقد حاول أن يقنع نفسه بأن أن يعملا معا على مغالبته ، فاذا بها .. مجرد عابثة مستهترة! .. فقال لها : « أو لا تخشين أن يعرف مونرو الحقيقة ؟ » .. ولم تعد تبكى . فقد كانت تهوى التحدث عن نفسها ، فخامرها شعور بأنها قد تستطيع أن تغرى نيبل بالاهتمام من جديد بها . فقالت : « يخيل إلى أحيانا أنه يعرف .. إن لم يكن بعقله فبقلبه ، إذ أنه أوتى ما للمرأة من غريزة ، وما للمرأة من حس مرهف . بل إننى كنت أوقن أحيانا من أنه يشك ، وقد أحسست فى عذابه بلون عجيب من التسامى الروحى !.. وكم خيل إلى أنه فى ألمه يجد لذة وقورة لا حد لها ! .. فهناك — كما تعلم — نفوس تشعر بفرح طاغ فى الأسى والعذاب ! » .

ولم يستطع نيبل صبرا على هذه المغالطات ، وقال : « يا للفظاعة ! .. إن عذرك الوحيد هو أن تكونى مجنونة ! » .. وكانت قد أصبحت أكثر ثقة بنفسها ، فرمته بنظرة جريئة ، وقالت : « ألا ترانى جذابة ؟.. كم من الرجال راونى كذلك !.. ولا بد أنك عرفت فى اسكتلندا عشرات من النساء، ولكنهن لم يكن بديعات الحسن مثلى ! » .. وراحت تنظر فى خيلاء إلى جسمها الجميل المغرى . فقال نيبل : « اننى لم أعرف أية امرأة إطلاقا ! » . فسألته منكرة : « ولم لا ؟ » .

* * *

وبلغت منها الدهشة مبلغا جعلها تقفز واقفة على قدميها، ولكنه هز كتفيه ، ولم يجد من نفسه قدرة على أن يخبرها

Looloo
www.dvd4arab.com

بمدى اشمئزازه من مثل هذه الفكرة ، وبمدى ما كان يراه من دناءة الحب العرضى العابر ، الذى كان زملاؤه فى جامعة ( أدنبره ) يقبلون عليه . فقد كان يشعر بغبطة روحية لنقائه وطهره .. كان يعتبر الحب مقدسا ، وكانت العملية الجنسية تثير اشمئزازه واستنكاره ، ولا يجد لها مبررا سوى إنجاب الأطفال وقداسة الزواج . ولكن «داريا» ظلت تتنفس فيه وهى مسمرة فى وقفتها ، وقد تهدجت أنفاسها . وفجأة ، صاحت — وهى تبكى — صيحة متهدجة ، مفعمة بالتهلل ومشوبة برغبة جامحة . وألقت بنفسها على ركبتيها راكعة — على الأرض — وهى تهتف : « اليوشا !.. اليوشا ! » . وأخذت تبكى وتضحك فى آن واحد .. وانحنت حتى أصبحت مكورة عند قدميه ، وقد انبعثت من حلقها أصوات لا تكاد تشبه الأصوات الآدمية . وسرت رعدة شديدة فى أوصالها ، هزت جسمها هزا ، وكأنما مسها تيار كهربائى شديد .. ولم يدر نيل أهذه نوبة من الهستيريا ، أو هى نوبة صرع ، فصاح بها : « كفى عن هذا ! .. كفى ! » .

واحتواها بين ذراعيه القويتين ، وأجلسها على المقعد . حتى إذا حاول أن يتركها ، لم تمكنه من ذلك ، بل ألقت ذراعيها حول عنقه فطوقته ، وكست وجهه بالقبلات !.. وأخذ يناضل لينأى عنها ، وأشاح بوجهه ، ووضع يده بين وجهها ووجهه ليقى نفسه ، ولكنها عضت يده فجأة ، وغرست أسنانها فيها !.. وشعر بألم شديد . وبدون وعى أو تفكير ، انتزع يده وانهال عليها بضربة عنيفة ، وصاح : « يا لك من شيطانة ! » .

وانحنت حتى أصبحت مكورة عند قدميه ، وقد انبعثت من حلقها أصوات لا تكاد تشبه الأصوات الآدمية ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وأرغمتها حركته العنيفة على التخلى عنه . وأخذ يتأمل يده .. كانت قد عضته فى الجانب المكسو باللحم من راحته ، فأخذ الدم ينزف منها ، ولمعت عيناها ، إذ بدأت تشعر بيقظة وحيوية !.. وعاد يقول : « حسبى هذا منك ... اننى خارج ! » . فقفزت واقفة ، وقالت : « سآتى معك ! » . وارتدى القبعة ، وتناول أدوات الصيد ، واستدار دون أن ينبس بكلمة ، وقفز الدرجات الثلاث المؤدية إلى الخارج . ولكنها تبعته فقال : « اننى ذاهب إلى الأدغال » . فهتفت : « لست أبالى ! » . فقد نسيت — وسط الرغبة الجامحة التى استولت عليها — خوفها الشديد من الغابة ، ولم تعد تبالى بالأفاعى ولا بالوحوش الكاسرة ، ولم تعد تعبأ بالأغصان التى تؤذى وجهها ولا بالنباتات المتسلقة التى تتعلق بقدميها!

وكان نيل قد قضى شهرا يرتاد هذا الجزء من الغابة ، فعرف كل شبر فيه . وقال لنفسه انه سيلقنها درسا لن تنساه ، فشق طريقه — وسط النباتات — بخطوات واسعة .. فتبعته وهى تتعثر ، ولكن عزيمتها كانت قوية . واندفع وقد أعماه الغضب ، فاندفعت وراءه . وراحت تخاطبه دون أن يصغى إلى قولها : توسلت إليه أن يشفق عليها ، وأخذت تندب مصيرها .. وتذللت ، وبكت ، وعصرت يديه عصرا .. وحاولت أن تتملقه ، والكلمات تتدفق من شفتيها كجدول لا ينقطع . كانت كالمجنونة !.. وأخيرا ، وصلا إلى بقعة منبسطة ، فوقف فجأة ، واستدار نحوها ، وقال : « هذا مستحيل . لقد تعبت ، وعندما يعود « أنجوس »



سأبلغه أننى سأرحل ، وسوف أعود إلى ( كوالا سولور ) صباح غد ، ومنها أرحل إلى بلدى ! » .

— لن يدعك تذهب ، إذ أنه يحتاج إليك ، وهو يعتقد الا غنى له عنك !

— لست أحفل بهذا ، وسألفق له حجة !

وتساءلت : « وما هى ؟ » . فأساء فهم مقصدها ، وقال : « آه ، لا حاجة بك إلى أن تخافى ، فلن أقول له الحقيقة .. بوسعك أن تحطمى قلبه إذا شئت . أما أنا ، فلن أقدم على هذا ! » .

— إنك تعبده ، أليس كذلك ؟.. هذا الشخص الفاتر البليد الحس !

— انه بمائة من أمثالك !

— سيكون من البديع أن أقول له إنك رحلت لأننى لم أذعن لك إذ راودتنى عن نفسى !

وجفل .. وتفرس فيها ليعرف ما إذا كانت جادة فى هذا . وقال : « لا تكونى غبية ، فما أراك تعتقدين أنه سيصدق ذلك ، لأنه يعرف أن هذا لا يمكن أن يصدر عنى البتة ! » .

— لا تغال فى ثقتك !

وكانت تتحدث بغير مبالاة ، وبغير ما غرض سوى مواصلة المحاجة . ولكنها رأته خائفا ، فدفعتها غريزة القسوة إلى أن تفيد من هذا الموقف . وقالت : « أتنتظر رحمة منى ؟!..

www.dvd4arab.com

لقد أذللتنى إلى درجة لا تطاق ، وعاملتنى كما لو أننى كنت مخلوقا قذرا ، وأقسم لو أنك فكرت فى الرحيل لذهبت راسا إلى أنجوس وقلت له انك انتهزت فرصة غيابه وحاولت اغتصابى ! » .

ـــ أستطيع أن أنكر هذا الاتهام ، وليس لديك شهود ، ولن يكون هناك سوى أقوالك وأقوالى !

ـــ أجل ، ولكن كلمتى ستكون هى الفيصل ، ويمكننى أن أبرهن على ما أقول !

ـــ ماذا تعنين ؟

ـــ إن الكدمات تظهر بجسمى بسرعة ، وبوسعى أن أريه الكدمة التى نتجت من ضربك إياى .. فضلا عن الجرح الذى فى يدك ! .. فكيف تعلل علامات الأسنان فيها !

فنظر إليها مشدوها وقد شحب وجهه ، وساءل نفسه : كيف يستطيع تبرير وجود الكدمة والجرح حقا ؟!.. لو كان الدافع لهذا هو الدفاع عن النفس ، لأمكنه أن يقول الحق ، ولكن هل يصدقه أنجوس ؟.. انه يعبد زوجته « داريا » ، ومن ثم فهو سيرجح قولها على قوله .. فأى جحود منكر فى مقابل كل ما أبداه مونرو من كرم ، وأى غدر فى مقابل مثل الثقة التى أودعه مونرو إياها ! .. لسوف يحسبه عربيدا قذرا ، وسيكون على حق ، من وجهة نظره !.. وحز فى قلبه التفكير فى أن مونرو ـــ الذى كان نبيل على استعداد لأن يجود بحياته من أجله ـــ قد يسىء الظن به . وأحس بتعاسة جعلت الدموع تتبادر إلى عينيه ، برغم ما فى ذلك من نبو عن



الرجولة .. ورأت داريا انكساره فطربت ، وأيقنت أنها بدأت ترد إليه ما كلفها من تعاسة وشقاء .. وأصبح فى قبضتها وتحت سيطرتها ، فاستعذبت انتصارها !.. وفى غمرة ألمها ضحكت فى نفسها لفرط غبائه ، ولم تعرف فى تلك اللحظة أكانت تحبه أم كانت تكرهه !.. وسألته : « والآن .. هل تكون طيبا ؟! » .

وشهق .. وبدافع من رغبة غريزية طارئة للهرب من هذه المرأة الفظيعة ، دار على عقبيه ، وجرى بأقصى ما وسعه من سرعة . واندفع موغلا فى الغابة كحيوان جريح ، لا يستبين وجهته ولا طريقه ، حتى تقطعت أنفاسه . فوقف وهو يلهث ، وأخرج منديله ، فمسح العرق الذى كان يتساقط على عينيه فيعميهما . وخارت قواه ، فجلس ليستريح ، وهو يقول لنفسه : «يجب أن أحترس ، وإلا ضللت الطريق» . وما كان هذا أقل المتاعب التى قد يصادفها ، ولكنه تذكر أن لديه بوصلة صغيرة ، وأنه يعرف الوجهة التى يجب أن يتجه إليها . وبدأ السير .. وأخذ يرقب طريقه ، ويسائل نفسه ـــ فى الوقت ذاته ـــ عما ينبغى أن يفعل .. كان موقنا من أن « داريا » ستنفذ وعيدها ! .. وكان من المقرر أن يبقوا ثلاثة أسابيع أخرى فى هذا المكان اللعين ، فما كان ليجرؤ على الرحيل ، وما كان ليجرؤ على البقاء !.. وكان عقله فى دوامة ، فرأى أن المسلك الوحيد ، هو أن يعود إلى المعسكر ، وأن يفكر فى الأمر بهدوء !

وبعد ربع ساعة ، وصل إلى بقعة عرفها ، فإذا هى إلا ساعة حتى كان قد وصل إلى المعسكر ، فارتمى على مقعد ..

Looloo
www.dvd4arab.com

كان كل تفكيره منصرفا إلى « أنجوس » ، وكان قلبه يدمى عطفا عليه ، وقد وضحت له الآن جميع الأمور التى كانت غامضة ، وتكشفت فى ومضة من ومضات الغريزة المريرة ، فعرف لماذا كانت نساء ( كوالا سولور ) يقفن موقفا عدائيا من « داريا » ، ولماذا كن ينظرن إلى «أنجوس» نظرات غريبة ، ويعاملنه بعطف مشوب بسخرية .. ولقد كان نبيل يعتقد أن هذا راجع إلى أن « أنجوس » كان رجل علم ، فكان يبدو — فى أنظارهن — أحمق ، سخيفا بعض الشىء .ولكنه أدرك الآن أن ذلك إنما كان راجعا إلى إشفاقهن عليه ، برغم إيمانهن بغبائه !.. فقد جعلت منه « داريا » أضحوكة الجميع . وإذا كان هناك رجل لا يستحق سوء المعاملة من زوجته ، فقد كان هذا الرجل هو « مونرو » ! ..

وشهق نبيل فجأة وارتجف ، فقد طرأ على فكره خاطر فجائى . هو أن « داريا » لم تكن تعرف الطريق خلال الغابة ، وقد نسى — فى غمرة كربه الشديد — الجهة التى ذهبا إليها ، فماذا يحدث لها إذا ضلت الطريق ؟.. لسوف تصاب بالرعب !.. وتذكر القصة الرهيبة التى رواها له « أنجوس » عن ضلاله فى الغابة . وكان أول إيحاء غريزى شعر به ، هو أن يعود ليبحث عنها ، فاستوى واقفا على قدميه . وإذا بسخط عنيف يتملكه ، فقال لنفسه : « لا ، لأدعها ترجع بنفسها ، فقد ذهبت بمحض إرادتها ، ولتبحث الآن بنفسها عن طريق عودتها .. انها امرأة فظيعة ، تستحق كل ما قد تصادفه ! » .. ورفع نبيل رأسه فى تحد ، وارتسمت على



جبينه الناعم علامات النقمة ، وشد قبضتيه يستجدى الشجاعة .. وأخيرا استقر على رأى : سيكون من الخير لأنجوس ألا تعود !

وجلس ثانية . وأخذ يحاول سلخ جلد حيوان صغير ، ولكن الجلد كان رقيقا للغاية ، وكانت يدا نبيل ترتجفان برغم محاولته أن يركز اهتمامه فى هذا العمل .. وكانت أفكاره تضطرب بعنف — وكأنها يرقات فى مصيدة — فلم يستطع السيطرة عليها !.. ترى ما الذى كان يحدث الآن فى الغابة ؟ .. ماذا فعلت عندما تركها ؟

وأخذ — بين الفترة والأخرى — يرفع رأسه متطلعا إلى الفضاء بالرغم منه ، وكأنه كان يتوقع أن تظهر « داريا » فى الساحة الخارجية ، وتسير بهدوء فتدخل المنزل .. وشعر بأنه لا يستحق أى لوم ، فهذه كانت يد الله !.. وارتجف إذ بدأت السحب تتجمع فى السماء ، وحل الليل بسرعة .. وما لبث مونرو أن وصل بعد حلول الظلام بقليل ، فقال إذ دخل المنزل . « لقد جئت فى الوقت المناسب ، فلسوف تهب عاصفة هوجاء ! » .

وكان فى خير حالاته ، فقد عثر على سهل فيه مياه كثيرة ، ويطل على منظر رائع للبحر . كما عثر على فراشتين أو ثلاث فراشات نادرة الوجود ، وعلى سنجاب طائر . وبدأ يعد الخطط لنقل المعسكر إلى ذلك المكان الذى تبين له أنه حافل بالأحياء الحيوانية .

Looloo
www.dvd4arab.com

وأخيرا دلف مونرو إلى داخل البيت لتغيير حذائه الثقيل ، ولكنه لم يلبث أن عاد بسرعـــة وسأل : « أين داريا ؟ » .. وحاول نبيل أن يكون طبيعيا ،فتساءل هو الآخر « أليست فى غرفتها ؟ »

ـــ لا .. ربما نزلت إلى مأوى الخدم .

وهبط درجات السلم ، ونادى « داريا » ، ولكنها لم تجب. فنادى الخدم ، وسرعان ما أقبل خادم صينى ، فقـــال إنه لم يكن يعلم شيئا عنها ، وأنه لم يرها بعد الغداء .. فعاد مونرو وهو يتساءل فى دهشة : « أين يحتمل أن تكون ؟ » . وسار إلى الساحة الخلفية للبيت ، وأخذ يناديها ، ثم قال لنبيل : « ليس من المعقول أن تكون قد خرجت ، فليس هنـــاك مكان تذهب إليه . متى رأيتها آخر مرة يا نبيل ؟ » .

ـــ إننى خرجت بعد الغداء لأجمع عينات ، لأن الجمع لم يكن ـــ فى الصباح ـــ على ما يرام ، وبهذا رأيت أن أجرب حظى بعد الظهر .

وهتف مونرو فى قلق : « أمر غريب ! » . وأخذا يبحثان عنها حول المعسكر .. وظن مونرو أنها ربما وجدت لنفســـها مكانا مريحا ، فنامت فيه . واشترك الجميع فى البحث عنهـــا .. وبدأ مونرو يشعر بالخوف والقلق ، فقال : « من المستحيل أن تكون قد خرجت للرياضة فضلت الطريق فى الغابة ، فما سبق لها أن سارت إلى أكثر من مائة ياردة من المنزل ، أو هذا ما أعرفه عنها أنا ـــ على الأقل ـــ منذ جئنا إلى هنا ! »



وشاهد نبيل الرعب المتجسم فى عينى « مـــونرو » فنكس رأسه . وعاد مونرو يقول : « يحسن بنا أن ننادى الجميـــع ونشرع فى البحث ، فمن المؤكد أنها لم تذهب بعيدا ، كمـــا أنها تعرف أن خير ما يفعله الإنسان إذا ضل فى الغابة ، أن يبقى فى مكانه وينتظر حتى يأتى إليه من يبحثون عنه .. يا لها من مسكينة ! .. لسوف تجن من الخوف ! » .

ونادى الصيادين ، وطلب من الخدم الصينيين أن يحضروا المصابيح ! . وأطلق مســـدسه كإشارة لداريا . ثم انقســـم الجميع إلى فريقين ، أحدهما بقيادة مونرو ، والآخر بقيـــادة نبيل . وسلك الفريقان الطريقين الوعرين اللذين شقوهما فى غدوهم ورواحهم خلال الشهر الذى أقاموه فى المعســـكر . واتفقوا جميعا على أن يطلق الفريق الذى يعثر على «داريا» ثلاث رصاصات سريعة متتابعة .

وانطلق نبيل واجما ، مكفهر الوجه ، ولكن ضـــميره كان مستريحا . وخيل إليه أنه يحمل فى يديه مرســـوم العـــدالة الإلهية ، فقد كان يعلم أنهم لن يعثروا على « داريا » . وتلاقى الفريقان .. ولم تكن ثمة حاجة إلى النظر فى وجه مونرو ، فقد كان شارد الفكر . وشعر نبيل بنفســـه كالجراح الـــذى يرغم على إجراء جراحة خطرة بغير مساعدين ولا أدوات ، فى سبيل إنقاذ شخص يحبه .. وهو موقف يحتم عليه أن يكون حازما !

Looloo
www.dvd4arab.com

وقال مونرو : « من غير المعقول أن تكون قد ابتعدت كل هذه المسافة ، فعلينا أن نعود فنفتش الغابة فى نطاق ميل من البيت . ولننقب فى كل شبر منها ، فان التفسير الوحيد للموقف هو أنها ارتعبت ، أو أغمى عليها ، أو لدغتها أفعى ! »

ولم يعقب نبيل .. وبدأوا البحث من جديد ، فساروا فى صفوف ، يفتشون بين النباتات . وأطلقوا الصيحات ، كما كانوا يطلقون رصاصة — بين آونة وأخرى — ثم يصغون إلى رد . وحومت طيور الليل ، ثم فرت مذعورة من المصابيح .. وكانوا يشهدون من آن لآخر ما يخيل إليهم أنه حيوان — كغزال أو دب أو خرتيت — وهو يهرب من أصواتهم !

وثارت العاصفة فجأة .. فهبت ريح عاتية ، وأرعدت السماء ، وشق البرق ظلام الليل ، وكأنه صرخة امرأة برح بها الألم . وأخذت الومضات « المعذبة » تظهر بسرعة خاطفة ، الواحدة فى أعقاب الأخرى ، وكأنها راقصات من الجن تتمايل فى هوس وجنون .. وتكشفت أهوال الغابة وكأنما كان القوم فى يوم الحشر .. وظل الرعد يقصف فى السماء ، ويدوى فى هزيم بعد هزيم ، وكأنه موجات كبيرة تتدافع على شواطىء الخلود .. ورنت هذه الأصوات المخيفة فى الفضاء ، فكان للصوت حجم ووزن .. وهطل المطر وتدفق سيولا عارمة ، فتهاوت الصخور والأشجار الضخمة ، وتدحرجت من أعلى



الجبل .. وكانت الضوضاء عالية مخيفة ، وتملك الذعر الصيادين « الديك » من الأرواح الغاضبة التى تتكلم وسط العاصفة . ولكن مونرو حثهم على مواصلة البحث .

وظل المطر يهطل طول الليل ، ولم يتوقف الرعد ولا البرق حتى بزغ الفجر ، فعادوا إلى المعسكر يرتجفون .. وكانت ثيابهم قد ابتلت ، وأضناهم الجهد والتعب . حتى إذا فرغوا من فطورهم ، أراد مونرو أن يواصل البحث الميئوس منه ، ولكنه أدرك الا أمل يرتجى ، وانهم لن يروا « داريا » بعد ذلك على قيد الحياة . فارتمى فى إعياء .. وكان وجهه شاحبا ، يحمل أمارات الضنى والعذاب .. وهتف فى أسى ولوعة : « يا للطفلة المسكينة ! .. ياللطفلة المسكينة ! »



Looloo
www.dvd4arab.com

# جبـــان..!

(خيط من الدم الأصفر)

Looloo
www.dvd4arab.com

كان القاربان يتقدمان فى يسر وسهولة ، منسابين مع التيار ، يسبق أحدهما الآخر ببضع ياردات ، وقد استقله الرجلان اللذان كانا يشعران بالغبطة والارتياح ، إذ اطمأنا إلى أنهما سيقضيان الليل فى منزل متمدين ، بعد رحلة استغرقت سبعة أسابيع قضياها على الأنهار ..

وكان « ايزارت » يعيش فى ( بورنيو منذ الحرب ، ولهذا لم تكن بيوت « الدياك » — أهل العشائر المحلية — ولا ولائمهم بالغريبة عنه ، أما « كامبيون » فمع أنه كان جديدا على البلاد وقد استمرأ فى البداية هذه الجدة وما بعثت فيه من شعور بالاستغراب ، فانه أصبح فى أشد الشوق إلى مقعد يجلس عليه ، وفراش ينام فيه .. فقد كان « الدياك » بالغى الحفاوة ، ولكن ما من أحد يستطيع أن يقول إن ثمة أسبابا للراحة فى دورهم ، كما كانت ثمة رتابة مملة فيما كانوا يقدمونه للضيف ، فسرعان ما يتطرق الملل إلى نفسه . ذلك لأن زعيم القرية كان يتقدم فى كل مساء — عند وصول الرحالتين إلى المرفأ — حاملا علما ، وقد رافقه علية القوم . فيستقبلون القادمين ويقودونهما إلى المنزل « الطويل » ، وهو فى الواقع قرية اقيمت على عمد تحت سقف واحد ، لا سبيل إلى دخولها إلا بتسلق جذع شجرة شدت — بطريقة بدائية — على شكل درجات سلم . وكان الجميع يسيرون فى موكب خلال هذه القرية ، بين دق الطبول وقرع اللوحات النحاسية ، وقد اصطفت على جانبى الطريق حشود من القوم ذوى



البشرة السمراء ، جالسين ، متربعين ، يتطلعون فى صمت تام إلى مرور الضيفين !

وكانت الأرض مفروشة بحصير نظيف ، ليجلس عليه الضيفان . وكان الزعيم لا يلبث أن يحضر دجاجة حية ، فيمسكها من ساقيها ، ويلوح بها ثلاث مرات فوق رأسيهما ، ثم ينادى الأرواح بصوت عال ، داعيا إياها أن تشهد .. بينما كان القوم يتوافدون جالبين البيض وشراب « العرق » . ثم تتقدم فتاة صغيرة جدا ، مستحيية ، فى بهاء الزهور ، وإن شاعت فى وجهها الجامد الملامح قداسة كهنوتية ، فتحمل كأسا تقدمها إلى الرجل الأبيض ، وتحملها إلى شفتيه ، فيشرب منها حتى يفرغ جميع محتوياتها فى جوفه ، فترتفع — إذ ذاك — الأصوات مهللة . ويشرع الرجال فى الرقص ، واحدا بعد آخر ، كل بالطريقة التى يهواها ، وهو يحمل درعه ورمحه ، ويدور الرقص على قرع الطبول ودق الالواح النحاسية .. حتى إذا انتهى هذا العرض ، اقتيد الضيفان إلى إحدى الغرف المؤدية إلى الشرفة الطويلة ، حيث تجرى الحياة العامة فى القرية . وهناك ، كانا يجدان طعام العشاء معدا ، فتأخذ الفتيات فى إطعامهما بالملاعق الصينية . وإذ يبدأ الشراب يعبث بالعقول ، يأخذ الجميع فى الحديث ، ويظلون كذلك إلى ساعة مبكرة من الصباح !

* * *

وها قد انتهت زيارتهما للقرية ، فغادراها فى الفجر متجهين إلى الشاطىء . وكان النهر — إذ ذاك — ضحلا للغاية ، ومياهه

www.dvd4arab.com

تجرى فى صفاء وبريق فوق القاع المكسو بالحصباء ، وقد مالت الأشجار عليه وتشابكت حتى لم تكن تظهر من السماء غير شقة زرقاء اللون . ولم يلبث النهر أن اتسع ، فلم يعد الرجال يستعملون المدراة فى تسيير الزورق ، بل أخذوا يستخدمون المجاديف . وظهرت الأشجار وأعواد الغاب والنباتات كأنها باقات ضخمة من ريش النعام ، كما ظهرت أشجار ذات أوراق ضخمة ، وأشجار ذات أوراق شبيهة بالريش كأشجار السنط ونخيل جوز الهند ، وقد نمت سيقانها الطويلة نموا غزيرا وحشيا . وكانت تقوم — هنا وهناك — شجرة ذاوية عارية : تضت عليها صاعقة ، أو ماتت لتقادم العهد عليها ، فإذا بياضها يلوح ناصعا إذا قيس بكل الخضرة الناضرة المحيطة بها .. كما كانت تقوم — هنا وهناك — الأشجار التى كانت تتنافس على سيادة الغابة : أشجار طويلة ، تتطاول فوق المستوى العادى للأدغال .. وكانت هناك — أيضا — الطفيليات : فبين تقاطع أى غرعين تنمو باقات ضخمة من الأوراق الخضراء اليانعة ، أو نباتات متسلقة ذات أزهار تحجب أوراق الشجرة المنتشرة وكأنها خمار عروس .. وهى تلتف أحيانا حول جذع طويل ، فكأنها غمد بديع ، أو كأنها أذرع مزدهرة تمتد من فرع إلى آخر .. وكان ثمة شىء يبهر النفس فى ذلك النماء الضارى المتوثب .. كان يمثل الجراة الوافرة التى اتسمت بها البداوة المتمردة بين خلق الله !

وأخذ النهار يولى ، ولم تعد حرارة الجو مرهقة . والتى « كامبيون » نظرة على ساعة معصمه الفضية القديمة . ووجد



أنه لن يمضى وقت طويل حتى يصلوا إلى مقصدهم ، فسأل رفيقه : « أى نوع من الرجال هتشينسون هذا ؟ » .

— لست أعرفه ، وأعتقد أنه من نوع بالغ الطيبة .

وكان هتشينسون هذا هو المقيم العام ، الذى كانا يزمعان أن يقضيا الليل فى داره .. وقد أرسلا أحد الأهالى فى قارب صغير ليبلغه بوصولهما . فأردف « كامبيون » قائلا : « أرجو أن يكون لديه بعض الويسكى ، فقد شربت من العرق ما يكفينى طول الحياة ! » .

وكان « كامبيون » مهندس مناجم ، قابله السلطان فى ( سنغافورة ) — وهو فى طريقه إلى إنجلترا ، فلما وجده بلا عمل ، عهد إليه بالذهاب إلى ( سمبولو ) ليرى ما إذا كان من الممكن العثور على أى معدن ذى فائدة . وأرسل إلى «ويليس» المقيم العام فى ( كوالا سولور ) تعليماته لتقديم جميع التسهيلات لكامبيون ، فعهد « ويليس » به إلى « ايزارت » لأنه كان يتكلم لغة الملايو ولغة « الدياك » — وهى اللغة الوطنية — وكأنه من أهلها .. وكانت هذه ثالث رحلة يقومان بها فى داخل البلاد ، وقد آن لكامبيون أن يعود ليقدم تقريره ، فكان لزاما عليهما أن يلحقا بالسفينة « السلطان أحمد » ، التى كان من المنتظر أن تمر بمصب النهر عند الفجر — بعد يومين — عسى أن يساعدهما الحظ فيصلا إلى ( كوالا سولور ) بعد ظهر اليوم ذاته .. وكانا مغتبطين بعودتهما إليها ، فهناك التنس والجولف والنادى بما فيه من موائد « البلياردو » وأطعمة لا بأس بها ، وأسباب الراحة التى توفرها المدنية . وكان « ايزارت » فرحا

Looloo
www.dvd4arab.com

لأنه سيلقى صحبة أخرى غير « كامبيون » . وقد نظر إليه بطرف عينه يتأمل جسمه الضئيل ، ورأسه الكبير الأصلع .. ومع أنه كان فى الخمسين من العمر — يقينا — فقد كان قويا صلبا ، ذا عينين زرقاوين براقتين سريعتى الحركة ، وشاربين كثين أشيبين قصيرين .. وكان نادرا ما يظهر بغير غليونه القديم يعض عليه بأسنانه المتكسرة التى زال لونها .. ولم يكن نظيفا ولا أنيقا ، بل كان سرواله القصير « الخاكى » رثا ، وقميصه ممزقا . وكان يضع على رأسه قبعة مهشمة من الفلين .

ولقد خرج « كامبيون » يضرب فى الأرض وهو فى الثامنة عشرة من العمر ، غزار جنوب إفريقيا والصين والمكسيك .. وكان رفيقا مسليا ، يجيد رواية أية قصة ، كما كان على استعداد لأن يشرب الخمر ويعاود الشراب مع كل امرىء يقابله ! .. وقد ارتبط الاثنان بعلاقات طيبة ، وإن لم يشعر « ايزارت » بألفة تامة معه .. فمع أنهما كانا يتمازحان ويتضاحكان ويسكران معا ، إلا أن « ايزارت » شعر بأنه لم يكن ثمة تقارب وثيق بينهما ، وبأن علاقتهما لم تتجاوز المعرفة ، برغم ما سادها من ود . وكان مرهف الشعور بما يحدثه من أثر فى نفوس الآخرين ، وقد شعر بأن البهجة — التى كان « كامبيون » يبديها — كانت تخفى وراءها بعض الفتور ! .. وكذلك استطاعت العينان الزرقاوان البراقتان أن تلما بفكرة شاملة عنه ، وقد ضايق « ايزارت » أن يؤلف « كامبيون » فكرة عنه ، لا سيما وأنه لم يعرف هذه الفكرة ونوعها ، كما



ضايقه احتمال ألا يكون هذا الرجل البسيط الهزيل قد كون لنفسه فكرة طيبة عنه . فقد كان تواقا إلى أن يكون محبوبا وموضع إعجاب .. كان يحب أن يكون « شخصية محبوبة » ، وأن يغالى الناس فى تصور مكانته ، حتى يستطيع أن يرفض صداقتهم ، أو يمنحهم صداقته وكأنه يتكرم بها عليهم .. كانت أمنيته أن يكون معروفا للجميع بلا استثناء ، وما كان يقعده عن محاولة ذلك سوى الخوف من الصد .. وكان يمضه أحيانا أن يشعر بأن إفاضته فى التلطف والتودد كانت تدهش أولئك الذين كان يبديها نحوهم !

ولم يكن — للمصادفة — قد التقى بهتشينسون من قبل ، وإن كان قد عرف — فى الواقع — كل شىء عنه ، كما كان هتشينسون يعرف — بدوره — كل ما يتعلق به .. وربما كان لهما أصدقاء عديدون مشتركون يستطيعان التحدث عنهم لو قدر لهما أن يلتقيا .. ثم ان هتشينسون كان قد تلقى علومه فى ( ونشستر ) ، وقد اغتبط ايزارت إذ كان بوسعه أن يقول لهتشينسون أنه كان فى كلية « هارو » !

ودار الزورق حول منحنى فى النهر ، فظهرت فجأة الدار قائمة على ربوة بارزة . وإن هى إلا بضع دقائق حتى ظهرت مرساة وقف عليها لفيف من الأهالى ، وشخص فى ثياب بيضاء ، وقد راحوا يلوحون للقادمين .

وكان « هتشينسون » طويل القامة ، قوى البنية ، أحمر الوجه ، يوحى مظهره إليك بأن تتوقع أن تجد فيه شخصا خفيف الظل ، واثقا من نفسه . ولكنك لا تلبث أن تدهش إذ

www.dvd4arab.com

تكتشف أنه حيى خجول !.. وبعد أن صافح ضيفه ، قدم ايزارت نفسه ، ثم قدم كامبيون إليه ، فقادهما إلى الطريق المفضية إلى الدار . وظهر أنه كان يحاول جاهدا أن يبدو ودودا ، بيد أنه لم يكن من المتعذر على أحدهما أن يتبين أنه كان يجد مشقة فى أن يبتكر مادة للحديث .. وأخذهما إلى الشرفة فوجدا مائدة عليها كؤوس وزجاجات الويسكى والصودا ، فجلسوا جميعا فى مقاعد طويلة مريحة . وإذ شعر « ايزارت » بأن الارتباك البسيط الذى كان هتشينسون يشعر به — عادة — نحو الاغراب قد ازداد ، أخذ يسهب فى الحديث والمرح ، وبدأ يتكلم عن معارفهما المشتركين فى ( كوالا سولور ) ، وسرعان ما نجح فى أن يذكر — بطريقة غير ملحوظة — معلومات توحى بأنه كان فى كلية « هارو » ثم قال : « أظنك كنت فى ونشستر . أليس كذلك ؟ » . فأجابه هتشينسون : « بلى » .

— هل تعرف « جورج باركر » ؟ .. لقد كان فى فرقتى فى الجيش ، وكان أيضا فى كلية ونشستر .. وربما كان أصغر منك سنا !

وشعر « ايزارت » أن وجودهما فى هاتين المدرستين بالذات يعد رابطة بينهما .. رابطة أبعدت كامبيون عنهما ، الذى كان من الجلى أنه لم يحظ بهذه الميزة !.. وشربوا كأسين أو ثلاث كؤوس من الويسكى ، وإن هو إلا نصف ساعة ، حتى كان « ايزارت » ينادى مضيفه باسم « هتشى » ، وتحدث كثيرا عن « فرقته » ، وعمن توثق الود بينه وبينهم من



الضباط الذين زاملوه فيها . وذكر اسمين أو ثلاثة أسماء لا يمكن أن تكون غير معروفة لدى هتشينسون ، وإن كان أصحابها من فئة من الناس لم يكن من المحتمل أن يكون كامبيون قد تعرف إليها . ولم يتورع عن أن يوجه إليه سخرية متوارية متعمدة ، عندما ادعى معرفته بشخص ممن تحدث عنهم ، فقد قال كامبيون : « بيلى ميدوز ؟ .. لقد عرفت شخصا يدعى بيلى ميدوز فى ( سينالوا ) ، وكان ذلك منذ عدة سنين ! » . فقال ايزارت مبتسما :

— لا أظن أنه نفس الشخص ، فان « بيلى » الذى أعنيه من النبلاء ، إنه « اللورد ميدوز » ، الذى يملك جيادا للسباق ، ألا تذكره ؟.. إنه صاحب الجواد « سبرينج كاروتس » .

واقترب وقت العشاء .. وبعد أن اغتسلوا واستبدلوا ثيابهم ، شربوا قدحين من « الجن » .. ولم يكن هتشينسون قد ذهب إلى ( كوالا سولور ) منذ سنة تقريبا ، ولم ير رجلا أبيض منذ ثلاثة أشهر ، فكان تواقا إلى أن يسرف فى الترحيب بضيفيه . ولم يكن يملك أن يقدم لهما نبيذا ، وإنما كانت هناك كميات كبيرة من الويسكى . وأحضر لهما بعد العشاء زجاجة غالية من « البندكتين » ، فازداد مرحهم ، وأسرفوا فى الضحك والحديث . وبدأ « ايزارت » يبرز فى المجال ، وخيل إليه أنه لم يحب — من قبل — شخصا أكثر مما أحب « هتشينسون » ، فأخذ يلحف فى دعوته أن يزوره فى ( كوالا سولور ) بأسرع ما كان يستطيع . وأوحى شىء من الخبث إلى « ايزارت » أن يستبقى « كامبيون » بعيدا عن الحديث ، لكى يضعه فى

www.dvd4arab.com

مكانه ، كما نأى هتشينسون عن محادثته بحكم خجله وحيائه . فما لبث كامبيون أن أبدى رغبته فى أن يأوى إلى فراشه ، بعد أن أكثر من التثاؤب . فاقتاده هتشينسون إلى غرفته . وعندما عاد إلى ايزارت قال له : « ألا تريد الذهاب إلى الفراش الآن ؟ »

ـ لا ، وحياتك ! .. لنتناول كأسا أخرى !

وجلسا يتبادلان الحديث .. وبدأت الخمر تلعب برأسيهما . وإذ ذاك ذكر « هتشينسون » لضيفه أنه كان يعاشر إحدى فتيات الملايو ، وقد أنجب منها طفلين ، ولكنه طلب منهم ألا يظهروا خلال مقام كامبيون !.. وأردف ، وهو يمد النظر نحو الباب الذى أدرك ايزارت أنه يؤدى إلى مخدع المضيف : « احسبها نائمة الآن ، ولكنى أحب أن ترى الطفلين ، وسأفعل ذلك فى صباح غد »

وهنا انبعث عويل خافت ، فقام هتشينسون واتجه إلى الباب ، وهو يقول : « لقد استيقظ الشيطان الصغير ! » . وفتح الباب ، ودخل الغرفة .. وبعد برهة ، ظهر وهو يحمل طفلا بين ذراعيه ، ووراءه امرأة تتبعه .

وقال لايزارت : « لقد بدأت أسنانه تشق طريقها للظهور .. وهى تتعبه وتؤرقه ! » .. وكانت المرأة ترتدى السارونج ( وهو مئزر يرتديه الرجال والنساء على السواء فى جاوة والملايو ) ، وسترة بيضاء خفيفة . وكانت حافية القدمين ،



صغيرة السن ، ذات عينين سوداوين جميلتين . وعندما تحدث « ايزارت » إليها ، ابتسمت له ابتسامة مشرقة تفيض بهجة ، ثم جلست وأشعلت سيجارة ، وأخذت تجيب ـ بدون حرج ، ولكن بلا إسراف ـ عن الأسئلة التى أخذ يوجهها إليها بأدب وكياسة . وسألها هتشينسون عما إذا كانت تحتسى كأسا من الويسكى معهما ، فرفضت . وعندما عاود الرجلان الحديث بالإنجليزية ، جلست ساكنة تتأرجح برفق فى مقعدها ، وقد استغرقت فى أفكار هادئة ما كان بوسع أحد أن يتنبأ بها !

وقال هتشينسون : « إنها فتاة طيبة للغاية ، تتولى العناية بالبيت ، ولا تضايقنى فى شىء . وهذا بطبيعة الحال هو الشىء الوحيد الذى يمكن أن يعمل فى مكان كهذا ! » . فقال ايزارت : « اننى ـ شخصيا ـ لا أقدم على شىء كهذا ، فلا يد للإنسان ـ فى النهاية ـ من أن يرغب فى أن يتزوج ، وإذا كان فى ماضيه مثل هذا الشىء ، فانه يغدو مصدرا للكثير من الحرج ! »

ـ ولكن .. من ذا الذى يريد الزواج ؟.. يالها من حياة لسيدة بيضاء !.. اننى لا أجسر قط أن أسأل أية سيدة بيضاء أن تعيش هنا ، مهما يكن الثمن !

ـ إنها بطبيعة الحال مسألة مزاج .. وإذا قدر أن يكون لى أولاد ، فيهمنى أن تكون أمهم من البيض !

فغض هتشينسون نظره ، وأخذ يتفرس فى الطفل الأسمر اللون ، الذى كان يحمله بين ذراعيه . وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة ، وقال : « من الطريف حقا أن تعرف إلى أى

Looloo
www.dvd4arab.com

مدى ستحبهم ، فليس من المهم أن يكونوا سودا أو بيضا ما داموا أبناءك ! » .

والقت المراة نظرة على الطفل ثم نهضت قائلة انها تبغى أن تحمله إلى الفراش . فقال هتشينسون : « أرى من المناسب أن نذهب جميعا إلى النوم ، فالله وحده يعلم فى أية ساعة نحن الآن ! » .

* * *

وذهب « ايزارت » إلى غرفته ، ففتح النوافذ التى كان خادمه « حسن » — الذى رافقه فى رحلته — قد اغلقها ، وأطفأ الشمعة حتى لا يجتذب ضوؤها البعوض ، ثم جلس إلى النافذة ، وأخذ يتطلع إلى الظلام الهادىء ، وقد أوحى إليه الويسكى الذى شربه أنه كان يقظا ، متنبها كل الانتباه، وليست به رغبة فى أن يأوى إلى فراشه . وقام فخلع ملابسه ، وارتدى « السارونج » وأشعل سيجارة من تبغ « المانيلا » ، وقد اختفت علامات البشر من وجهه . فان رؤية هتشينسون وهو ينظر فى شغف إلى الطفل الذى أنجبه من امرأة غير بيضاء ، عكر عليه هدوء باله ! .. وقال يحدث نفسه : « لم يكن لهما أى حق فى أن ينجبا أبناء ، فلن تكون لهؤلاء الأبناء أية فرصة فى الدنيا ! .. ابدا ! » .

ومر بيديه على ساقيه العاريتين من الثياب ، المكسوتين بالشعر . وارتجف قليلا ، ولا غرو ، فقد حاول كثيرا أن ينمى هاتين الساقين ، ولكنهما ظلتا دائما أشبه بعصا المكنسة ، حتى لقد بات يكرههما ، ويشعر على الدوام بما فيهما من



عيب .. كانت اشبه بسيقان أبناء تلك البلاد .. بل انهما — فى الواقع — الساقان اللتان خلقت الأحذية الطويلة من أجلهما . ولذلك كان يظهر بمظهر طيب جدا ، إذا ما ارتدى الزى الرسمى . فقد كان طويل القامة ، قوى البنية ، يزيد طوله على ست أقدام ، وكان ذا شاربين حالكى السواد . وشعر أسود .. أما عيناه السوداوان ، فكانتا جميلتين كثيرتى الحركة .. وكان مليح الشكل ، وقد أدرك ذلك حقا ، كيما كان حسن الملبس ، واسع الثياب مهدلها عندما تقتضى « المودة » ذلك بالثياب المهدلة ، وأنيقا عندما يقتضى الظرف أن تكون ثيابه محبوكة حول جسده !

ولقد أحب الجيش ، فكانت صدمة قوية له أن انتهت الحرب ، ولم يتسن له البقاء فى صفوفه .. وكانت مطامعه بسيطة ، فقد كان يرجو دخلا يبلغ الفى جنيه فى العام ، ويتوق إلى إقامة حفلات العشاء الفخمة ، وأن يذهب إلى الحفلات والمآدب وهو فى الزى العسكرى .. وكان يصبو إلى الإقامة فى لندن !

وكانت والدته تعيش هناك فى الواقع ، وهى التى كانت تعرقل خططه !.. إذ كان يحار فى أمر تقديمها للمجتمع إذا قدر له أن يخطب الفتاة التى كان يتطلع إلى الزواج بها ، وهى من أسرة طيبة ، وتملك بعض المال .. وكان أبوه قد توفى منذ زمن طويل ، وقد قضى الفترة الأخيرة من حياته مقيما — أى حاكما — فى أقصى ولاية من ولايات الملايو . ولهذا كان « ايزارت » واثقا من أنه ما من أحد فى ( سمبولو ) يعرف شيئا عن أمه .. ومع ذلك ، فقد كان يعيش فى ذعر ، خشية أن

www.dvd4arab.com

يصادفها أحد فى لندن ، فيكتب إلى القوم فى ( الملايو ) ، ويذيع أنها كانت « مولدة » .. من أب أبيض وأم من بنـات تلك الأصقاع !.. ولقد كانت حسناء عندما تزوجها والد «ايزارت» — الذى كان مهندسا فى خدمة الحكومة — ولكنهـا أصـبحت عجوزا بدينة ، شيباء الشعر ، تقضى يومها فى خمول ، ولا تكف عن التدخين ! . .

ولقد كان « ايزارت » فى الثانية عشرة عندما توفى والده ، وكان — عندئذ — يستطيع التحدث بلغة الملايو بطلاقة تفوق طلاقته فى الإنجليزية ! .. وقد أبدت إحدى عماته استعدادها للتكفل بنفقات تعليمه ، فسافر إلى إنجلترا .. ورافقته أمه ، التى اعتادت أن تقيم فى مساكن مفروشة ، فكانت غرفهـا مقبضة للنفس ، شديدة الحر ، لكثرة ما كانت تحشد فيهـا من ستائر شرقية ، وأدوات للزينة مصنوعة من فضة الملايو .. وكانت الأم على شـقاق دائم مع صـاحبات المسـاكن التى تستأجرها ، بسبب ما كانت تنثره حولها من بقايا السجاير فى كل مكان . وكان ايزارت يكره طريقتها فى المصادقة ، فقـد كانت تتمادى فى الألفة فترة من الزمن ، إلى درجـة تثـير الدهشة ، ثم يدب الفتور ، وبعد شجار عنيف ، تغادر المنزل إلى سواه !

وكانت أفلام السينما متعتها الوحيـدة ، فكانت تذهب إلى دور السينما فى جميع أيام الأسبوع .. وكانت ترتدى — فى مسكنها — ثوبا رخيصا ، كثير الزركشة والنقوش . أما إذا خرجت ، فكانت ترتدى — فى غير أناقة ولا نظافة — ثيابا ذات



الوان صاخبة ، مما كان يثير كمد ابنها الأنيق ، فكان يتشاجر معها كثيرا . ولا عجب فقد كانت تستنفد صـبره !.. كان يخجل منها ، ولكنه — مع هذا — كان يشعر نحوها بحنـان رقيق عميق ، فكأنما بينهما رابطة مجسدة ، تتجاوز مجرد الشعور العادى بين الأم والابن ، ولهذا فقد كانت — برغم سيئاتها التى أقضت هناءه — هى الشخص الوحيد فى العالم ، الذى يرتاح إليه ارتياحا تاما !

ونظرا للمركز الذى كان والده يشغله ، ولمعرفته هو بلغة الملايو — لأن والدته كانت تحدثه بهـا على الدوام — فانه عمد حين وجد نفسه بلا عمل أو منصب ، إلى السعى للالتحاق بخدمة سلطان ( سمبولو ) . وقد أصـاب نجاحا فى هـذه الخدمة ، وفى المجتمع الذى يقيم هناك . إذ كان يجيـد ألعابا كثيرة ، وكان قويا ورياضيا مبرزا ، وقد عرض فى استراحة ( كوالا سولور ) الكؤوس التى ظفر بهـا فى مسـابقات العدو والقفز فى كلية « هارو » ، وقد أضاف إليها بعد ذلك كؤوسا أخرى ظفر بها فى مباريات الجولف والتنس .. وكان بفضل ما حوته جعبته من أحاديث شيقة ، النجم اللامع فى المـآدب والحفلات .. وكانت بشاشته عاملا فى تصريف الأمور ، وكان خليقا — بعد كل هذا — بأن يكون سعيدا ، ولكنه فى الواقع كان بائسا شقيا !.. ولقد كان يتوق أن يكون من الشخصيات المعروفة المحبوبة . ولكن هاجسا راح يوحى إليه — فى إلحاح كان فى هذه اللحظة أقوى منه فى أية لحظة من قبـل — بأن الشهرة الشعبية قد أفلتت منه . وكان يخشى أن يكون أهـل ( كوالا سولور ) قد عرفوا — ولو بحض المصادفة — أن فى

www.dvd4arab.com

عروق هذا الشخص الذى يقابل بالترحيب فى كل مكان ، دما من بلادهم !

وكان يعلم تماما ما ينبغى أن يتوقعه لو أنهم عرفوا ذلك ، فلن يقولوا عندئذ إنه مرح ودود ، بل سيقولون إنه عادى إلى أقصى حد .. وسيقولون كذلك انه مهمل ، وغير كفء ، كغيره من المولدين .. ولسوف يسخرون منه عندما يتحدث عن الزواج بسيدة من البيض ! .. يا له من إجحاف وغبن !.. أى فارق هذا الذى تحدثه هذه القطرة من الدم المحلى التى تجرى فى عروقه ؟!.. ان هذه القطرة بالذات ستحملهم على أن يكونوا على الدوام متحفزين ، انتظارا للفشل المرتقب فى اللحظة الحرجة . فان كل امرىء كان يوقن من أنه لا يمكن الاعتماد على الخلاسيين ، ومن ثم فقد أخذ يتوقع أن يتخلوا عنه ، عندما تحين هذه اللحظة ، إن آجلا أو عاجلا !.. كان يعرف ذلك ويوقن منه ، ولكنه راح يسائل نفسه ، فى تلك الليلة : ألا يكون فشل الخلاسيين راجعا إلى أن الفشل كان منتظرا منهم ؟! .. يا لهم من بؤساء مساكين ، لم تتح لهم أية فرصة !

وصاح ديك بصوت عال ، فانتبه « ايزارت » إلى أن الوقت قد مضى به بعيدا .. وبدأ يشعر بالبرد ، فأوى إلى مرقده .

وعندما أحضر له « حسن » الشاى — فى الصباح التالى — كان يشعر بصداع حاد . وعندما ذهب إلى حجرة المائدة لتناول الفطور ، لم يقو على أن يلقى نظره على شرائح اللحم



والبيض الموضوعة أمامه .. وكان هتشينسون — هو الآخر — فى حال غير طيبة ، فقال وهو يبتسم ليخفى تعبه : « أحسب أننا جعلنا من ليلة الأمس ليلة ليـــلاء ! » . فهتف ايزارت : « اننى أشعر كأننى فى جحيم ! » .. وهنـــا قال هتشينسون : « سأفطر بقدح من الويسكى والصودا » . ولم يكن ايزارت وهو يقبل على التهام اللحوم بشهية طيبة !

وقال كامبيون فى سخرية : « يا الله يا ايزارت ! .. لشـــد ما يبدو خيشوماك أسمرين !.. أبدا لم أر فى حياتى مثل هذه السمرة العجيبة ! » . فتضرج وجه ايزارت ، إذ كان اسمرار لونه نقطة حساسة بالنسبة له . ولكنه أرغم نفسه على أن يطلق ضحكة ، مظهرا البهجة ، وقال :

— الواقع أن لى جدة أسبانية ، وأذكر أننى عندما كنت فى « هارو » ، تشاجرت مع أحد الصبية وضربته ضربا مبـــرحا لانه نعتنى بأنى « مولد » !

فقال هتشينسون : « انك أسمر اللون ! .. هل ســـألك أحد من الملايو عما إذا كان يجرى فى عروقك دم محلى ؟ » . فأجاب ايزارت متضاحكا : « أجل .. لعنة الله على جرأتهم !».

* * *

وفى الصباح ، أقلع قارب بأمتعتهما ليسبقهما إلى مصـــب النهر ، وليخبر ربان السفينة « السلطان أحمد » — إذا قدر أن تصل قبل الموعد المقرر لها — أنهما كانا فى طريقهما إلى السفينة وكان على ايزارت وكامبيون أن يقلعا فورا ، حتى يصـــلا إلى

www.dvd4arab.com

المكان الذى كان مقررا أن يقضيا الليل فيه ، قبل أن تمر موجة المد ، وهى موجة من مياه المد تندفع فى بعض الأنهار — بسبب خاصية فى الأرض — وكان النهر الذى يبحران فيه يتعرض لمثل هذه الموجة . وكان هتشينسون قد أبلغهما عنها فى الليلة الماضية .. وقد أبدى كامبيون — الذى لم يسبق له أن رأى شيئا كهذا — اهتماما كبيرا بأمرها . فقال هتشينسون: « انها من خير الموجات فى بورنيو ، وهى جديرة بالمشاهدة ! » .

وأبلغهما كيف أن الوطنيين يترقبون عادة اللحظة التى تأتى فيها الموجة فيمتطونها لتنقلهم بسرعة رهيبة تخطف الأنفاس خطفا . وقال لهما انه قام بهذه التجربة مرة واحدة . ثم أردف : « لن أعاود التجربة مرة أخرى ، فقد أخرجنى الرعب الذى شعرت به عن وعيى ! » .

وقال ايزارت : « لكم أود أن أجرب ذلك مرة ! » .

— إنها مثيرة إلى حد بالغ ، ولكن صدقونى إذا قلت إنكما إذا كنتما فى أحد القوارب المحلية ، ولم يعرف الوطنى الذى يقوده اللحظة المناسبة التى تهب فيها الموجة ، فانها لا تلبث أن تدهمكما وتلقى بكما فى تيار عارم . وعندئذ لا تكون هناك أية فرصة للنجاة !.. وفى رأيى أن المجازفة بالتعرض لها ليست من الرياضة فى شىء !

فقال كامبيون : « اننى اجتزت فى حياتى عددا كبيرا من الشلالات ! »

— كل الشلالات تعد تافهة إذا قيست بهذه الموجة . وما



عليك إلا أن تنتظر لتراها !.. انها من افظع ما عرفت !.. ألا تعلم أن مالا يقل عن عشرة من الأهالى يغرقون فى الموجة التى تدخل هذا النهر ، فى كل عام ؟

وجلسوا على مقاعد مريحة فى الشرفة ، حيث قضوا الشطر الأكبر من فترة الصباح . ثم أخذهما هيتشنسون فأراهما دار المحكمة . وأديرت كؤوس « الجن » بعد ذلك ، فشربوا كأسين أو ثلاثا .. وانتعش ايزارت ، فلما مد الطعام — فى النهاية — شعر بشهية رائعة .. وكان هتشينسون يطنب فى امتداح « الكارى » الذى يطهى فى الملايو ، فما ان وضعت الأطباق الساخنة — التى كان البخار يتصاعد منها — حتى أقبل الضيفان عليها ، وراحا يأكلان بشراهة .. وألح هتشينسون عليهما بالشراب ، وهو يقول : « ليس أمامكما — خلال الرحلة — غير النوم ، فلماذا لا تسكران ؟ » .

ولم يكن يطيق أن يتركهما يفارقانه بهذه السرعة ، فما كان أجمل أن يجتمع — بعد هذه الفترة الطويلة التى قضاها فى هذه البلاد — برجلين من البيض ويتحدث إليهما ، ولهذا راح يتلكأ فى الأكل ، ويلح عليهما فى تناول مزيد من الطعام . وقال لهما إنهما لن يجدا فى البيت الطويل — الذى ينزلان فيه خلال الرحلة — غير طعام تافه ، وغير شراب العرق فقط .

واقترح كامبيون مرة أو مرتين أن يشرعا فى الرحلة ، ولكن هتشينسون كان يستمهله مؤكدا له أن هناك متسعا من الوقت .. وكذلك فعل « ايزارت » ، إذ كان قد أحس بالسعادة والطمأنينة . وبعث هتشينسون فى طلب زجاجة

Looloo
www.dvd4arab.com

« البندكتين » الثمينة .. وكانوا قد شربوا بعضا منهـا فى الليلة السابقة ، فرأى أن يأتوا عليها معا قبل أن يغادراه !

وعندما رافقهما — فى النهاية — إلى النهر ، كانوا جميعا فى منتهى المرح ، ولم يكن أى منهم ثابت القـدمين !.. وكانت تقوم فى وسط الزورق سقيفة ، وقـد فرش هتشينسـون حصيرة تحتها .. أما البحارة فكانوا من المسـجونين ، وقـد جىء بهم من السجن ليبحروا بالرجلين الأبيضين ، وقد ارتدى كل منهم مئزرا « سارونج » قذرا ، عليه عـلامة السجن . ووقفوا ممسكين بالمجاديف فى انتظار الراحلين .. وبعـد أن صافح « ايزارت » و « كامبيون » هتشينسون ، تهالكا على الحصير ! .

* * *

وأقلع الزورق فى النهر الواسع الهادىء ، الذى كان ماؤه يتألق تحت حرارة شمس بعد الظهر الساطعة ، فكأنه نحاس مصقول براق . وكان فى إمكانهما أن يريا من القارب ضـفة النهر — على البعد — بأشجارها الخضراء المتشابكة . وشعر الاثنان بالنعاس ، ولكن « ايزارت » وجد متعة غريبة فى أن يقاوم قليلا ذلك التثاقل الذى أخـذ يدب فى جسمه ، وقـد استقر عزمه على ألا يدع النوم يغلبـه قبـل أن ينتهى من تدخين السيجارة المصنوعة من طباق « المانيلا » . وأخيرا ، كاد عقب السيجارة أن يحرق أصابعه ، فقذف به فى البحر ، وقال : « سأنعم بإغفاءة بديعة ! » .

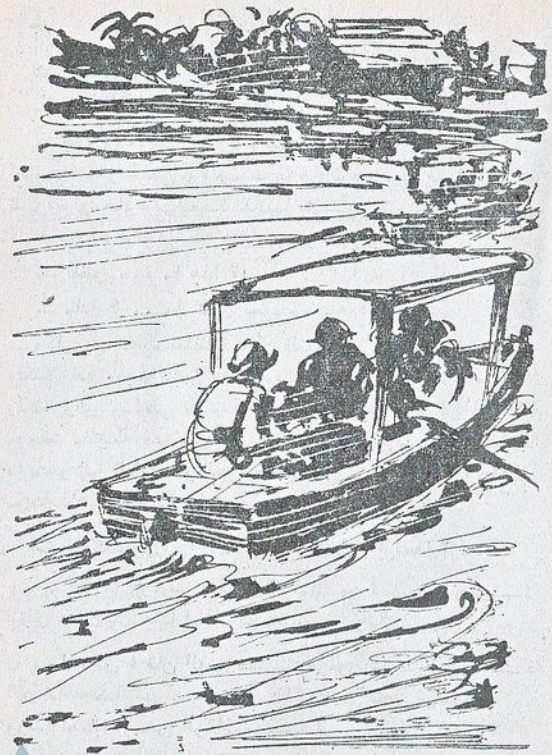

وأقلع الزورق فى النهر الواسع الهـادىء ، الذى كان ماؤه يتألق تحت حرارة شمس بعد الظهر الساطعة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

فسأله كامبيون : « وما رأيك فى موجة المد ؟ »

ـــ آه ، لا بأس !.. لا داعى لأن نضايق نفسينا بهذا !

وتثاءب فى صوت عال ، وشعر بأن مفاصله قد ثقلت حتى أصبحت كالرصاص .. ومرت برهة شعر فيها بخدر لذيذ ، ثم راح فى غفوة لم يعد خلالها يشعر بشىء !.. ولكن « كامبيون » أيقظه فجأة ، وأخذ يهزه صائحا :

ـــ انظر ... ما هذا ؟

ـــ ماذا ؟ .. ما الذى تتساءل عنه ؟

وكان يتحدث بتثاقل ، لأن النوم كان ما يزال يغالبه ، ولكنه تابع بعينيه إشارة « كامبيون » .. ولم يسمع شيئا ، ولكنه رأى ـــ على مسافة ليست بالقريبة ـــ قمتين أو ثلاثا لموجات متتابعة ، يلاحق بعضها بعضا .. ولم يكن فى منظرها ما يدعو إلى الخوف أو الجزع ، فقال ايزارت : « أوه .. أظنها موجة المد ! » .

فسأله كامبيون : « وماذا ترانا فاعلين إزاءها ؟ »

ولم يكن « ايزارت » قد أفاق تماما من نعاسه ، فابتسم للقلق الذى بدا جليا فى صوت كامبيون ، وقال له :

ـــ لا تقلق ، فان الذين معنا يعرفون كل شىء عن هذه المسألة ، كما أنهم يعرفون كل المعرفة ما يجب أن يعملوه .. وربما أصابنا بعض الرذاذ فحسب !

وبينما كانا يتبادلان هذه الكلمات ، وكانت الموجة تقترب بسرعة كبيرة ، وقد سمع لها هدير كهدير بحر غاضب . ورأى



ايزارت أمواجا أكبر بكثير مما كان يتصور ، فلم يرتح إلى منظرها . وشد حزامه حول خصره ، حتى لا ينزلق سرواله ( بنطلونه ) القصير إذا تأرجح الزورق ..

ولم تكد تنقضى لحظة ، حتى داهمتهم الموجة .. كانت أشبه بجدار ضخم من الماء ، لاح أنه يرتفع شامخا فوقهم .. ولعل ارتفاعه كان يبلغ عشرة أقدام أو اثنى عشر قدما ، ولكنك لم تكن تستطيع قياسه إلا بالنسبة إلى فرعك ! .. وتبدى بجلاء أنه لا سبيل لأى زورق إلى أن يقاوم هذا الطوفان الجارف !

واندفعت الموجة الأولى فغمرتهم وأغرقتهم جميعا ، وملأت نصف الزورق بالماء .. وجاءت الموجة الثانية فى أعقاب الأولى مباشرة ، فلطمتهم !.. وأخذ البحارة يصرخون ويحركون المجاديف بجنون . وصاح مراقب الدفة مصدرا أمرا ، غير أن البحارة كانوا عاجزين فى وسط هذا السيل الطاغى ، وكان من المفزع لهم حقا أن يروا كيف كانوا يفقدون بسرعة كل سيطرة على الزورق .. فقد حولت قوة المياه اتجاه الزورق ، فأصبح فى وضع مستعرض فى النهر ، ثم حملته معها على قمة الموجه .. واقتربت موجة ضخمة أخرى ، ثم اندفعت نحوهم بقوة ، فغمرتهم . وبدأ الزورق يغرق ، فخرج « ايزارت » و « كامبيون » من تحت السقيفة ، حيث كانا مستلقيين ، وقد شعرا ـــ على حين غرة ـــ بأن الزورق راح يميد تحت أقدامهما ..

ووجدا نفسيهما يصارعان المياه ، وهى تحيط بهما وتدفعهما بقوة . وكان أول خاطر تبادر لذهن « ايزارت » هو أن يسبح

www.dvd4arab.com

فى اتجاه الشاطىء ، ولكن خادمه « حسن » صاح به أو ناشده أن يتشبث بالقارب .. وحذا الجميع حذوه .

وصاح كامبيون ، يسأل ايزارت . « أأنت بخير ؟ »

فأجابه ايزارت قائلا : « أجل ، وها أنذا أنعم بالاستحمام ! »

* * *

وظن أن اضطراب الماء سينقطع — بعد أن مرت موجة المد ، سارية فى النهر — وأنهم لن يلبثوا بعد بضع دقائق أن يخرجوا مرة أخرى إلى مياه هادئة . وقد نسى أنهم كانوا — فى الواقع — محمولين على قمة موجة المد الكبرى ، وقد أخذت الأمواج — التى أثارها اندفاعها — تتدافع نحوهم ، وتهاجمهم بعنف . فتشبثوا بحافة الزورق ، وبالقاعدة التى كانت السقيفة تقوم عليها . ثم مرت موجة أكبر ، فضربت القارب بقوة جعلته ينقلب ويهوى فوقهم . وأفلتت قبضاتهم ما كانوا يتشبثون به ، فراحوا يتخبطون .. وبدا لهم أنه لم يعد أمامهم غير قاع الزورق المقلوب يستطيعون التعلق به ، ولكنه كان أملس ، وكأنه مطلى بالشحم ! .. وقد حاول « ايزارت » عبثا أن يتشبث به . ولكن يديه كانتا تنزلقان عن هذا السطح الأملس ..

واستمر القارب ينقلب على كل جانب ، فأمسك ايزارت بحافته باستماتة .. ولكنه شعر به ينزلق من قبضته . وأخيرا نجح فى التعلق بالسقيفة . ومضى الزورق فى تقلبه ، وهو يدور ببطء .. وحاول مرة أخرى أن يمسك بأسفله ، ولكنه



كان يدور بانتظام رهيب !.. وظن أن السبب فى هذا راجع إلى أن الجميع كانوا يتعلقون بجانب واحد منه ، فحاول أن يحمل البحارة على الانتقال إلى الجانب الآخر ، ولكنه لم يستطع أن يحملهم على فهم الموقف ، فكان كل واحد منهم يصرخ ، وكانت الأمواج تنقض عليهم فى زئير رهيب مرعب !.. وكلما انقلب الزورق فوقهم ، كان ايزارت يندفع إلى جوف الماء ، ولا يرتفع إلا عندما تتيح له حافة الزورق وسقيفته فرصة التشبث بأى منهما ..

كان نضالا رهيبا !.. وكادت أنفاسه تنقطع ، وشعر بأن قواه أخذت تخور .. وكان يعرف أنه لم يكن يستطيع الصمود طويلا ، ولكنه مع هذا لم يشعر بخوف ولا جزع ، إذ أن التعب كان قد بلغ منه مبلغا لم يعد معه يهتم بما يحدث !

وكان « حسن » بجانبه ، فما لبث ايزارت أن أبلغه أن التعب قد برح به ، وأنه كان يرى أن خير ما يمكن عمله هو الاندفاع نحو الشاطىء ، إذ أنه لم يكن يبدو بعيدا بأكثر من ستين ياردة . ولكن حسنا ناشده ألا يفعل ذلك .. وكانوا ما يزالون محمولين على هذه الأمواج الصاخبة العارمة .. وظل الزورق يدور ويدور ، وهم يتخبطون فوقه ، وكأنهم سناجب فى قفص ! .. وابتلع « ايزارت » كمية كبيرة من الماء ، وشعر بأنه أوشك أن يهلك !

ولم يكن فى مقدور « حسن » أن يقدم له أية مساعدة ، ولكن وجوده كان مدعاة لاطمئنانه . فقد كان ايزارت يعرف

www.dvd4arab.com

أن هذا الفتى قد ألف الماء طول حياته ، وأنه لهذا كان سباحا قويا .

وشعر ايزارت — لدقيقة أو دقيقتين — أن قاع الزورق ظل إلى أسفل، فلم يدر سبب هذا ، ولكنه تمكن — فى هذه الحالة — من التشبث بحافة الزورق . وبالها من لحظة عظيمة ، استطاع فيها أن يتنفس !.. وشاهد عندئذ قاربين صغيرين يقلان بعض أهل الملايو . وكانا محمولين على هذه الأمواج ، وقد مرا كلمح البرق ، فصاح ركاب زورق ايزارت يطلبون النجدة ، ولكن الملايويين أشاحوا بوجوههم ومضوا فى طريقهم .. ولقد رأوا الرجلين الأبيضين ولكنهم لم يشاءوا أن يزجوا بأنفسهم فيما قد يعود عليهم بمتاعب .. وكان من المؤلم حقا أن يريا هؤلاء الناس يمرون بهما ويتركونهما دون ان يهتما بسلامتهما !

وعلى حين فجأة ، عاد الزورق يدور ، ويدور ، ويدور ببطء .. وعاد الزحف ، والافلات ، والتسلق ، تتكرر فى إرهاق وضنى مؤلمين .. ولكن الفترة القصيرة التى كان ايزارت قد قضاها متشبثا بحافة القارب — دون كفاح — ساعدته كثيرا ، وأطالت من فترة نضاله الجديد .. وشعر — مرة أخرى — بأن أنفاسه تتقطع ، وأحس بصدره يكاد ينفجر .. ونفدت قواه ، ولم يعد يدرى ما إذا كان قد بقى منها ما يمكنه من السباحة إلى الشاطىء ..

وعلى حين غرة ، سمع صرخة .. وتبين صوت كامبيون يصيح قائلا : « ايزارت، النجدة !.. النجدة ! » .



وكانت صرخة ألم هدت أعصاب ايزارت .. وأخذ يردد فى نفسه : « كامبيون ! .. كامبيون ! » .. وماذا يهمه من أمر كامبيون ؟! .. واستولى عليه الخوف .. خوف حيوانى أعمى ، أشاع فيه قوة جديدة . وإذا هو لا يجيب النداء والاستصراخ ، وإنما قال لحسن : « ساعدنى ! أنقذنى !.. أسرع ! أسرع ! »

وفهم حسن جلية أمره فى الحال .. وبمعجزة ما ، ظهر أحد المجاديف بالقرب منهما ، فأمسك به حسن ، ودفع به إلى « ايزارت » . ثم وضع يده تحت ذراع « ايزارت » ، وابتعدا عن الزورق .. وكان قلب « ايزارت » يدق بعنف ، وأنفاسه تنبعث بعناء . وأحس بضعف بالغ .. وأخذت الموجات تلطمه فى وجهه .. وبدا الشاطىء وكأنه على بعد سحيق ، فلم يخالجه رجاء فى أن يستطيع الوصول إليه ..

وفجأة ، صاح الخادم قائلا إنه استطاع أن يلمس قاع النهر، مبشرا بأنهما بلغا بقعة ضحلة ، فأنزل ايزارت ساقيه ، ولكنه لم يشعر بشىء تحته .. وتحول يسبح ويضرب الماء بذراعيه بضع ضربات واهنة، وعيناه مركزتان لا تتحولان عن الشاطىء. وعاد يجرب حظه مرة أخرى ، فأنزل ساقيه ومدهما فى الماء . وإذ ذاك شعر بقدميه تغوصان فى طمى كثيف . وامتلأ قلبه فرحا وحمدا . وأخذ يتقدم ويخوض الماء متخبطا ، وإذا الشاطىء على قيد ذراع منه . وغاصت ساقاه فى الطمى إلى ركبتيه . فناضل مستميتا لكى يخرج من هذه المياه القاتلة .

Looloo
www.dvd4arab.com

وأخيرا ، وجد أمامه بقعة مسطحة من الأرض ، مكسوة بحشائش طويلة ، فارتمى وحسن عليها .. واستلقيا برهة بلا حراك ، وكأنهما ميتان ، وقد كساهما الطمى الأسود من قمتى رأسيهما إلى أدنى أقدامهما !

* * *

ولكن عقل ايزارت لم يلبث أن بدأ يعمل من جديد . وإذا بوخز أسى مفاجىء يهز كيانه .. لقد غرق « كامبيون » ! يا له من أمر مروع ! .. ولم يدر كيف سيتسنى له أن يشرح هذه النكبة عندما يعود إلى ( كوالا سولور ) .. لسوف يوجه إليه اللوم ، إذ كان ينبغى له أن ينتبه إلى موجة المد ، والمويجات التى تثيرها ، فيأمر قائد الدفة بأن يحول الزورق إلى الشاطىء عندما رأى هذه الموجات مقبلة .. ولكن ذلك لم يكن خطأه ، وإنما كان خطأ قائد الدفة الذى كان يعرف النهر خير معرفة . فلماذا — بحق السماء — لم يخطر له أن يخرج إلى بر الأمان ؟.. وكيف كان بوسعه أن يتوقع أنه فى الإمكان امتطاء هذا السيل العرم ؟!

وأخذت ركبتا « ايزارت » ترتجفان عندما تذكر جدار المياه الضخم الذى داهمهم . ورأى لزاما عليه أن يعثر على الجثة ، وأن يأخذها إلى ( كوالا سولور ) .. ولم يكن يدرى ما إذا كان أحد من البحارة قد غرق كذلك .. وبلغ من ضعفه أنه لم يستطع حراكا ، ولكن حسنا كان قد قام ونفض الماء عن « السارونج » ، وأخذ ينظر إلى النهر ، ثم تحول بسرعة إلى ايزارت وقال :



— سيدى .. هناك قارب يقترب !

ولكن الحشائش الطويلة حالت دون أن يرى ايزارت شيئا. فاكتفى بأن قال لحسن : « نادهم ! » .

وغاب حسن عن النظر واتجه نحو جذع شجرة كانت تميل على الماء ، فتسلقه ، وأخذ يصيح ويلوح بيديه . وما لبث « ايزارت » أن سمع — فى النهاية — أصواتا .. كانت أصوات حديث سريع بين الخادم وركاب القارب ، ثم عاد حسن فقال لايزارت :

— لقد شاهدونا عندما انقلب الزورق بنا ، فعادوا إلينا حالما مرت موجة المد .. انهم يقولون إن هناك بيتا طويلا على الجانب الآخر ، فاذا عبرنا النهر معهم قدموا لك « السارونج » والغذاء .. ويمكننا أيضا أن ننام هناك !

على أن ايزارت شعر — لبرهة — بأنه لم يعد يستطيع أن يطمئن على نفسه مرة أخرى ، وسط هذه المياه الغادرة . وأخيرا سأل الخادم :

— وما أمر السيد الأبيض الآخر ؟

— إنهم لا يعرفون عنه شيئا .

— إذا كان قد غرق ، فعليهم أن يبحثوا عن جثته !

— هناك قارب آخر خرج إلى عرض النهر .

ولم يعرف ايزارت ما كان ينبغى أن يفعل ، فقد كان مشتت الحس والحركة . ووضع حسن ذراعه تحت إبطه ورفعه

Looloo
www.dvd4arab.com

ووضع حسن ذراعه تحت ابطة ورفعه وأوقفه على قدميه . ثم سعى به وسط الحشائش الكثيفة ..



وأوقفه على قدميه . ثم سعى به وسط الحشائش الكثيفة ، متجها إلى حافة الماء . وهناك ، رأى « ايزارت » القارب الصغير الذى كان يستقله اثنان من « الدياك » . وكان النهر قد عاد إلى هدوئه ، بعد أن مرت الموجة الكبرى . وما كان لإنسان أن يتصور أن هذا السطح الهادىء كان منذ لحظات اشبه ببحر مصطخب !

وأعاد الرجلان « الدياك » على مسمع « ايزارت » ما قالاه للخادم حسن .. ولم يكن فى ميسور ايزارت أن يحمل نفسه على الكلام ، إذ كان يشعر بأنه لن يتمالك أن يجهش بالبكاء ، إذا هو حاول أن ينبس بكلمة واحدة !

وساعده حسن فى الصعود إلى القارب ، فأخذ الوطنيان يجدفان . وشعر ايزارت بأنه فى أشد الحاجة إلى ما يدخنه ، ولكن سجايره وعلبة الثقاب كانت مبتلة فى جيبه .. وخيل إليه أن طريق عبور النهر لا يكاد ينتهى !.. وكان الليل قد حل ، فلما وصلوا إلى الضفة الأخرى ، كانت النجوم المبكرة تشع فى السماء . ونزل « ايزارت » إلى الشاطىء ، فأخذه أحد الرجلين « الدياك » وذهب به إلى المنزل الطويل . أما حسن ، فأخذ المجداف الذى تركه الرجل ، وانطلق بالقارب — بمعونة الرجل الآخر — إلى عرض النهر .

***

وجاء رجلان أو ثلاثة رجال وبعض الأطفال لاستقبال « ايزارت » . وما لبث أن تسلق صاعدا إلى المنزل ، وسط أصوات مختلطة انطلقت بالحديث فى آن واحد ، فكأنه كان فى

برج بابل . حتى إذا تسلق السلم ، اقتيد — وسط آيات الترحيب والتعليقات المثيرة — إلى المكان الذى كان شبان القرية ينامون فيه عادة . وفرشت الحصائر المصنوعة من الخيزران بسرعة ، فأعد منها فراش ألقى « ايزارت » بنفسه عليه .

وأحضر له أحد الموجودين دنا من العرق ، فشرب جرعة كبيرة ، نزلت جوفه وكأنها لهب من نار ، بعد أن كوت حنجرته . ولكنها مالبثت أن بعثت الحرارة فى قلبه . ثم خلع ملابسه ، وارتدى « السارونج » الذى قدمه له أحد الحضور ولمح — بمحض المصادفة — القمر الأصفر اللون ، وقد بزغ على شكل هلال ارتكز على ظهره، فبعث مرآه الغبطة والسرور فى نفسه .. ولم يتمالك أن يفكر فى أنه كان من المحتمل أن يكون الآن جثة طافية على النهر ، يسحبها المد معه !.. وخيل إليه أن القمر لم يبد له يوما بمثل الجمال الذى تراءى له إذ ذاك !

وبدأ يحس بالجوع ، فذهبت إحدى النسوة إلى الغرفة لتعد له الأرز . وكان قد تمالك نفسه فى تلك الأثناء ، وشرع يفكر من جديد فى الايضاحات التى سيقدمها فى ( كوالا سولور ) .. ورأى أنه لم يكن لأى إنسان أن يلومه لأنه نام فى القارب .. ولسوف يؤكد لأولى الأمر انه لم يكن مخمورا ، ولن يتردد هتشينسون فى أن يظاهره على ذلك !.. ثم ، كيف كان له أن يتصور أن يكون قائد الدفة بمثل هذا الغباء ؟!.. إن المسألة كلها كانت مجرد سوء حظ !



ومع ذلك فانه لم يكن يستطيع التفكير فى « كامبيون » دون ان يشعر برجفة !

وأخيرا ، قدم إليه طبق من الأرز . وبينما كان يهم بتناوله، دخل رجل مهرولا ، وهو يصيح قائلا : « لقد حضر السيد الأبيض ! » .. فأمسك ايزارت عن الطعام ، وهتف أخوذا : « أى سيد ؟! »

وقفز واقفا .. وسمع هرجا عند المدخل ، فخطا نحوه . وبرز حسن من الظلام مهرولا صوبه . وعندئذ سمع صوتا يقول :

— ايزارت ! .. أأنت هنا ؟

ذلك كان صوت « كامبيون » الذى تقدم منه وهو يقول :

— حسنا !.. ها نحن قد اجتمعنا مرة أخرى . لقد كان منظرا جميلا ، والله .. أليس كذلك ؟ .. الظاهر أنك قد استرحت واستردت جأشك وهدوءك .. وهذا ما سوف تفعله بعد جرعة من الشراب !

وكانت ملابسه المبتلة ملتصقة بجسمه .. كما كان متلطخا بالطمى ، مشعث الهيأة . ولكنه كان فى خير حالاته النفسية ! .. وعاد يقول :

— لم أكن أعلم إلى أى مكان كانوا يقودوننى . وكنت قد روضت نفسى على أننى قد أضطر إلى أن أقضى الليل على ضفة النهر .. وقد ظننت انك غرقت !

فقال له ايزارت : « هاك بعض العرق ! »

Looloo
www.dvd4arab.com

ووضع كامبيون شفتيه على الدن وشرب . ثم غص حلقه، فأخذ يدمدم لحظة ، عاود بعدها الشرب . ثم قال : « ياله من شراب قذر ، ولكن ما أشد مفعوله ! » .

ونظر إلى ايزارت فى ابتسامة ساخرة كشفت عن أسنانه المهشمة ، الحائلة اللون ، وقال :

ـ يبدو لى أيها العزيز أن الاستحمام قد يفيدك وينعشك !

ـ سأستحم فيما بعد !

حسنا ! .. وكذلك سأفعل أنا الآخر ، فأرجو أن تطلب منهم إحضار « سارونج » لى ! .. ولكن كيف قدر لك أن تنجو من النهر ؟

ولم ينتظر جوابا ، وإنما مضى فى حديثه قائلا :

ـ لقد ظننت أننى انتهيت ، ولكنى مدين بحياتى إلى هذين الشهمين !

وأشار إلى اثنين من المسجونين « الدياك » ، تبين ايزارت أنهما كانا ضمن بحارة الزورق .. واستطرد كامبيون فى حديثه:

ـ كانا معلقين على ذلك القارب المنكود ، كل منهما إلى أحد جانبى القارب . ولم يكن فى ميسورى إذ ذاك أن أصمد دقيقة أخرى ، فأشارا إلى . وفهمت أنهما أرادا أن يقولا إنه كان فى إمكاننا أن نجازف فنحاول الوصول إلى الضفة ، ولكنى لم أكن أعتقد أن لدى القوة الكافية ، فما شعرت فى حياتى قط بمثل هذا الضعف . ولست أدرى كيف دبرا ما فعلا ، وإنما الذى



أدريه هو أنهما حصلا ـ بطريقة ما ـ على الحصيرة التى كنا مستلقيين عليها ، وعمدا إلى لفها فجعلا منها عمودا .. والحق أنهما شهمان ، فلست أدرى لم لم ينجوا بنفسيهما دون أن يشقيا بأمرى ؟ ! .. ولكنهما أعطيانى الحصيرة ، فخيل إلى أنهما حزام إنقاذ ضعيف لا يصلح .. غير أننى رأيت بعينى صدق المثل القائل بأن الغريق يتشبث بأية قشة ! .. فلقد تشبثت بالحصيرة فعلا ، بينما أحاط الرجلان ، وأخذا يجرانى إلى الشاطىء بكل حيلة وسعتهما !

* * *

وكان الخطر الذى نجا منه « كامبيون » قد أشاع فيه انفعالا ، وأطلق لسانه بالثرثرة . ولكن « ايزارت » لم يكن يصغى إلى ما يقول ، وإنما هيأ له خياله أنه كان يسمع من جديد ، تلك الاستغاثة الحافلة بالذعر والهلع ، التى أطلقها كامبيون مستنجدا ، وهما فى النهر .. وكان الصوت واضحا ، وكأنه ما يزال يدوى فى الفضاء المحيط به ، فشعر « أيزارت » بالرعب ودب الفزع الأعمى فى جميع أوصاله ! .. وكان كامبيون ما يزال ماضيا فى الحديث ، فساءل ايزارت نفسه : أتراه كان يتحدث ليخفى حقيقة ما كان يجول بأفكاره ؟ ..

وتطلع إلى العينين الزرقاوين محاولا أن يقرأ المعانى المستترة وراء هذا السيل المتدفق من الكلام .. وأخذ يسائل نفسه : أفكان فى العينين وميض قاس ، أم كان فيهما شىء من السخرية اللاذعة ؟ .. وهل كان « كامبيون » يعرف أن « ايزارت » قد هرب منه ، وتخلى عنه ، وتركه يلاقى مصيره وحيدا ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

وتضرج وجهه ، ولكنه حاول أن يقتنع نفسه بأنه لم يكن بوسعه أن يفعل شيئا ما . ففى لحظة كهذه ، لا يفكر الإنسان إلا فى نفسه ، وليأخذ الشيطان الآخرين ! .. ولكن ما الذى سيقوله المسئولون فى ( كوالا سولور ) ، إذا أبلغهم كامبيون أن ايزارت هجره ؟ ! .. لقد كان من واجبه أن يبقى ، وقد أصبح يود من صميم قلبه لو أنه كان قد بقى .. ولكن حكم الظرف — إذا ذاك — كان اقوى من نفسه ، فلم يستطع البقاء .. فهل يلومه احد ؟! .. لا يمكن لأى شخص رأى هذا السيل العرم المخيف ، أن يلومه !

وقال لكامبيون : « إذا كنت جوعان مثلى ، فمن الخير أن تشاركنى هذا الأرز ! » .

واكل كامبيون بنهم ، أما ايزارت فانه لم يلبث — بعد أن ملأ فمه مرة أو مرتين — أن تبين أن شهيته للأكل قد ولت .. وكان كامبيون يواصل الحديث ، فأخذ ايزارت يصغى فى شك .. وشعر بأنه يجب أن يكون يقظا متنبهـا ، فشرب المزيد من العرق . وبدأ يشعر بأنه مخمور قليلا .

ولم يلبث ايزارت أن قال : « لسوف أتعرض لضجة لعينة عندما نصل إلى كوالا سولور ؟ » .. فقال كامبيون : « لست أدرى ما الذى يجعلك تتوقع هذا ! » .

— لقد كلفت بأن أعنى بك وأرعاك ، ولن يرى المسئولون أنها كانت براعة منى أن أعرضك لأن توشك على الغرق .

— لم يكن ذلك خطأك ، وإنما هو خطأ قائد الدفة المغفل اللعين .. ثم ان أهم ما فى الأمر — مع ذلك — هو أننا نجونا . .



يا إلهى ! .. لقد ظننت مرة أننى هلكت ، فصرخت أناديك .. ولست أدرى ما إذا كنت قد سمعتنى أم لا !

— لا . لم اسمع شيئا ، فقد كانت هناك ضجة كبيرة .. اليس كذلك ؟

— لعلك كنت قد تمكنت من الافلات قبل ذلك .. فلست أعرف متى قدر لك أن تفلت !

وتطلع إليه ايزارت بحدة . وخيل إليه أن فى عينى «كامبيون» نظرة غريبة ، فقال : « لقد كان ثمة ارتباك شديد .. ورحت أغوص وأطفو . ثم القى خادمى بمجداف إلى ، وأوحى إلى بأنك كنت على ما يرام .. بل قال لى إنك خرجت إلى الشاطىء !»

وأمسك « ايزارت » عن الكلام ، وقد فطن إلى أمر : المجداف ؟ ! .. كان من الواجب عليه أن يعطى المجداف لكامبيون ، وأن يطلب إلى حسن — وهو السباح القوى — أن يقدم له المساعدة ! .. ولكن ، أكان الوهم هو الذى أوحى إليه مرة أخرى أن كامبيون كان يلقى عليه نظرة سريعة فاحصة ، وهو يتكلم ؟

وقال ايزارت : « وددت لو أننى كنت أكثر نفعا لك ! » .

— آه ، إننى موقن من أنك كنت فى موقف لا يتيح لك سوى العناية بنفسك !

* * *

وأحضر الزعيم إليهما كؤوس العـرق ، فشربا معا قدرا كبيرا . وبدأ رأس ايزارت يدور ، فاقترح أن يذهبا للنوم . وكان ثمة فراشان قد أعدا لهما ، وبسطت فوقهما كلتان ..

Loeloo
www.dvd4arab.com

وكان لابد لهما من أن يقلعا مع الفجر ، ليستكملا رحلتهما النهرية .. وكان فراش كامبيون مجاورا لفراش ايزارت ، فإن هى إلا دقائق معدودات ، حتى سمع هذا غطيط الأول ، إذ استغرق فى النوم منذ اللحظة التى استلقى فيها على فراشه! .. فى حين راح شباب المنزل الطويل ، والسجناء — ملاحو الزورق — يقضون شطرا طويلا من ليلهم فى السمر .

وشعر « ايزارت » بألم غظيع فى رأسه ، ولم يستطع أن يفكر فى أمره ! .. وعندما أيقظه حسن مع بزوغ الفجر ، خيل إليه أنه لم ينم .. وكانت ملابسهما قد غسلت وجفت ، ومع ذلك فقد كانا فى مظهر رث مزر ، عندما سارا فى الطريق الضيق المؤدى إلى النهر ، حيث كان الزورق فى انتظارهما ..

وسرعان ما أقلع بهما الزورق يتهادى .. وكان الصباح جميلا ، وتلك المساحة الممتدة أمامهما من الماء الهادىء ، تلمع تحت ضوء البكور .. فهتف كامبيون : « يا إلهى ، ما أجمل أن يكون المرء على قيد الحياة ! »

وكان مشعثا ، نامى اللحية .. وراح يعب الهواء فى أنفاس طويلة ، وقد انفرج فمه بعض الشىء ، حتى لتستطيع أن تدرك من منظره أنه كان يجد فى استنشاق الهواء لذة ضافية ، ومن ثم فقد راح يستنشقه فى نهم وقوة ليملأ به رئتيه ، وقد بدا مبتهجا بمنظر السماء الزرقاء ، وأشعة الشمس الوضاحة ، وخضرة الأشجار اليانعة !

وشعر « ايزارت » نحوه بحقد ، إذ داخله يقين بأن خلقه كان — فى هذا الصباح — مغايرا لما كان عليه من قبل . ولم



يكن « ايزارت » يدرى ما ينبغى عليه أن يفعل !.. وتمنى لو أنه استطاع أن يلوذ برحمة كامبيون !.. لقد سلك مسلكا خسيسا مزريا ، ولكنه ندم على ذلك ، وبات على استعداد لأن يجود بكل شىء فى سبيل أن تتاح له فرصة جديدة ! .. ومع أن أى امرىء غيره ما كان ليفعل سوى ما فعل هو ، إلا أنه أيقن من أن « كامبيون » خليق بأن يقضى عليه قضاء مبرما ، لو أنه كشف عما حدث منه !.. إنه — إذ ذاك — لن يستطيع البقاء فى ( سمبولو ) ، وسيغدو اسمه ملطخا بالوحل فى ( بورنيو ) ومستعمرات المضايق .. إنه لو اعترف لكامبيون، لكان بوسعه — يقينا — أن يحصل منه على وعد بأن يعقل لسانه . ولكن .. أترى كامبيون يبر بالوعد حقا ؟!..

وأخذ يتأمله : لقد كان رجلا ضئيل الجسم ، مراوغا ، متقلبا ، فكيف يركن إليه ؟.. وفكر « ايزارت » فيما قاله « كامبيون » فى الليلة السابقة .. إنه لم يقل الحقيقة فى الواقع ، ولكن منذا الذى يستطيع أن يعرف ذلك ؟.. أو ، منذا الذى يستطيع — على أية حال — أن يثبت أنه لم يكن يعتقد — مخلصا ، صادقا — أن كامبيون كان قد نجا وصار فى مأمن ؟..

ومهما يقل كامبيون فلن يكون هناك غير كلامه ليعارض كلام « ايزارت » ، وفى إمكان هذا أن يضحك من أقوال كامبيون ، وأن يهز كتفيه ، وأن يقول إن كامبيون قد فقد صوابه ، فلم يكن يدرى عم يتكلم !.. ثم إنه — فوق هذا — لم يكن موقنا من أن كامبيون لم يصدق روايته ، فما عاد —

Looloo
www.dvd4arab.com

فى هذا الصراع الرهيب فى سبيل الحياة ــ يملك أن يوقن من شىء !.. وكان يشعر برغبة قوية تغريه بالعودة إلى الموضوع، ولكنه خشى أن يثير شك كامبيون ، إذا هو فعل ذلك . ومن ثم فقد كان من الواجب عليه أن يحفظ لسانه ، فقد كانت فى ذلك فرصته الوحيدة للنجـاة .. حتى إذا عاد إلى « كوالا سولور » ، حرص على أن يكون هو البادىء برواية القصة !

وقال كامبيون : « لو أننى وجدت شيئا أدخنه ، لاكتملت سعادتى الآن ! » .

ــ سنستطيع أن نجد بعض السجاير الرديئة ، على ظهر السفينة .

ــ ياللبشر من مخلوقات جائرة !.. لقد فرحت ــ فى بادىء الأمر ــ لأننى على قيد الحياة ، فلم أفكر عندئذ فى شىء آخر ، ولكنى بدأت الآن آسف على ضياع نقودى وصورى وأدوات الحلاقة !

وصاغ ايزارت الفكرة التى كانت تقبع فى مؤخر رأسه ولكنه ظل ــ طيلة الليلة السالفة ــ يأبى السماح لها بالتسرب إلى عقله الواعى .. فاذا بها تتخذ هذا الشكل .

« ودت من الله لو أنه كان قد غرق ، فكنت ــ إذ ذاك ــ أغدو فى أمن وسلامة ؟!

* * *

وصاح كامبيون فجأة : « ها هى ذى ! » .

فنظر ايزارت حـوله .. كان القـارب قـد بلغ مصب النهر . ورأى الباخرة « السلطان أحمد » تنتظرهما ، فغاص

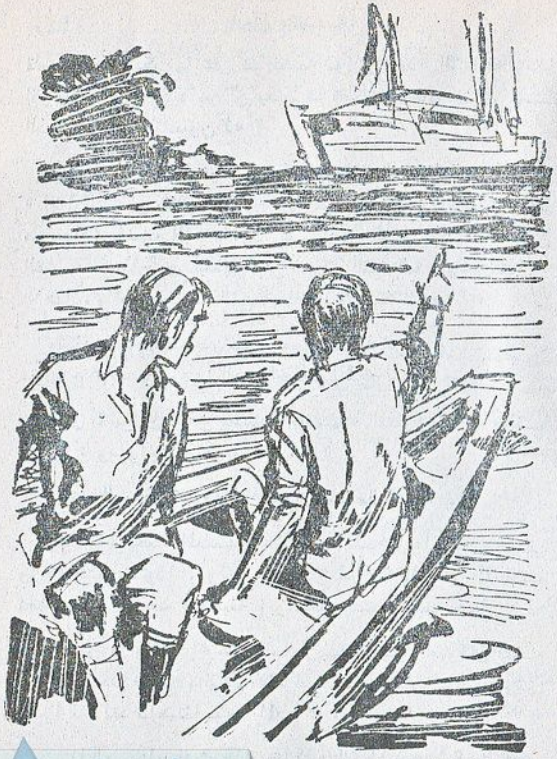

وصاح كامبيون فجأة : « ها هى ذى ! » فنظر ايزرت حوله .. كان القارب قد بلغ مصب النهر ..

www.dvd4arab.com

قلبه عندما تذكر ما كان قد نسيه من أن لهذه السفينة ربانا إنجليزيا ، وأنه لابد من أن يعرف قصة مغامرتهما . فما الذى سيقوله كامبيون له ؟

وكان ربان السفينة يدعى « بريدون » ، وقد اعتاد « ايزارت » أن يلتقى به كثيرا فى ( كوالا سولور ) . وكان رجلا صريحا ، خفيف الروح ، ذا شاربين أسودين . وإذ رأى القارب ، صاح بهم يحثهم على سرعة التجديف ، وهو يقول : « هيا .. أسرعوا ، فانني فى انتظاركم منذ الفجر ! »

ولكنه بهت لمنظر صاحبينا حين صعدا إلى ظهر السفينة ، فقال . « عجبا .. ما الذى أصابكما ؟ » .

فقال كامبيون وهو يبتسم ابتسامته الماكرة : « أعطنا شرابا ، وسوف تسمع كل شىء ! »

فهتف الربان مشوقا : « هيا .. تعاليا ! » .

وجلسوا تحت المظلة ، وعلى المائدة زجاجة ويسكى وزجاجات الصودا . وأصدر الربان أمرا ، فان هى إلا بضع دقائق حتى أقلعت السفينة ، وانبعث ضجيج محركاتها .

وشعر « ايزارت » بأن عليه أن يقول شيئا . وكان فمه جافا إلى حد فظيع ، برغم الشراب الذى احتساه .. وقال أخيرا : « لقد داهمتنا موجة المد ! » .

ـ يا إلهى هل حدث هذا حقا ؟.. إنكما لسعيدا الحظ لأنكما لم تغرقا . فماذا حدث ؟



وكان يوجه الخطاب إلى « ايزارت » لأنه كان يعرفه . ولكن كامبيون هو الذى تولى الرد ، بينما ظل ايزارت يصغى فى انتباه !..

وتحدث كامبيون ـ بضمير الجمع ـ عندما روى الجزء الأول من القصة . ولكنه ما لبث أن استخدم ضمير الفرد عندما وصل فى حديثه إلى اللحظة التى سقطوا فيها إلى الماء .. وبعد أن كان يتحدث عما « كنا نفعله » ، أصبح يتحدث عما « جرى لى » ، مغفلا « ايزارت » فى هذا الجزء من القصة .. ولم يدر ايزارت أيرتاح إلى هذا أم ينزعج ؟.. لماذا لم يكن يشير إليه بشىء ؟.. أذلك لأنه لم يكن يفكر فى شىء غير نفسه ، خلال ذلك النضال المميت فى سبيل الحياة ؟ أو .. أتراه كان يعرف ؟!.. يعرف ما كان من مسلك « ايزارت » فعلا !

وتحول الربان « بريدون » إلى « ايزارت » ـ بعد ذلك ـ فسأله : « وماذا حدث لك أنت ؟ » .

وهم « ايزارت » بأن يجيب ، ولكن « كامبيون » سبقه إلى الكلام قائلا :

« كنت إلى وقت وصولى إلى الجانب الآخر من النهر أعتقد انه غرق !.. ولست أعرف كيف نجا ، بل إننى لأعتقد أنه هو نفسه لا يعرف كيف تسنى له هذا ! »

لماذا قال كامبيون ذلك ؟.. ووقع نظره على عينى كامبيون، فتأكد عندئذ من أن فيهما بريقا ينم عن طرب !.. وكان من

www.dvd4arab.com

الفظيع حقا أن يجد نفسه غير واثق من أمر كامبيون .. وأحس بالخوف .. وتولاه الخجل . وأخذ يسائل نفسه : ترى هل بوسعه أن يقود دفة الحديث — سواء الآن أو فيما بعد — بحيث يسأل كامبيون عما إذا كانت هذه هى عين القصة التى يعتزم أن يرويها فى ( كوالا سولور ) ؟.. ذلك لأنها كانت خالية من أى شىء يثير ظنون أى أحد .. ولكن ، إذا لم يقدر لأحد أن يعرف الحقيقة فان « كامبيون » كان يعرفها !.. لكم كان خليقا به أن يقتله !

وقال الربان : « أعتقد أنكما سعيدا الحظ جدا ، لأنكما ما زلتما على قيد الحياة ! » .

وكانت المسافة إلى ( كوالا سولور ) قصيرة .. وبينما كانت السفينة تمخر مياه نهر ( سمبولو ) ، أخذ ايزارت يرقب الشاطئين فى كآبة وكمد ، وقد ظهرت على الجانبين الحشائش التى كانت المياه ترتطم بها .. ووراءها كانت ثمة غابة كثيفة خضراء ، وقد تناثرت بين أشجار الفاكهة بعض منازل أهل الملايو .

***

وحل الليل عندما القت السفينة مرساها . وصعد « جورنج » — مندوب البوليس — إلى ظهر السفينة . فصافحهما . وكان يقيم فى « الاستراحة » الحكومية — التى كان مقررا أن ينزلا فيها — فى تلك الفترة . وإذ شرع فى أداء مهمته وتفقد الركاب من أبناء البلاد ، أنبأهما بأنهما كانا مقدمين



على لقاء شخص آخر يدعى « بورتر » ، فى الاستراحة ، وأنهم جميعا سيتقابلون فى وقت العشاء .

وأخذ الخدم يعنون بمتاعهما وينقلونه .. وسار «كامبيون» و « ايزارت » إلى الاستراحة ، فبادرا إلى الاستحمام واستبدال ملابسهما . وفى الساعة الثامنة والنصف ، اجتمع الأربعة فى القاعة العامة لتناول بعض المشروبات !

وقال جورنج وهو يدخل : « ما هذا الذى أخبرنى به « بريدون » من أنكما كنتما موشكين على الغرق ؟ »

فشعر ايزارت بأن وجهه قد تضرج .. وقبل أن يجيب بشىء انبرى كامبيون للكلام ، وقد بدا جليا لايزارت أنه كان يبغى البدء بالكلام لكى يقدم القصة كما يروق له !.. وشعر بخجل شديد ، فما من كلمة واحدة انطوت على استخفاف به .. بل ما من كلمة عنه إطلاقا !.. وساءل نفسه : ألم ير هذان الرجلان اللذين كانا يصغيان — جورنج وبورتر — ما يدعو إلى الاستغراب ، لإقصائه عن القصة ، بهذا الشكل ؟!.. وراح يتفرس فى « كامبيون » وهو ماض فى سرد القصة .. كان يرويها بروح مرحة ، ولم يحاول إخفاء الخطر الذى كانا فيه ، ولكنه جعل منه موضوع فكاهة وتندر ، حتى أن المستمعين ضحكا من هذا المأزق الذى وجدا نفسيهما فيه !

وقال كامبيون : « والأمر الذى يضحكنى — منذ ذلك الحين — هو أننى عندما خرجت إلى الشاطىء الآخر ، كان الطين يكسونى من رأسى إلى أخمص قدمى . وشعرت بأن من الجدير

www.dvd4arab.com

بى حقا أن أقفز إلى النهر لاغتسل ، ولكنى شعرت بأننى — كما تقران — قد قضيت فى هذا النهر اللعين زمنا أطول مما أردت فى أى يوم من أيام حياتى . فقلت لنفسى : « لا بحق السماء ، سأظل متسخا ! » . وعندما وصلت إلى البيت الطويل ، ورأيت ايزارت فى الحال ذاتها ، أدركت أنه شعر بعين الشعور الذى خالجنى ! » .

فضحكوا ، وأرغم « ايزارت » نفسه على الضحك . ولاحظ أن « كامبيون » روى القصة مستخدما عين الكلمات والتعبيرات التى استخدمها عندما رواها لربان السفينة «السلطان أحمد» . وأدرك أنه لم يكن هناك غير تفسير واحد لهذا ، ذلك هو : أن كامبيون كان يعرف كل شىء ، وقد فكر ودبر القصة التى سيرويها ، حرفا بحرف !.. وكان دهاء حقا من « كامبيون » أن يتوخى الدقة فى سرد الوقائع وإن كان قد أغفل كل شىء من شأنه أن يضير « ايزارت » . ولكن : لماذا كان يمسك يده عن أن يبطش به ؟.. إنه لم يكن من النوع الذى لا يشعر بأى سخط أو كراهية نحو الشخص الذى هجره بقسوة فى لحظة الهلاك المريع !

وعلى حين غرة ، أومضت الفكرة فى رأس ايزارت ، ففهم جلية الأمر .. إن كامبيون كان يحتجز الحقيقة ليبلغها للمقيم « ويليس » !.. وارتجف ايزارت عندما فكر فى مواجهة « ويليس » . صحيح أن بوسعه أن ينكر ، ولكن هل سينفعه الإنكار ؟.. ان وليليس لم يكن غبيا ، بل إنه لن يلبث أن يسأل « حسن » ، ولم يكن بوسع «ايزارت» الاطمئنان إلى حسن ..



فمن غير المرتقب أن يلتزم الصمت ، بل إنه سينفضحه ، وهذا معناه هلاكه .. فسيقترح عليه « ويليس » أن يعود إلى الوطن !

وأصابه صداع شديد ، فأوى بعد العشاء إلى غرفته ، إذ أراد أن يخلو إلى نفسه ليتمكن من تدبير خطة للعمل .. وما لبث أن طرأ بباله خاطر أفزعه : فلقد أدرك أن السر الذى حافظ عليه طويلا ، لم يعد سرا .. لقد أصبح موقنا من هذا فجأة !.. لماذا قدر له أن تكون له هاتان العينان البراقتان ، وهذا الجلد الأسمر ؟.. لماذا يتكلم لغة الملايو بهذه السهولة ، ولماذا تعلم لغة « الدياك » بهذه السرعة ؟.. انهم يعرفون ولا بد !.. ما كان أغباه إذا كان قد فكر يوما فى أنهم قد صدقوا تلك القصة التى ابتكرها عن جدته الأسبانية !.. لابد أنهم ضحكوا ملء اشداقهم عندما روى لهم هذه القصة ، ولعلهم كانوا يسمونه — من وراء ظهره — يالزنجى اللعين !

وطرأ له خاطر آخر عذبه ، فراح يسائل نفسه : أبسبب هذه القطرة الملعونة من الدم الوطنى — التى تجرى فى عروقه — خانته أعصابه ، عندما صاح كامبيون يطلب النجدة ؟.. إن اى شخص قد يصاب بالهلع فى لحظة كتلك اللحظة التى خبرها ، على أية حال !.. ولم ، بحق السماء يضحى بحياته لينقذ حياة شخص آخر لا يهمه أمره إطلاقا ؟.. إنه من الجنون أن يفعل هذا . ولكنهم — بطبيعة الحال — سيقولون فى ( كوالا سولور ) إن هذا ما كانوا يتوقعونه !

وأخيرا ذهب إلى الفراش ، ولكنه أخذ يتقلب فيه بتلق وتعب . وقضى على هذه الحال فترة لا يعلم مداها إلا الله ،

www.dvd4arab.com

ثم غلبه النعاس — أخيرا — فنام . ولكنه لم يلبث أن صحا مفزوعا بعد حلم رهيب . فقد تراءى له فى المنام أنه أصبح — مرة أخرى — وسط تلك الموجات العاتية ، وأن الزورق كان يدور ويدور .. وكان بعد ذلك التشبث المستيئس بقاع الزورق ، والحزن والألم عندما أفلت القاع من يديه ، بينما كان الماء يصطخب حوله وفوقه !

***

واستيقظ « ايزارت » قبيل الفجر .. كانت فرصته الوحيدة هى أن يرى « ويليس » ليكون السباق إلى رواية قصته . وأخذ يفكر بعناية فيما يعتزم أن يقول ، ويختار الكلمات التى يريد أن يستخدمها بالنص !

وغادر فراشه مبكرا .. وبارح المنزل دون أن يتناول فطورا ما ، لكى يتجنب مقابلة « كامبيون » .. وسار فى الطريق العام . وظل يسير إلى الوقت الذى كان يعرف أن المقيم يكون فيه فى مكتبه . وإذ ذاك عاد أدراجه .. وأرسل اسمه ، فسمح له بدخول مكتب « ويليس » .. وكان «ويليس» شيخا متقدما فى السن ، ذا شعر أشيب خفيف ، ووجه شاحب مستطيل . وقد بادر ايزارت وهو يصافحه : « اننى مسرور إذ أراك قد عدت سالما معافى .. ولكن ، ما هذا الذى سمعته من أنكما كنتما على وشك الغرق ؟! » .

وكان ايزارت بملابسه النظيفة يبدو فى مظهر الرجل الأنيق ، وقد نسق شعره الأسود بدقة ، وقص أطراف شاربيه بعناية . وكان يقف منتصب القامة فى مظهر عسكرى ..



ورد على ويليس بقوله : « لقد رأيت أنه يحسن بى أن آتى فأبلغك الأمر فورا يا سيدى ، لأنك عهدت إلى بأن أرعى كامبيون ! » .

— هات ما عندك !

وروى ايزارت قصته ، فخفف من مدى الخطر الذى تعرضا له ، وحمل « ويليس » على أن يفهم أن ذلك الخطر لم يكن بالغا ، وأنهما ما كانا يتعرضان لأى شىء ، لولا أنهما شرعا فى الرحلة متأخرين !

ومضى ايزارت يقول : « ولقد حاولت أن أحث كامبيون على بدء الرحلة فى ساعة مبكرة ، ولكنه آثر أن يشرب كأسين أو ثلاثا . والواقع أنه لم يكن يبغى أن يتحرك ! » .

— هل كان مخمورا ؟

— لا أعرف ، وإن كنت لا أملك أن أقول إنه كان فى كامل وعيه !

ومضى يسرد قصته . وحاول أن يوحى بأن كامبيون كان قد فقد وعيه — بعض الشىء — تحت تأثير الخمر . وقال إنها كانت مهمة مظيعة — فى الواقع — بالنسبة لشخص لم يكن يجيد السباحة ، وأنه — أى ايزارت — كان أكثر اهتماما به من نفسه ، وقد عرف أن الفرصة الوحيدة هى فى الاحتفاظ بالهدوء ورباطة الجأش . ولكنه — عندما وقعت الواقعة — رأى كامبيون يخور وينهار !

فقال المقيم : « لا تستطيع أن تلومه على هذا ! » .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـــ لقد بذلت ، بطبيعة الحال ، كل ما فى وسعى يا سيدى . غير أننى لم أكن أملك شيئا كثيرا من أجله !

ـــ حسنا .. المهم هو أنكما نجوتما .. لو أنه غرق ، لكان الأمر جد محرج لنا !

ـــ لقد رأيت أنه من الخير أن آتى فأبلغك جميع الحقـــائق قبل أن تقابل « كامبيون » يا سيدى ، لأنه ـــ كما تراءى لى ـــ يميل إلى المبالغة فى رواية القصة . ولكن .. ما من فائدة فى المبالغة !

فقال ويليس باسما : « أن روايتيكما تكادان أن تتطابقا فى مجموعهما ! »

فتفرس « ايزارت » فيه مأخوذا . وإذ ذاك قال له ويليس:

ـــ ألم تر « كامبيون » هذا الصباح ؟.. لقد سمعت من « جورنج » أنكما صادفتما بعض المتـــاعب ، فعـــرجت على الاستراحة بنفسى فى الليلة الماضية ـــ وأنا فى طريقى إلى دارى من القلعة ـــ بعد العشاء .. وكنت أنت قد ذهبت إلى الفراش!

وشعر ايزارت برجفة تسرى فى جميع جسمه ، وقد بذل جهدا كبيرا للمحافظة على تماسكه ، وقال ويليس :

ـــ وعلى فكرة .. إنك خرجت من الماء قبـــل كامبيون . أليس كذلك ؟

ـــ لست أدرى يا سيدى فى الواقع ، فقد كان الارتباك بالغا!

ـــ لا بد أن تكون قد خرجت قبله ، ما دمت قد ذهبت إلى الجانب الآخر قبله !



ـــ أظن أننى فعلت ذلك !

ونهض ويليس واقفا وهو يقول : « حسنا .. وشكرا لك إذ حضرت لإنبائى بما حدث ! » .

وكان قد تعمد أن يوقع بعض الكتب ـــ وهـــو ينهض ـــ فسقطت على الأرض بصوت مرتفع ، مفاجىء .. فاذا بايزارت يجفل بعنف ويشهق . وإذ ذاك ، رماه المقيم بنظرة سريعة ، وقال : « أرى أن أعصابك مضطربة للغاية ! » .

ولم يستطع ايزارت الســـيطرة على الرجفة التى أصابته ، ودمدم يقول :

ـــ إننى جد آسف يا سيدى !

ـــ أظنك قد أصبت بصدمة ، ومن الخير أن ترتاح بضـــعة أيام ، وتذهب إلى الطبيب ليعطيك شيئا من العلاج !

ـــ إننى لم أنم جيدا فى الليلة الماضية !

فأومأ المقيم وكأنه فهم .. وغادر ايزارت الغرفة . وبينما هو سائر ، قابله شخص كان يعرفه ، وهنأه بنجاته . إذن فقد كان الجميع يعرفون ؟!..

وعاد إلى الاستراحة . وأخذ ـــ وهو متجه إليها .. يعيـــد لنفسه القصة التى رواها لويليس ، ويسائل نفسه : أكانت تشبه القصة التى سمعها المقيم من كامبيون حقا ؟.. ولم يكن قـــد خطـــر ببـــاله قط أن يكون كامبيـــون قـــد سبقه لإبلاغ القصة .. لكم كان غبيا إذ ذهب إلى الفراش مبكرا وكان من

www.dvd4arab.com

الواجب ألا يدع « كامبيون » يغيب عن نظره !.. ولكن لماذا أصغى إليه المقيم — فى بادىء الأمر — دون أن يبلغه أنه عرف بالقصة فعلا ؟.. وأخذ يلعن نفسه لأنه أوحى بأن كامبيون كان مخمورا فاقد الرشد .. لقد قال هذا ليحط من قدره ، ولكنه تبين الآن أنه كان غبيا فى هذا .. ولماذا قال ويليس تلك العبارة التى توحى بأنه خرج من الماء قبل كامبيون ؟.. لعله كان يريد التحرى ، فقد كان ويليس ماكرا وداهيه !

ولكن ، ترى ما الذى قاله كامبيون ؟.. يجب أن يعرف ذلك، ويجب أن يعرفه بأية وسيلة ، ومهما يكن الثمن !

وكان رأس « ايزارت » يغلى ويفور ، حتى أنه شعر بأنه لم يكن يستطيع السيطرة على أفكاره . ولكن الواجب كان يقتضيه أن يلتزم الهدوء !.. وشعر بأنه أشبه بحيوان مطارد . فما كان يصدق أن ويليس يحبه ، إذ أنه سبق أن وبخه فى المكتب — مرة أو مرتين — لإهماله .. ولعله لم يكن ينتظر إلا ريثما يجمع المعلومات والحقائق .. وكاد ايزارت أن يجن !

* * *

ودخل إلى الاستراحة فوجد كامبيون يجلس فى مقعد طويل ، باسطا ساقية ، وهو يقرأ الصحف التى وصلت خلال فترة غيابهما فى الأدغال . وشعر ايزارت بموجة من الكراهية العمياء تطغى عليه ، عندما تفرس فى هذا الرجل الضئيل ، الرث ، الذى كان يقبض عليه فى فراغ كفه !



وعندما رآه كامبيون صاح مرحبا : « هالو .. اين كنت ؟ » .

وخيل لايزارت انه رأى فى عينيه نظرة تطفح بسخرية لاذعة ، فشد قبضتى يديه ، وأخذ تنفسه يزداد سرعة وتهدجا .. وسأل كامبيون بحدة : « ما الذى قلته لويليس عنى ؟ » .

وكانت اللهجة التى ألقى بها هذا السؤال المفاجىء حادة إلى درجة جعلت كامبيون ينظر إليه فى دهشة ويقول : « ما أرانى قد قلت شيئا كثيرا عنك .. ولكن ، لماذا تسألنى ؟ » .

— لقد أتى إلى هنا فى الليلة الماضية ..

وكان « ايزارت » ينظر إليه وقد ضم حاجبيه فى غضب ، وأخذ يحاول قراءة أفكار كامبيون ، الذى قال :

— لقد أبلغته أنك كنت تشعر بصداع فذهبت إلى الفراش .. وكان يريد أن يعرف ما حدث لنا !

— لقد رأيته منذ برهة !

وأخذ « ايزارت » يسير رواحا وجيئة ، فى الغرفة الكبيرة الظليلة . فمع أن الوقت كان مبكرا ، إلا أن الشمس كانت شديدة الحرارة ومتوهجة .. وشعر « ايزارت » بأنه وقع فى شبكة صياد ، فأعماه الغضب !.. وكان فى استطاعته أن يقبض على عنق كامبيون ويشدد الضغط عليه حتى يخنقه ، ولكنه شعر بأنه مسلوب القوة ، لأنه لم يكن يعرف ما الذى ينبغى أن يكافحه !.. وأحس بنفسه عاجزا . كان متعبا ،

www.dvd4arab.com

ومريضا . وكانت أعصابه مهتزة ، مختلة !.. وعلى حين فجأة ، فارقه الغضب الذى منحه نوعا من القوة ، فشعر باليأس والقنوط ، وكأن الذى كان يجرى فى عروقه ماء وليس دما . وغاص قلبه بين ضلوعه ، وتخاذلت ركبتاه ، وشعر بأنه إذا لم يتمالك نفسه ، فقد ينخرط فى النحيب .. فقد كان فى أشد الحزن على نفسه !

وصاح بلهجة تثير الرثاء والأسى : « عليك اللعنة !.. الا ليت نظرى لم يقع عليك قط ! » .

فسأله كامبيون فى دهشة : «ما الذى جرى بحق السماء؟!» .

ـ دع عنك الادعاء ، فقد ظللنا يومين ندعى ما ليس حقيقة! .. لقد ضقت ذرعا بهذا !

وأخذ صوته يعلو فى نبرة رفيعة حادة ، فبدا غريبا أن يصدر من مثل ذلك الرجل القوى ، الكبير . ومضى يقول :

ـ لقد ضقت ذرعا بهذا .. أجل لقد تخليت عنك ، وهربت من نجدتك .. تركتك تغرق !.. وانى لأعرف أنى تصرفت تصرف الجبناء ، ولكنى لم أكن أملك أن أقاوم !

ونهض كامبيون ببطء من المقعد ، وقال : « ما الذى تتحدث عنه ؟ » .

وكانت لهجته تنم عن دهشة حقيقية .. مما جعل ايزارت يجفل ، ويشعر برعدة باردة تسرى فى فقاره . وقال :



ـ عندما صرخت تطلب النجدة ، كنت أنا فى ذعر بالغ ، فلم أتمالك أن تشبثت بالمجداف ، وحملت حسنا على أن يساعدنى على النجاة !

ـ كان هذا أحكم ما تملك أن تفعله !

ـ لم يكن فى وسعى أن أساعدك .. ولم يكن هناك ما أستطيع أن أفعله !

ـ طبعا لم يكن ثمة ما تستطيع أن تفعله لى ، ولقد كان غباء مزريا منى أن صحت طالبا النجدة ، إذ أن الصراخ كان تبديدا للتنفس ، وهو الشىء الوحيد الذى كنت بحاجة إليه !

ـ هل تريد أن تقول انك لم تكن تعرف بتصرفى ؟

ـ عندما قدم لى البحارة الحصير ، كنت أظن أنك ما زلت متشبثا بالزورق ، واعتقدت أننى سأنجو قبلك !

فوضع ايزارت يديه على رأسه ، وصاح فى ألم ويأس :

ـ يا إلهى ، أى غبى كنته ؟

* * *

ووقف الرجلان برهة ، يتفرس كل منهما فى الآخر . وبدا كأنما لا نهاية للصمت الذى سيطر عليهما . وأخيرا قطعه ايزارت ، إذ قال لكامبيون : « وماذا تراك فاعلا الآن ؟ » .

ـ لا تقلق يا عزيزى .. لقد كنت أنا الآخر من الذعر بدرجة لا تجعلنى الوم أى واحد يهز الخوف كيانه .. وأن أقول شيئا لأى مخلوق !

Looloo
www.dvd4arab.com

— أجل ، ولكنك تعلم بما كان منى !

— إننى أعدك ، وبوسعك أن تثق بى .. هذا فضلا عن أن مهمتى هنا قد انتهت ، وسأعود إلى الوطن .. اننى أعتزم أن ألحق بأول سفينة مسافرة إلى ( سنغافورة ) .

وسادهما الصمت من جديد .. وأخذ كامبيون يتأمل ايزارت برهة ثم قال : « هناك شىء واحد أود أن أطلبه منك .. لقد اكتسبت هنا عددا كبيرا من الأصدقاء ، وهناك أمر أو أمران أرانى مرهف الحساسية إزاءهما . فعندما تروى قصة مغامرتنا ، أكون ممتنا لك إذا أنت لم تذكر أننى سلكت مسلكا مشينا .. فلست أود أن يعرف الناس هنا أنى فقدت أعصابى ! » .

وتضرج وجه ايزارت واحتقن بالدم .. وتذكر ما قاله للمقيم ، فبدا له الأمر كما لو أن كامبيون كان عندئذ واقفا وراءه ينصت إلى حديثه . فسعل ليجلو حلقه ، وقال : « لست أدرى لماذا تظن أننى سأفعل ذلك ؟! » .

وتهلل وجه كامبيون وشع بريق الاغتباط فى عينيه الزرقاوين وأجاب فى ابتسامة أظهرت أسنانه المهشمة المعدومة اللون يقول:

— خيط من الدم الأصفر ! .. إليك سيجارة يا صديقى العزيز !

# انتصار قاتل !

(ماكنتوش)

Looloo
www.dvd4arab.com

خاض ماء البحر لبضع دقائق ، إذ كان من الضحل بحيث لم يكن بوسعه السباحة فيه ، كما أنه لم يكن يستطيع أن يمضى إلى عرض البحر ، خوفا من أسماك القرش .. وما لبث أن خرج إلى البر ، وسعى إلى الحمام ، ليغتسل تحت المرذاذ ( الدوش ) . فاذا برودة الماء المنساب تنعشه ، بعد لزوجة الماء الملح الثقيل .. ماء المحيط الهادى ، الذى كان من الدفء — برغم أن الساعة لم تكن قد تجاوزت السابعة صباحا — بحيث أن الاستحمام فيه لم يكن لينشط بدنك ، وإنما كان خليقا بأن يزيد خمولك !

وعندما جفف بدنه ، واندس فى ثوب الحمام ، صاح منبها الطاهى الصينى إلى أنه لن يلبث أن يكون متأهبا للفطور ، بعد خمس دقائق . ثم سار حافيا ، مجتازا الرقعة التى كان ينمو فيها العشب الخشن ، والتى كان « ووكر » — المدير ( المأمور ) — يزهو بها ويرى أنها مرج أخضر .. وبلغ مسكنه ، فارتدى ملابسه . ولم يستغرق هذا منه وقتا طويلا ، إذ أنه لم يرتد غير قميص وسروال ( بنطلون ) من الكتان . ثم يمم — بعد ذلك — شطر دار رئيسه ، فى الجانب الآخر من الفناء ، فقد اعتاد الاثنان أن يتناولا وجبات الطعام سويا . ولكن الطباخ الصينى قال له — فى هذه المرة — إن « ووكر » خرج راكبا جوادا ، فى الساعة الخامسة ، ولم يكن من المنتظر أن يعود قبل ساعة أخرى .. ولم يكن « ماكنتوش » قد حظى بنوم هادىء منتظم ، فأخذ ينظر — بغير شهية — إلى الفطور الذى وضع أمامه !



كان البعوض قد أقض مضجعه فى تلك الليلة ، وكاد يذهب بعقله . إذ راح يحوم حول الكلة ( الناموسية ) — التى كان ماكنتوش ينام تحتها — بكثرة بالغة ، حتى لقد كان طنينه المزعج الكئيب ، أشبه بنغمة متهالكة رتيبة ، صادرة عن أرغول فى بقعة نائية . وكان ماكنتوش — كلما غلبه النعاس — لا يلبث أن يستيقظ فجأة فى فزع ، وهو يعتقد أن بعوضة قد نفذت إلى داخل الكلة . وكان الطقس حارا ، فنام عاريا ، وظل يتقلب على جنبيه ، وهو يسمع هدير الأمواج وصوت تكسرها على الشاطىء بانتظام رتيب ، غير منقطع ، لم يكن يفطن إليه من قبل .. بل ان رتابته أخذت تدق أعصابه المتعبة دقا .. وراح يتجلد — وقد تقلصت قبضتاه — ويحاول جاهدا تحمل هذا العذاب . ولكنه وجد من المستحيل عليه أن يحتمل مجرد التفكير فى أنه ما من شىء يستطيع أن يوقف هذا الصوت ، بل أنه سيظل كذلك إلى ما لا نهاية ! .. وعندما كان يخال أن قواه تستطيع الصمود لقوى الطبيعة القاسية ، كانت تجتاحه رغبة جنونية فى أن يقدم على عمل عنيف ! ..

وشعر ماكنتوش بأن عليه أن يسيطر على أعصابه ، وإلا انتهى الأمر به إلى الجنون ، فنهض عن المائدة ، وسار إلى النافذة ، حتى إذا رمى ببصره نحو الشاطىء ، ورأى خط الزبد الذى يميز حافته ، أحس برعدة تجرى فى أوصاله ، كراهية لهذا المنظر الواضح المنبسط ! .. وكانت السماء الصافية أشبه بوعاء مقلوب ! .. وأشعل غليونه ، وراح يعبث بكومة الصحف التى وردت من ( أبيا ) منذ بضعة أيام ..

Looloo
www.dvd4arab.com

كانت أحدث هذه الصحف قد صدرت منذ ثلاثة أسابيع ، وكان مظهرها يبعث على السأم والملل !

وقصد — بعد ذلك — إلى « المكتب » .. وكان عبارة عن غرفة كبيرة عارية ، ضمت مكتبين وأريكة امتدت فى أحد جوانب الغرفة .. وقد جلس عليها — إذ ذاك — بعض الأهالى ، وبينهم سيدتان . وكان الجميع يتجاذبون أطراف الحديث ، فى انتظار « المدير » . وإذ وصل « ماكنتوش » ، بادروه بالتحية فحياهم بدوره ، ثم جلس إلى مكتبه ، وبدأ يكتب مستكملا تقريرا طلبه محافظ ( ساموا ) مرارا ، ولكن « ووكر » أهمل إعداده كعادته .. وبينما عكف ماكنتوش على تدوين ملاحظاته ، فطن — فى حقد وتشف — إلى أن تكلؤ « ووكر » فى كتابة التقرير ، إنما كان راجعا إلى جهله . والواقع أنه كان من الجهل بدرجة جعلته يتحاشى أى عمل له صلة بالأقلام والأوراق ! .. ومع هذا ، فانه لن يحجم — إذا ما انتهى ماكنتوش من إعداد التقرير ، فى دقة وعناية — عن أن يتقبله منه ، كما يتقبل الرئيس عملا مفروضا على مرؤوسه .. دون كلمة تقدير ! بل أنه ربما تقبله بشىء من التهجم ، أو بكلمة لاذعة ، ثم لن يلبث أن يرسله إلى السلطات وكأنه من وضعه هو وإنشائه ، وإن لم يكن قد كتب كلمة واحدة منه — فى الواقع — وما كان بوسعه أن يكتب ! .. ولقد لاحظ ماكنتوش — بشىء من السخط — أن رئيسه كان يعمد — فى الحالات التى يرى أن يضيف فيها عبارة ما — إلى التعبير عنها بأسلوب كأسلوب الأطفال ، وبلغة كلها أخطاء ! .. فاذا ما أراد



ماكنتوش إصلاح الخطأ ، أو إعادة صوغ العبارة لتصبح مفهومة ، ثار « ووكر » وصاح قائلا : « فيم تعنينى قواعد اللغة ، بحق الجحيم ؟ .. هذا هو ما أريد أن أقوله ، وهذه هى الطريقة التى أريد أن أقوله بها ! » .

ووصل « ووكر » أخيرا ، فما أن دخل المكتب ، حتى أحاط به الأهالى محاولين الظفر باهتمامه . ولكنه تحول إليهم ، فأمرهم بغلظة أن يجلسوا ولا ينطقوا بكلمة ، منذرا بأنه سيأمر بطردهم — إذا لم يلزموا الهدوء — وبأن يمتنع عن مقابلة أحد منهم فى ذلك اليوم . ثم أومأ إلى ماكنتوش ، قائلا : « هالو ماك ! .. هل استيقظت أخيرا ؟ .. لست أدرى كيف يمكنك أن تضيع خير فترة من النهار مستلقيا فى الفراش ، وكان خليقا بك أن تستيقظ قبل الفجر مثلى ، أيها الكسول » .

وألقى بنفسه على المقعد — فى تهالك — ومسح وجهه بمنديل كبير ، وقال : « آه يا إلهى !.. إننى ظمآن » . والتفت إلى الشرطى الواقف بالباب ، والذى كان يبدو بديع الشكل فى سترته البيضاء ، و « اللافا لافا » .. ذلك المئزر من القماش الذى يلفه أهل جزر ( ساموا ) حول أردافهم .. وطلب إليه أن يحضر « الكافا » . وكان وعاء شراب « الكافا » موضوعا على الأرض — فى أحد أركان الغرفة — فملأ منه الشرطى قدحا صنع من نصف قشرة « جوزة الهند » ، وقدمه لووكر ، الذى أراق بعض قطرات منه على الأرض ، وغمغم موجها إلى الحضور الدعوة المألوفة — على سبيل المجاملة — ثم احتسى « الكافا » باستمراء ، وطلب من رجل البوليس أن يقدم

Looloo
www.dvd4arab.com

الشراب إلى القوم الذين كانوا فى انتظاره . غادرت قشرة « جوز الهند » عليهم واحدا بعد آخر ، بترتيب عمره ، أو قيمته .. وكان كل منهم يفرغها بالطريقة ذاتها !

وانصرف بعد ذلك إلى عمله اليومى .. وكان ضئيل الجسم ، أقصر بكثير من الطول المتوسط .. بدينا ، مكتنز الوجه ، حليق الذقن ، ذا خدين ترهلا على الجانبين متدليين ، فكأنه أوتى ثلاث ذقون كبيرة . وكانت قسمات وجهه الصغيرة تذوب فى كتل من الشحم . وفيما عدا هلال من الشعر الأبيض — فى مؤخر رأسه — كان أصلع تماما .. وكان منظره يذكرك بالمستر « بيكويك » . فقد كان غريب الشكل .. وكان طروبا يحب الضحك . ومع ذلك ، فانه — للعجب — لم يكن يخلو من مهابة ! .. وكانت عيناه الزرقاوان تومضان — من خلف منظاره ذى الإطار الذهبى — بأشعة الذكاء والمرح . كما كانت ترتسم على وجهه أمارات العزيمة القوية . وكان فى الستين من عمره ، ولكن حيويته الأصيلة انتصرت على شيخوخته .. وبرغم ضخامته ، كان خفيف الحركة ، يمشى بخطوات ثقيلة ثابتة ، وكأنه يريد أن يهز الأرض بثقله .. كما كان يتكلم بصوت عال ، خشن .

***

وكان قد انقضى عامان على تعيين « ماكنتوش » مساعدا لووكر . ولقد كان « ووكر » ، الذى ظل ربع قرن مديرا — ( مأمورا ) لتالوا — وهى من أكبر الجزر فى مجموعة جزر ( ساموا ) — معروفا فى طول البحار الجنوبية وعرضها ، سواء



بشخصه أو بالأنباء المتناقلة عنه . لذلك فان ماكنتوش راح يتطلع — فى فضول متلهف — إلى أول لقاء به . وقد مكث فى ( آبيا ) أسبوعين — لسبب أو لآخر — قبل أن يتولى منصبه ، فسمع فى فندق « شابلن » ، وفى النادى الإنجليزى ، قصصا عديدة عن المدير . ولقد أصبح يسخر من نفسه كلما تذكر اهتمامه بهذه القصص ، التى سمعها مائة مرة — منذ ذلك الحين — من « ووكر » نفسه . إذ كان « ووكر » يعرف أنه شخصية ذات شأن ، وكان يزهو بشهرته ، ويتعمد أن يكون أهلا لها .. كان غيورا على « الأسطورة » التى نسجت حوله ، تواقا إلى أن تعرف التفصيلات الدقيقة لأى من هذه القصص التى كانت تروى عنه . وكان يغضب كل الغضب من أى شخص يرويها للأغراب بشىء من التحريف !

وكان « ووكر » يتسم بلون من الود المقترن بالخشونة ، والذى لم ير « ماكنتوش » فيه بأسا ، فى بادىء الأمر .. لهذا اغتبط « ووكر » إذ وجد فيه مستمعا سيكون كل ما يقول له جديدا عليه ، فأفرغ له خير ما فى جعبته . وكان بشوشا ، صادق الود ، حفيا .. وكان « ماكنتوش » قد عاش فى طمأنينة ودعة الموظف الحكومى — فى لندن — حتى بلغ الرابعة والثلاثين ، ثم أصيب بالتهاب رئوى تركه مهددا بالسل ، فاضطر إلى البحث عن منصب فى المحيط الهادى .. لذلك خيل إليه أن حياة « ووكر » كانت شاعرية ، عجيبة . فان المغامرة التى بدأ بها كفاحه ضد الظروف ، كانت مثالا لروحه وشخصيته . فقد هرب إلى البحر عندما كان فى الخامسة

عشرة من العمر ، وظل أكثر من عام يحمل الفحم على سفينة لنقل الفحم . وكان صبيا ضئيل الجسم ، فترفق به البحارة وعمال السفينة ، ولكن الربان شعر نحوه — لسبب غير معروف — بكراهية ضارية . فكان يقسو فى معاملته ، حتى أن الصبى كثيرا ما كان يفتقد النوم لكثرة ما كان يضرب ويركل ، ويروح الألم يفرى أطرافه . ومن ثم فقد حقد على الربان من كل قلبه . وقد حدث — ذات مرة — أن تحمس لجواد كان مزمعا أن يجرى فى سباق الخيل ، فسعى حتى اقترض خمسة وعشرين جنيها من صديق التقى به فى ( بلفاست ) ، وقامر بها كلها على هذا الجواد الذى كان ضعيف الأمل فى الفوز . ولم يكن لديه من الموارد ما يمكنه من السداد، ولكنه لم يتصور قط أنه قد لا يربح ، وإنما شعر بأن الحظ معه! .. وقد ربح الجواد فعلا ، وكسب « ووكر » أكثر من ألف جنيه نقدا وعدا ، فشعر بأن الفرصة قد واتته . وبحث عن خير محام فى المدينة — وكانت ناقلة الفحم راسية عند مكان ما من الشاطىء الأيرلندى — وقصد إليه ، وأبلغه بأنه سمع أن السفينة معروضة للبيع ، وطلب إليه أن ينوب عنه فى السعى لشرائها ..

واهتم المحامى بهذا العميل الصغير ، الذى لم يكن — إذ ذاك — قد تجاوز السادسة عشرة ، ولم يكن يبدو أنه بلغها .. ولعل العطف دفعه إلى أن يعده ، لا بتدبير الأمر له فحسب ، بل وبالعمل على أن تكون الصفقة طيبة . وبعد فترة قصيرة ، وجد « ووكر » نفسه مالكا للسفينة ، فعاد إليها ، ونعم بما كان يصفه بأنه « أروع لحظة فى حياته » . وذلك عندما أنذر



الربان وأمره بمغادرة السفينة فى غضون نصف ساعة ، ثم عين مساعد الربان فى مكانه ، وظل يمخر البحار بناقلة الفحم تسعة أشهر أخرى ، ثم باعها ببعض الربح !

وذهب إلى جزر ( ساموا ) وهو فى السادسة والعشرين ، فعمل مزارعا ، وكان أحد البيض القلائل الذين استقروا فى ( تالوا ) خلال عهد الاحتلال الألمانى . وكان قد اكتسب بعض النفوذ بين الأهالى ، فعينه الألمان فى المنصب الذى ظل يشغله عشرين عاما . وقد عزز مركزه فى الوظيفة عندما استولى البريطانيون على الجزيرة ، فحكمها بالشدة ولكنه أصاب نجاحا تاما . فكان هذا النجاح سببا آخر من أسباب اهتمام ماكنتوش بأمره !

بيد أنه لم يقدر لهذين الرجلين أن يتفقا .. كان ماكنتوش قبيح الصورة ، غير متناسق القسمات ، طويل القامة ، نحيفا، ذا صدر ضيق ، وكتفين محدودبتين ، وخدين غائرين ، وعينين واسعتين كئيبتين . وكان مشغوفا بالقراءة ، وعندما وصلت كتبه وفض أربطتها وأخرجها من أغلفتها ، دخل عليه « ووكر » ، فتأملها ثم تحول إليه قائلا ، وهو يطلق ضحكة نابية : « لأى شىء جلبت كل هذه التوافه .. بحق الجحيم؟» . فتجهم وجه ماكنتوش وقال : « يؤسفنى أن تراها توافه » . لقد أحضرت كتبى لأننى أريد أن أقرأها ! » .

— عندما قلت انك ستأتى بكثير من الكتب ، ظننت أن سيكون بينها ما يروق لى . أفليست لديك قصص بوليسية ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ان القصص البوليسية لا تلذ لى !

ـ إنك لغبى مأفون ، إذن !

ـ إننى أقنع بأن تظننى كذلك !

وكان كل بريد يحمل إلى « ووكر » من ( نيوزيلندا ) كميات كبيرة من المجلات الأدبية والصحف ، ومن ( أمريكا ) مجلات أخرى . وقد أسخطه أن يظهر ماكنتوش ازدراءه بهذه النشرات القصيرة العمر . ولم يكن صبره يحتمل الكتب التى كانت تشغل جميع أوقات فراغ ماكنتوش . ولما لم يكن قد تعلم قط أن يكبح جماح لسانه ، فقد عبر عن رأيه بصراحة لمساعده. وبدا ماكنتوش يعرف الرجل على حقيقته ، فرأى أنه كان يخفى تحت مظهر الطيبة والبشاشة خبثا سوقيا مكروها ، وأنه كان مغرورا متغطرسا . والغريب أنه كان ـ بجانب هذا ـ على نوع من الحياء جعله يكره الذين ليسوا من طرازه. وكان يحكم على الآخرين بلغتهم، فاذا خلت من الأيمان الصاخبة، والقحة التى تؤلف الجزء الأكبر من حديثه ، نظر إلى المتحدثين فى ارتياب . وكان الرجلان يلعبان الورق فى المساء . وما كان « ووكر » بالماهر فى اللعب ، ولكنه كان مدعيا ، يسخر من خصمه عندما يكسب ، ويفقد صوابه إذا خسر ! .. وكان يغد عليهما ـ فى مناسبات نادرة ـ زوج من المزارعين أو التجار ، ليلعبا معهما « البريدج » . وإذ ذاك ، كان « ووكر » يتجلى تحت ضوء مميز . فكان يلعب دون أن يأبه بزميله ، ويصيح فى لعبه ، ويجادل بلا انقطاع ، ويطغى على أية معارضة بارتفاع صوته . وكان لا يفتأ يرجع عن لعبة لعبها ، فاذا فعل



ذلك قال فى عواء مستعطفا : « آه ! .. ما أراكم ستحسبون هذه على رجل مسن لا يكاد يرى ! » . فهل كان يعرف أن غرماءه كانوا يرون الخير فى أن يرضوه ، ومن ثم فانهم كانوا يحجمون عن التشبث بأصول اللعب ؟

وكان « ماكنتوش » يراقبه فى ازدراء جليدى . فاذا ما انتهى اللعب ، كانوا يشرعون فى رواية النوادر ، أثناء تدخين غلاييونهم واحتساء الويسكى . وكان « ووكر » يروى ـ فى تلذذ ـ قصة زواجه . فقد أفرط فى الشراب فى حفلة زفافه ، حتى لقد اضطرت العروس إلى الفرار ، فلم يرها قط بعد ذلك . وكانت له مغامرات لا حصر لها .. مغامرات وضيعة ، ودنيئة ، مع نسوة الجزيرة . وكان يرويها بشىء من الزهو ، فكانت قحته فى الحديث تؤذى أذن ماكنتوش المرهفة الحس .. كان كهلا بليد الإحساس ، شهوانيا . وكان يرى فى ماكنتوش زميلا مسكينا ، لأنه كان يرفض مشاركته فى مغامراته الغرامية الرعناء ، ولأنه كان يظل محتفظا بجميع حواسه ، بينما يكون بقية الحضور قد ثملوا !

كذلك كان يزدرى ماكنتوش لما كان يؤدى به عمله الرسمى من نظام دقيق . والواقع أن ماكنتوش كان يحب أن يؤدى كل شىء على هذا النسق . وكان مكتبه منظما على الدوام ، وأوراقه مرتبة بعناية دائما ، حتى لقد كان فى استطاعته أن يمد يده فتقع على أية وثيقة مطلوبة ، كما كان يضع فى متناول يده كافة اللوائح والنظم اللازمة لتأدية أعمالهما الإدارية . فكان ووكر يقول له « بخ ! بخ .. لقد أدرت هذه الجزيرة

Looloo
www.dvd4arab.com

عشرين عاما بغير الإجراءات الرسمية العقيمة . ولست أريد الآن استخدامها ! » . وكان ماكنتوش يجيب بقوله : « هل من الأسهل عليك أن تضطر — عندما تريد خطابا ما — إلى أن تظل نصف ساعة أو نحوها تبحث عنه وتتصيده ؟ » .

— إنك لست غير متعنت فى تمسكك بقيود الوظيفة . ولكن .. لا بأس بك ، وسينصلح أمرك عندما تقضى هنا عاما أو عامين .. عيبك أنك لا تشرب ، ولن يكون بك بأس ، لو أنك أسرفت فى الشراب حتى تفقد الوعى .. مرة فى الأسبوع !

* * *

والغريب أن ووكر ظل جاهلا كل الجهل بالكراهية التى كان مرؤوسه يشعر بها نحوه ، والتى أخذت تزداد على مر الأيام . ومع أنه كان يسخر منه ، إلا أنه أخذ يحبه بعد أن الف وجوده وأخلاقه ، فلقد كان طويل الأناة متسامحا مع الناس فيما يتعلق بخصالهم وطباعهم . فقبل « ماكنتوش » على أنه « سمكة » شاذة . ولعله لم يفطن إلى أنه ربما أحبه لأنه كان يستطيع أن يسخر منه . وكان مجونه منطويا على قدر من البساطة الخشنة ، حتى لقد كان ينقصه شىء من اللكز ليكون غلظة . وكانت صراحة ماكنتوش واستقامته ورزانته موضوعات خصبة للتندر والمزاح . وقد أتاح اسمه الاسكتلندى فرصة لذكر النكات المألوفة عن ( اسكتلندا ) . وكان « ووكر » يتلذذ ويستمتع إلى أقصى حد ، عندما تسنح الفرصة فيجتمع اثنان أو ثلاثة أشخاص ، فيسعى إلى إضحاكهم على حساب ماكنتوش . كما أنه ما كان ليحجم عن أن يذكر أشياء سخيفة



عنه للأهالى . ولما كان ماكنتوش حديث معرفة بأهل الجزيرة ، فقد راح يتقبل بالابتسام والحلم ضحكاتهم وقهقهاتهم وسرورهم الطاغى ، كلما ألقى ووكر بنكتة أو بدرت منه إشارة ماجنة إليه ! .. وما درى ووكر أن ماكنتوش لم يكن يكره شيئا قدر كراهيته هذا النوع من المماجنة ، فكان يستيقظ فى الليل — ليل فصل الأمطار الخانق — ويفكر فى اكتئاب فى نكتة لاذعة أطلقها ووكر قبل ذلك بأيام .. فيتقد حقده ، ويتملكه الغضب ، ويصور لنفسه الطرق والوسائل التى تجعله ندا لهذا العربيد ! .. ولقد حاول الرد عليه ، ولكن ووكر كان يتمتع بسرعة البديهة .. وهى موهبة قاسية واضحة ، أكسبته التفوق ! .. ومع ذلك فقد كان يتسم ببلادة فكر تمنعه من سرعة التأثر بأية أمزوحة لاذعة . كما أن صوته العالى وضحكته المدوية ، كانا من الأسلحة التى لم يجد ماكنتوش إزاءها أى دفاع . ولهذا أدرك أن من الحكمة ألا يكشف عن انفعاله ، وتعلم كيف يضبط أعصابه .. ولكن كراهية ووكر ظلت تنمو فى أعماقه ، حتى بلغت حد الجنون ، فأخذ يرقبه فى يقظة وانتباه ، ويغذى اعتداده بنفسه على ما كان يظهر من ووكر من وضاعة ، وخيلاء صبيانية ، وخبث ، وفظاظة .. ويشعر بالارتياح حينما يراقب ووكر وهو يأكل فى نهم وشراهة — ولتلمظه بصوت مسموع — وحينما يلاحظ الأقوال السخيفة التى كان يتفوه بها ، ويسجل الأخطاء اللغوية التى كان يقع فيها ! .. وكان يعلم أن ووكر لا يكن له من التقدير شيئا كثيرا ، فشعر بارتياح مرير لرأى رئيسه فيه ، إذ زاد ذلك من اشمئزازه من هذا الكهل الضيق الأفق ..

www.dvd4arab.com

وكان اغتباطه يتضاعف ليقينه من أن ووكر لم يكن يدرك قط تلك الكراهية التى كان يكنها له . فقد كان غبيا ، يحب الشهرة ، ويتخيل أن كل الناس معجبة به . ولقد سمعه مرة يتكلم عنه قائلا : « لسوف يتحسن عندما أنتهى من تدريبه ، فهو جرو طيب ، يحب سيده ! » .

وقد ضحك ماكنتوش طويلا من أعماق قلبه ، دون أن تتحرك نأمة فى وجهه الطويل الشاحب !

على أن كراهية ماكنتوش لم تكن عمياء ، وإنما كانت ذات بصيرة ! .. ولهذا جاء حكمه على ميزات « ووكر » وكفاءته حكما دقيقا . فقد أدرك أن الرجل يحكم مملكته الصغيرة بكفاءة وعدل وأمانة ، وأنه — برغم الفرص التى كانت تسنح له للإثراء — أفقر مما كان عندما عين فى هذا المنصب ، وأن المورد الوحيد الذى سيعتمد عليه فى شيخوخته ، هو ذلك المعاش الذى سيتقرر له فى النهاية ، عند التقاعد .. وكان ووكر يفخر بأنه تمكن — بمعاونة مساعد واحد وكاتب — من إدارة هذه الجزيرة بكفاءة تفوق ما كانت تدار به جزيرة (أوبولو) — الجزيرة الكبرى التى كانت ( آبيا ) كبرى مدنها — على أيدى ذلك الجيش من الموظفين الذى أعد لها . ولم يكن لديه غير عدد قليل من الشرطة ، كلهم من أهل الجزيرة . ولكنه لم يكن يستخدمهم فى تثبيت سلطانه ، بل إنه كان يعتمد فى حكمه على الحيلة وعلى مجونه الأيرلندى ! .. وكان يقول : « لقد أصروا على أن يبنوا لى سجنا ، ولكن ما حاجتى



إلى السجن بحق الشيطان ؟ .. إننى لن أودع الأهالى السجن، لأنى أعرف كيف أعاملهم إذا أخطأوا ! » .

وكان بين الخلافات التى قامت بينه وبين السلطات فى ( آبيا ) — قضية الحكم فى الجزر — انه ادعى لنفسه السلطة القضائية والتشريعية بالنسبة لأهل الجزيرة ، فلم يكن يحولهم إلى المحاكم المختصة ، مهما تكن جرائمهم ! .. وكم من مرة تبودلت بينه وبين محافظ ( أوبولو ) مكاتبات مشحونة بعبارات السخط والغضب ! .. ذلك لأنه كان ينظر إلى الأهالى كأنهم أولاده ، فكان هذا هو أغرب ما فى الرجل الأنانى الفظ السوقى، إذ أحب الجزيرة التى عاش فيها طويلا ، فأصبح يطوى بين جناحيه عاطفة غريبة من الحنان الخشن نحو أهل الجزيرة .. عاطفة تدعو إلى العجب فعلا ! .. وكان يحب الطواف حول الجزيرة على فرسه العجوز الشهباء ، دون أن يمل قط من جمالها . بل كان يجوس خلال طرقاتها المعشوشبة ، بين أشجار « جوز الهند » ، ويقف بين الفينة والأخرى ليتأمل فى إعجاب المناظر الحبيبة الممتدة أمامه .. وكان يمر — من وقت لآخر — بقرية ، فيتوقف ريثما يقدم له زعيمها قدحا من «الكافا» — الشراب الوطنى — وهو يتأمل الأكواخ المصنوعة على شكل النواقيس ، وسقوفها المبنية بالقش ، وكأنها خلايا نحل ! .. وإذ ذاك ، كانت ترتسم على وجهه المكتنز ابتسامة هانئة ، وتستقر عيناه — فى سعادة تامة — على المروج الخضراء ، والأشجار الباسقة المنتشرة أمامه .. ويقول لنفسه : « تالله إنها لأشبه بجنة عدن ! » .

Looloo www.liilas.com

وكانت جولاته تمتد أحيانا ، فيصل إلى الشاطىء ، ويرى — من خلال الأشجار — البحر الخالى المترامى الأطراف ، لا يعكر صفو هدوئه شراع واحد . وقد يتسلق — فى بعض الأحيان — تلا ، فيرى رقعة كبيرة ممتدة أمامه ، تتناثر فيها قرى صغيرة قابعة فى أحضان أشجار باسقة ، فيتخيل أنه أمام مملكة الممالك . فيجلس ساعة فى نشوة وسرور . ولكنه لم يكن يملك من الكلام ما يعبر عن مشاعره ، فلا يجد ما يفيض به عنها سوى نكتة بذيئة يطلقها ! .. والظاهر أن هـذه المشاعر كانت من العنف إلى الحد الذى يحتاج إلى الفظاظة لكسر حدتها !

وكان ماكنتوش يلاحظ هذه العواصف فى ازدراء جليدى .. فلقد كان ووكر مسرفا فى الشراب دائما ، وكان يفخر بمقدرته على أن يرى رجالا لم يبلغوا نصف عمره ، صرعى الخمر ، تحت الموائد ، حين كان يقضى ليلة فى ( آبيا ) ، ويجد من نفسه ميلا إلى الشراب ! .. أما هو ، فكان يروى — بأعلى صوته — القصص التى قرأها فى مجلاته .. ومع ذلك فقد كان يأبى أن يقدم أى قرض لأى تاجر قد يقع فى ضيق ، ولو كانت معرفته بهذا التاجر ترجع إلى عشرين عاما ! .. فقد كان حريصا على ماله ، حتى لقد قال له ماكنتوش ذات مرة : « ليس بوسع أحد أن يتهمك بتبديد المال ! » . فأخذها على محمل المديح !

* * *

وكان شغفه بالطبيعة مجرد إحساس من الأحاسيس الغامرة التى تخامر مدمن الخمر !

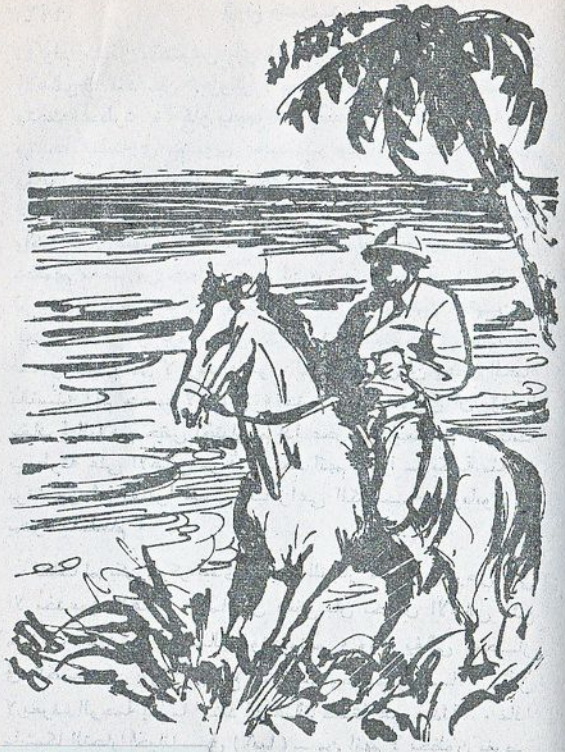

وكانت جولاته تمتد أحيانا ، فيصل الى الشاطىء ، ويرى — من خلال الأشجار — البحر الخالى المترامى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ولم يشعر ماكنتوش بأى إعجاب بشعور رئيسه نحو الأهالى . فقد كان « ووكر » يحبهم لأنهم كانوا فى قبضة يده وتحت سيطرته .. كان يحبهم كما يحب الرجل الأنانى كلبه !.. وكانت عقليته فى مستوى عقليتهم ، ولهذا فقد كان يفهمهم وكانوا يفهمونه . ومن هنا كان زهوه بسيطرته عليهم ونظرته إليهم كما لو أنهم كانوا أبناءه ! .. ولقد اندمج فى جميع شؤونهم، ولكنه كان غيورا إلى حد كبير على سلطته . ومع أنه كان يحكمهم بعصا من حديد ، دون أن يرضى معارضة ما ، إلا أنه لم يكن يرتضى قط أن يستغلهم أحد من البيض المقيمين فى الجزيرة . وكان يرقب الارساليات فى شك وحذر ، فاذا قام أحد رجالها بعمل لا يرضاه هو ، لم يحجم عن أن يجعل الحياة بالنسبة لهم جحيما لا يطاق ، حتى يضطرهم إلى أن يؤثروا مغادرة البلاد بمحض اختيارهم إذا عجز عن إبعادهم . وكانت سيطرته على الأهالى قوية إلى حد أنهم كانوا — بكلمة منه — يرفضون أن يعملوا لحساب راعى الكنيسة ، ويأبون أن يمدوه بالطعام !

كذلك لم يكن ووكر يبدى أى ود للتجار ، وكان يحرص على ألا يخدعوا الأهالى ، كما كان يعنى بأن يحصل الأهالى على مكافآت طيبة جزاء أعمالهم وتجارتهم ، وبألا يغالى التجار فى الكسب من وراء السلع التى يبيعونهم إياها . وكان لا يعرف الرحمة إذا ما أعتقد أن هناك صفقة غير عادلة .. فاذا ما شكا التجار أحيانا — فى ( آبيا ) — من أنهم لا يحظون بفرص مناسبة للاتجار ، قاسوا الأمرين من جراء هذه الشكوى ،



إذ كان « ووكر » لا يتردد — عندئذ — ولا يتورع عن اختلاق أية أكذوبة ظالمة لمعالجة الأمر ، فلا يلبث هؤلاء التجار أن يجدوا الا سبيل لهم إلى أن يعيشوا فى سلام ، أو أن يكون لهم كيان ، إلا بأن يتقبلوا الموقف وأن يرتضوا ما يمليه هو من شروط . وكم من مرة شبت النار فى حانوت تاجر ممن كان يناصبهم العداء ، دون أن تكون هناك مرية فى أن ( المأمور ) هو المحرض على ذلك ! .. ولقد حدث مرة أن سويديا — من أم من بنات الجزيرة — حاق به الخراب بسبب الحريق ، فبادر بالذهاب إلى « ووكر » واتهمه جهارا بتدبير الحريق . فضحك ووكر ، وقال له : « أيها الكلب القذر ! .. لقد كانت أمك من الأهالى ، وها أنت ذا تحاول خداع الأهالى وغشهم . فاذا كان متجرك العتيق قد احترق فهذا من أحكام العناية الالهية !.. أجل إنه جزاء من القدر ، فاغرب عن وجهى ! » .. وأخذ ( المأمور ) يضحك ملء شدقيه ، بينما راح اثنان من الشرطة — من أهل الجزيرة — يخرجان التاجر ، وهو يردد : « إنه حكم العناية الالهية ! » .

* * *

وأخذ ماكنتوش يراقب « ووكر » وهو يشرع فى عمل اليوم — فى ذلك الصباح — مبتدئا بالمضى . إذ كان قد أضاف إلى نواحى نشاطه أمر علاج المرضى ، وأفرد غرفة صغيرة — خلف المكتب — ملأها بالأدوية والعقاقير .. وتقدم رجل مسن ، أشيب الشعر ، يرتدى ثوبا أزرق مخططا من « اللافا لافا » ، وقد تغضن جلده فأصبح كجلد القربة . فسأله ووكر : « لماذا

Looloo
www.dvd4arab.com

جئت ؟ » .. وبصوت خفيض واهن ، قال الرجل إنه لا يكاد يأكل حتى يلفظ ما أكل ، وأنه كان يشعر بالآلام هنا ، وهناك فى جسمه .. فقال ووكر : « اذهب إلى عيادة المبشرين ، فأنت تعلم أننى لا أعالج إلا الأطفال ! » .. فقال الرجل : « لقد ذهبت إلى الارساليات ، ولكنها لم تفدنى بشىء ! » . فقال ووكر : « إذن ، فاذهب إلى منزلك ، وتأهب للموت .. لقد عمرت طويلا ، فهل ما تزال ترجو أن تطول أيامك أكثر من هذا ؟ .. انك لغبى ! » .

واندفع الرجل فى احتجاج صاخب ، ولكن ووكر أشار إلى سيدة تحمل بين ذراعيها طفلا مريضا ، وطلب إليها أن تتقدم بالطفل إلى مكتبه ، ووجه إليها بعض أسئلة ، ثم نظر إلى الطفل ، وقال : « سأعطيك دواء ! » .. ثم تحول إلى الكاتب — الذى كان خليطا من أب أبيض وأم من بنات الجزيرة — وقال : « اذهب إلى مخزن الأدوية فأحضر بعض حبوب الكالوميل » . وأغرى الطفل بابتلاع إحدى الحبوب ، ثم أعطى حبة أخرى إلى أمه وقال : « خذى الطفل واحرصى على تدفئته ، وسوف يتحسن غدا .. أو يموت ! » .

واضطجع فى مقعده ، وأشعل غليونه ، ثم قال : « إن الكالوميل عقار عجيب ، وقد أنقذت به حياة عدد من المرضى يفوق كثيرا عدد من أنقذهم أطباء مستشفى ( آبيا ) مجتمعين ! » .. كان ووكر مزهوا ببراعته ، وكان — بفضل ما يزينه له الجهل من غرور — لا يرضى عن أهل الطب ! .. ولم يلبث أن قال : « إن الحالة التى يحلو لى علاجها ، هى تلك التى



يعتقد الأطباء جميعا أنها ميئوس منها . فعندما يقول الأطباء إنهم لا يستطيعون علاجك ، أقول لهم : « تعالوا إلى ! » .. ألم أحدثك يوما عن الشخص الذى أصيب بالسرطان ؟ » . فقال ماكنتوش : « كثيرا ! » .

— لقد عالجته فى ثلاثة أشهر .

— ولكنك لم تخبرنى عن الذين لم تشفهم !

وإذ انتهى ووكر من هذا الجزء من عمله ، تحول إلى بقية الأعمال ، وكانت مزيجا عجيبا : فهذه امرأة لم تعد تستطيع العيش مع زوجها .. وهذا رجل يشكو من أن زوجته قد هربت منه .. وقال ووكر : « يا له من كلب محظوظ ! .. إن أغلب الرجال يتمنون لو هربت زوجاتهم ! » .

وعرضت عليه قضية نزاع — طويل معقد — على ملكية بضع ياردات من الأرض ، ونزاع على صيد الأسماك ، وشكوى ضد تاجر أبيض غش فى المكاييل . وكان ووكر يصغى بانتباه لكل قضية ، ثم يعمل فكره بسرعة ، ويصدر قرارا فيها . وما أن يصدر القرار حتى يرفض الاستماع إلى شىء بصدد القضية . فاذا استمر الشاكى فى عرض أمره ، تولى شرطى طرده من القاعة . وكان ماكنتوش يستمع إلى هذا كله بانفعال وغيظ صامت . كان من الجائز التسليم — بوجه عام — بأن هناك عدالة وإن كانت بدائية ، ولكن الأمر الذى أحنق المساعد هو : أن رئيسه كان يعتمد على سليقته أكثر من اعتماده على القرائن . ولم يكن يستمع إلى الحجج ، وهو ينتهر

looloo
www.dvd4arab.com

الشهود عادة .. فاذا ما تبين أنهم لم يفهموا ما كان ينبغى أن يفهموه ، رماهم بأنهم لصوص وكاذبون !

وترك « ووكر » — إلى نهاية أعماله — طائفة من الرجال — كانوا يجلسون فى ركن من الغرفة — متعمدا أن يتجاهلهم . وكانت هذه الطائفة تضم شيخ إحدى القرى — وهو شخص متقدم فى السن ، طويل القامة ، مهيب الطلعة ، ذو شعر أبيض ، وقد ارتدى ثوبا جديدا رسم على صدره شعار الوظيفة — ونجله . وستة من ذوى الشخصيات الهامة فى القرية . وكان ووكر قد ناصبهم العداء ، وانتصر عليهم ، فأخذ يتعمد إظهار انتصاره — كما هى شيمته — ويسعى إلى أن يفيد من ضعفهم بعد أن قهرهم . وكانت وقائع قضيتهم عجيبة . فقد كان لووكر ولع بشق الطرق . وعندما وفد على ( تالوا ) لم يكن فيها غير دروب قليلة ، متناثرة هنا وهناك . فلم يلبث — على مر الأيام — أن شق طرقا فى البلاد تربط القرى بعضها ببعض . ويرجع إلى هذه الطرق فضل كبير فى الرخاء الذى ساد الجزيرة . وبعد أن كان من المتعذر — فى الماضى — نقل المنتجات ، لا سيما جوز الهند ، إلى الشاطىء ، حيث يتسنى نقلها على السفن والزوارق البخارية إلى ( آبيا ) ، أصبح هذا النقل ميسرا سهلا .

وكان الأمل الأكبر ، الذى يراود ووكر ، هو شق طريق حول الجزيرة ، وقد تم إنشاء جزء كبير منه فعلا . وكان لا يفتأ يقول : « سانجزه فى عامين . ولن يهمنى — بعد ذلك — أن أموت ، أو أن أطرد من عملى ! » .



وكانت الفرحة تملأ قلبه بهذه الطرق التى شقها فى البلاد ، فلم يكن ينفك عن القيام برحلات لكى يطمئن إلى أنها مصونة .. وكانت طرقا بسيطة فى تكوينها .. دروبا واسعة مكسوة بالحشائش ، تتخلل الريف أو المزارع . غير أنه لم يكن ثمة بد من اقتلاع بعض الأشجار ، وحفر بعض الصخور أو نسفها ، وتمهيد التربة فى بعض الأنحاء . وكان ووكر يفخر بانه تمكن بفضل مهارته من تذليل هذه الصعاب ، ويبتهج عندما يرى أن هذه الطرق لم تكن مجرد أسباب للتيسير ، وإنما كانت تكشف كذلك عن مفاتن الجزيرة التى أحبها . فاذا ما تكلم عن الطرق أوشك أن يصبح شاعرا .. ذلك لأنها كانت تمتد بين المناظر الجميلة . وقد عنى ووكر بأن يبسطها فى خط مستقيم — بين كل مسافة وأخرى — وبهذا تنجلى المروج الخضراء من خلال الأشجار الطويلة ، كما كانت تتخللها انحناءات وتعرجات لكى تستريح النفس لهذا الاختلاف والتنويع فى المناظر .. وكان من الغريب حقا أن يظهر الرجل الخشن البهيمى ، كل هذه البراعة فى تحقيق النتائج التى أوحى بها خياله إليه ، حتى لقد استخدم فى شق هذه الطرق ، كل ما يبذله البستانى اليابانى من عناية مشغوفة ، فى تنسيق حديقته .. وكان قد تلقى من المركز العام للإدارة ، اعتمادا ماليا للمشروع ، ولكنه كان يفخر بأنه لم ينفق غير جزء صغير منه ، فلم يتجاوز ما أنفق فى العام السابق غير مائة جنيه من الألف التى خصصت له !

وكان يقول مزمجرا : « فيم حاجتهم إلى المال ؟.. إنهم سينفقونه فى جميع ألوان السفاسف التى لا حاجة لهم إليها

looloo www.dvd4arab.com

.. أو بعبارة أخرى ، سينفقونه فيما يتبقى فى الجـزيرة من سلع بعد أن تستكفى الارساليات منها ! » . وقد نجح فى حمل الأهالى على تأدية أى عمل يريـدهم على أدائه ، بأجور تكاد تكون اسمية . وما كان هذا لسبب معين ، اللهم إلا أن يكون من قبيل الزهو بقلة إنفاقه فى تحقيق أعماله الإدارية ، ورغبته فى إظهار براعته بالقياس إلى الأساليب العقيمة التى تتبعهـا السلطات فى ( آبيا ) .

***

ولكن هذا المسلك أدى به أخيرا إلى مواجهة بعض الصعاب مع القرية التى جاء زعماؤها — فى ذلك الصباح — لمقابلته . إذ كان ابن شيخ القرية قد قضى عاما فى ( أوبولو ) ، فلما عاد إلى قومه حكى لهم عن المبالغ الكبيرة التى تدفع فى ( آبيا ) فى مقابل الأعمال العامة .. ونجح على مر الأيام فى إلهاب نفوسهم وبث روح الكسب فى قلوبهم .. وراح يصور لهم الثراء الطائل، حتى أنهم أخذوا يفكرون فى « الويسكى » الذى سـيغدو فى ميسورهم أن يشـتروه .. إذ أنه كان غالى الثمن نظرا لأن القانون كان يحرم بيعه للأهالى . ومن ثم فقد كانوا يدفعون فيه ضعف ما يدفعه الرجل الأبيض !.. وأخذوا يتصـورون كذلك ، الصناديق المصنوعة من خشب الصـندل — والتى يحفظون فيها ثرواتهم — والصابون المعطر ، وسائر الكماليات التى يبذل أهل الجزيرة أرواحهم للحصول عليها . ولهذا فانهم — عندما استدعاهم المدير وانبأهم برغبته فى شق طريق من



قريتهم إلى نقطة على الشاطىء — طلبـوا منه أن يدفـع لهم مائة جنيه ! ..

وكان نجل شيخ القرية يدعى « مانوما » : طويل القامة ، جميل الطلعة ، نحاسى اللون ، له شعر صبغ باللون الأحمر ، وحول عنقه طاقة من زهر الكرز الأحمر ، ووراء أذنه زهـرة كانت — بالنسبة لوجهه الأسمر — أشبه بجذوة قرمزية .. وكان نصفه الأعلى عاريا . ولكنه شـاء أن يظهر أنه لم يعـد هميجيا — بعد أن قضى فترة فى آبيا — فارتدى السراويل بدلا من المئزر . وقد ألح على الأهالى بأن يتكاتفوا ، حتى يضـطر المدير ( المأمور ) إلى قبول شروطهم . فلقد كان تواقا إلى شق هذا الطريق ، ومن ثم فانه سيضطر إلى الاسـتجابة لطلباتهم إذا أيقن من أنهم لن يعملوا بأقل مما طلبوا .. وأهاب بهـم ألا يتزحزحوا عن موقفهم مهما يقل لهم المدير، وإذا طلبوا مائة جنيه ، وجب عليهم أن يتمسكوا بكلمتهم !

وإذ ذكروا الرقم لووكر ، صـاح مطلقـا ضحكته الطويلة العميقة العالية ، ونصحهم بألا يكونوا أغبياء ، وأن يبدأوا العمل فورا . وكان فى ذلك اليوم فى خير حالاته ، فوعدهم بأن يقيم لهم وليمة بعـد إتمام الطـريق ، ولكنه لم يكد يتبين أنهم لم يبدوا أية محاولة للبدء فى العمل ، حتى ذهب إلى القـرية ، فسألهم عن الحيلة الرعناء التى كانوا يلعبونها . وكان «مانوما» قد أعدهم للموقف ، فاعتصموا بالهدوء التام . ولم يحاولوا مجادلة ووكر — برغم أن أبناء عشيرة « الكاناكا » مغـرمون بالجدال — وإنما اكتفوا بهز أكتافهم ، مرددين أنهم كانوا على

www.dvd4arab.com

استعداد لأن يشقوا الطريق لقاء مائة جنيه ، ولن يقدموا على عمل ما إذا هو لم يدفعها ، وليفعل ما يشاء ، فقد وطنوا أنفسهم على ألا يحفلوا !

وعندئذ ثار غضب ووكر ، فأصبح قبيح الطلعة ، إذ اشتد تضخم عنقه المكتنز ، واشتد احتقان وجهه الأحمر ، وخرج الزبد من شدقيه ، وأخذ يصب جام غضبه على الأهالى .. وكان يعرف تماما كيف يجرح النفوس وكيف يذلها .. كان مرعبا ، حتى لقد شحبت وجوه المتقدمين فى السن ، وشعروا بالقلق ، وترددوا ، ولولا « مانوما » ومعرفته بالعالم الكبير — خارج جزيرتهم — وخوفهم من سخريته ، للانوا .. وكان مانوما هو الذى رد على ووكر بقوله : « ادفع لنا مائة جنيه ، نؤد لك العمل ! » . فهز ووكر قبضته فى وجه مانوما ، ونعته بكل صفة طرأت على مخيلته ، وصب عليه وابلا من السخط ولكن مانوما ظل ساكنا ، مبتسما . وكان فى ابتسامته من التظاهر بالشجاعة أكثر مما كان فيها من اعتداد بالنفس . فقد كان مضطرا إلى أن يظهر بمظهر طيب أمام الآخرين ، فكرر عبارته: « ادفع لنا مائة ، نؤد العمل ! » .

وظنوا أن ووكر سينقض على « مانوما » .. ولو أن هذا حدث لما كانت المرة الأولى التى يعتدى فيها على أحد الأهالى بيديه .. وكانوا يعرفون قوته ، فمع أنه كان يبلغ من العمر ثلاثة أمثال ما بلغه « مانوما » ، ومع أنه كان أقصر منه بشبر تقريبا ، إلا أنهم لم يرتابوا مطلقا فى أنه كان يفوق « مانوما »



قوة . فما خطر لأحد قط أن يقاوم العدوان الوحشى الذى كان بوسع المدير أن يشنه !

ولكن ووكر لم يقل شيئا ، وإنما سعل ليجلوا حلقه ، وقال لهم بعد برهة : « لن أضيع وقتى مع طائفة من الأغبياء ، فتشاوروا ثانية فى الأمر ، وأنتم تعرفون ما عرضته ، فاذا لم تبدأوا العمل فى خلال أسبوع ، فخذوا الحذر لأنفسكم ! » . واستدار فغادر كوخ شيخ القرية ، وفك رباط فرسه ، بعد أن كان من مظاهر العلاقات بينه وبين الأهالى أن يتقدم أحد شيوخهم فيقف ممسكا ركاب الفرس ، بينما يقف ووكر على بقعة عالية ويرفع نفسه ببطء إلى صهوة الجواد .

وفى الليلة ذاتها ، كان ووكر يتمشى كعادته فى الطريق الذى يمر بجوار داره ، وإذا به يسمع شيئا يمرق بجانبه ، ثم يرتطم بشجرة .. وكان جليا أن تذيفة ما قد وجهت إليه ، فدفعته غريزته إلى التنحى ، وصاح : « من هذا ؟ » . ثم جرى نحو المكان الذى انبعثت منه التذيفة ، فسمع صوت شخص يهرب خلال الشجر . وأدرك أن من العبث مطاردة هذا الشخص فى الظلام ، فضلا عن أن أنفاسه سرعان ما تهدجت ، فوقف . ثم عاد إلى الطريق ، وأخذ ينظر حوله ليعرف كنه الشىء الذى سدد إليه . ولكنه لم يعثر على شىء ، إذ كان الظلام دامسا . فرجع مسرعا إلى الدار ، ونادى ماكنتوش والخادم الصينى ، وقال لهما : « لقد رمانى أحد هؤلاء الشياطين بشىء ما ، فتعاليا معى لنبحث عنه ! » . وطلب من الصبى أن يحضر مصباحا .. وأجابه ثلاثتهم إلى

www.dvd4arab.com

مكان الحادث ، فأخذوا يبحثون . ولكنهم لم يجدوا ما كانوا ينشدون .. وما لبث الخادم أن صاح فجأة ، فالتفت إليه ووكر وماكنتوش. وإذ رفع المصباح إلى أعلى، ظهرت فى الضوء — الذى شق الظلام المحيط بالمكان — سكين رهيبة الشكل ، انغرست فى جذع شجرة من أشجار جوز الهند . وتبين أنها رميت بقوة بالغة ، حتى لقد اقتضى نزعها من الجذع جهدا كبيرا !

وهتف ووكر : « ياالله !.. لولا أنه أخطأنى ، لكنت الآن فى حال بديعة ! » وأمسك بالسكين ، فاذا بها من تلك السكاكين المصنوعة على نمط مدى الملاحين التى أحضرها — منذ مائة عام — أولئك الذين كانوا أول من ارتاد الجزيرة من البيض .. وهى مدى كانت تستخدم فى شطر ثمرة « جوز الهند » إلى نصفين ، لتجفيف لبها .. كما كانت سلاحا قاتلا ، إذ كان نصلها — الذى يبلغ اثنتى عشرة بوصة طولا — حادا جدا !.. وأخذ ووكر يضحك بصوت خافت ، وقال : « ياله من شيطان ! .. ياله من شيطان غبى ! » .

ولم يداخله شك فى أن « مانوما » هو الذى رماه بهذه السكين ، وقد نجا من الموت الذى لم يكن يبعد عنه بأكثر من ثلاث بوصات .. ولم يغضب ، وإنما كان — على العكس من هذا — فى خير حالات الحبور . والظاهر أن المغامرة أفعمت قلبه سرورا ، حتى انه عندما عاد إلى المنزل ، طلب خمرا ، وأخذ يفرك يديه فى ابتهاج ، وهو يقول : « سوف أجعلهم يدفعون ثمن هذا ! » .. وأخذت عيناه الصغيرتان تبرقان ،



وانتفش كالديك الرومى ، وأصر للمرة الثانية — فى نصف ساعة — على أن يروى لماكنتوش تفصيلات المسألة ، ثم طلب منه أن يلعب الورق معه .. وظل خلال اللعب يتحدث ويتشدق بما سوف يفعله . وكان ماكنتوش يصغى إليه وشفتاه مغلقتان .

ولم يلبث ماكنتوش أن قال له : « ولكن .. لماذا تحاول أن تسحقهم بهذا الشكل ؟.. ان عشرين جنيها مبلغ زهيد جدا بالنسبة للعمل الذى تريد منهم أن يعملوه ! » . فقال « جدير بهم أن يشكروا لى أننى سأمنحهم أجرا ! » . فقال ماكنتوش : « ولكنه ليس مالك ، فان الحكومة تخصص لك مبلغا معقولا ، ولن تشكو إذا أنت أنفقته كله ! » . فقال ووكر : « انهم عصبة من الأغبياء .. أولئك القوم فى آبيا ! » . وأيقن ماكنتوش من أن الدافع لووكر كان مجرد الزهو والعجرفة ، فهز كتفيه ، وقال : « لا يجدر بك أن تعادى هؤلاء القوم إلى الحد الذى يكلفك حياتك ! »

— الا فليباركك الله !.. انهم لن يؤذونى ، ولن يستطيعوا الاستغناء عنى ، فهم يعبدوننى ، ومانوما غبى ، وما رمى السكين إلا لمجرد إرهابى !

وذهب ووكر فى اليوم التالى إلى القرية مرة أخرى .. وكانت تدعى ( ماتوتو ) . ولم يترجل عن جواده ، وإنما يمم شطر كوخ شيخ القرية ، فرأى الرجال جالسين على الأرض فى حلقة ، وهم يتحدثون . وحدس أنهم كانوا يعاودون بحث مسألة الطريق .. وكانت الأكواخ فى جزر ( ساموا ) تبنى على

looloo www.dvd4arab.com

هذا النحو : تقام جذوع الأشجار الرفيعة فى حلقة على أبعاد تتراوح بين خمس أقدام وست ، ثم تقام شجرة طويلة فى الوسط ، وينساب السقف من هذه فى ميل . وتستخدم أستار مصنوعة من الياف شجر جوز الهند ، فتسدل فى الليل او عند هطول المطر، وفيما عدا ذلك ، تكون الأكواخ – عادة – مفتوحة من جميع جوانبها ، حتى يتسنى للهواء أن يتخللها .

وتقدم ووكر إلى حافة الكوخ ، ونادى الشيخ قائلا : « اسمع ياتانجاتو » .. لقد ترك ابنك سكينه فى شجرة ، فى الليلة الماضية ، وها أنذا أعيدها إليك ! » . وألقى بالسكين على الأرض – وسط حلقة الرجال – ثم استدار بجواده وابتعد !

* * *

وخرج فى يوم الاثنين ليتبين ما إذا كانوا قد بدأوا العمل ، ولكنه لم ير ما يوحى بذلك ، فانطلق إلى القرية ، وإذا رجالها يقومون بأعمالهم اليومية : بعضهم ينسج الحصير من الياف الشجر ، ورجل مسن مقبل على احتساء شراب « الكافا » ، والأطفال يلعبون ، والنساء يؤدين أعمالهن المنزلية .. وتقدم ووكر – والابتسامة على شفتيه – إلى دار الشيخ الذى قابله بالتحية فردها إليه . ورأى « مانوما » يصنع شبكة ، وقد جلس والسيجارة بين شفتيه .. وما أن رأى ووكر ، حتى تطلع إليه وعلى شفتيه ابتسامة الانتصار .

وقال ووكر : « هل قررتم الا تعملوا فى الطريق ؟ » .

فرد الشيخ قائلا : « ليس قبل أن تدفع مائة جنيه ! »

ورأى « مانوما » يصنع شبكة ، وقد جلس والسيجارة بين شفتيه ..

وإذ ذاك قال ووكر : « لسوف تندم على هذا ! » . ثم التفت إلى مانوما وقال : « وأنت أيها الصبى .. لن أعجب إذا ما رأيت ظهرك متقرحا من ضرب السياط ، قبل أن يطول بك العمر ! » . ولكز جواده مبتعدا . وهو يقهقه تاركا القوم فى قلق . فقد كانوا يرهبون هذا الكهل البدين الأثيم . ولم يفلح غضب الارساليات عليه ، ولا روح السخط التى تعلمها « مانوما » فى ( آبيا ) ، فى حملهم على أن ينسوا أنه كان شيطانا ماكرا ، وأنه ما من شخص أساء إليه ، إلا وانتهى به الأمر إلى مكابدة الأمرين !

وقدر لهم أن يتبينوا — فى غضون أربع وعشرين ساعة — الخطة التى دبرها .. كانت خطة عجيبة !.. فما أن انبلج صباح اليوم التالى ، حتى وفد فريق كبير من الرجال والنساء والأطفال .. وقال زعماؤهم إنهم اتفقوا مع « ووكر » على شق الطريق ، وأنه عرض عليهم عشرين جنيها فقبلوها !.. أما موطن الخبث فى الخطة ، فيتجلى فى أن لعشائر « البولونيز » تقاليد فى الضيافة لها حكم القانون . فهناك تقليد صارم يقضى على أهل القرية بألا يكتفوا بإيواء الأغراب ، وإنما كان لزاما عليهم كذلك أن يزودوهم بالمأكل والمشرب طول فترة إقامتهم .. وهكذا تورط أهل ( ماتوتو ) ، ووقعوا فى الفخ !..

وأخذ العمال يخرجون فى كل صباح ، فى عصبة مرحة ، فيقطعون الأشجار ، وينسقون الصخور ، ويمهدون الأرض هنا وهناك ، ثم يعودون فى المساء إلى القرية ، فيأكلون ويشربون ، ويرقصون ويغنون الأناشيد ، ويتمتعون بالحياة !



.. كانت المسألة بالنسبة إليهم أشبه برحلة للترويح . ولكن أهل القرية لم يلبثوا أن أظهروا التجهم والتبرم . فقد كان الأغراب ذوى شهية نهمة .. وأخذت ثمار الفاكهة كالموز وغيره تختفى بفضل ضراوتهم فى الأكل . وتعرت أشجار الكمثرى التى كانت ثمارها ترسل عادة إلى ( آبيا ) لبيعها . وبدأ شبح الخراب يلوح أمام الأهالى الذين لاحظوا أيضا أن الغرباء كانوا يعملون فى بطء شديد .. فهل أوحى إليهم ووكر بأن يتلكأوا ؟.. لو أنهم استمروا على هذا البطء فلن تبقى فى القرية لقمة من طعام ، عندما تحين نهاية العمل فى الطريق ! .. والأنكى من ذلك أنهم أصبحوا أضحوكة . فما أن يذهب أحدهم إلى أية قرية بعيدة — فى مهمة ما — حتى يجد أن القصة قد سبقته ، فيقابل بالضحك والسخرية . وليس ثمة ما يضيق به أبناء عشيرة « الكاناكا » كالسخرية منهم ! ولم يطل الوقت حتى أخذ هؤلاء المنكوبون يتبادلون الحديث فى غضب ، ولم يعد « مانوما » بطلا فاضطر إلى أن يصبر على ما كان يوجه إليه من حديث صريح . وقد وقع ذات يوم ما كان « ووكر » يرتقبه . إذ احتدم الجدال وتحول إلى شجار ، فاندفع ستة من الشباب ، وهجموا على نجل شيخ القرية ، وكالوا له من الضرب ما جعله يرقد أسبوعا على الحصير ، لا يستطيع حراكا من الجروح والكدمات التى أصابته .. وراح يتقلب من جنب إلى آخر ، دون أن يجد راحة فى التقلب !

وكان المدير يفد على فرسه — كل يوم أو يومين — ليراقب سير العمل فى شق الطريق . ولم يكن من الذين يستطيعون

www.dvd4arab.com

مقاومة إغراء الشماتة فى عدو مهزوم ، فلم يترك فرصـــة إلا انتهزها ليذكر أهل « ماتوتو » بمرارة هوانهم . وبذلك حطم روحهم المعنوية . وفى صباح ذات يوم ، وضعوا كبرياءهم فى جيوبهم — وهذا تعبير على سبيل المجـــاز فقط ، إذ لم يكن لهم جيوب ما ! — وخرجوا مع الغرباء ، وشرعوا يعملون فى الطريق ، مدركين ما لإنجاز العمل بسرعة من أهميـــة ، إذا أرادوا أن ينقذوا ما كان لديهم من أغذية . وهكذا اشـــتركت القرية بأسرها فى العمل .. ولكنهم كانوا يعملون فى صـــمت ، بقلوب عامرة بالغضب والكمد .. وشاع هذا الصمت حتى شمل الأطفال أيضا . وكانت النسوة يبكين وهن ينقلن حزم الأعشاب . فلما رآهم ووكر ، ضحك ملء شدقيه ، حتى كاد يقع عن الجواد ! .. وسرعان ما انتشرت الأنباء ، فود اهل الجزيرة أن يموتوا خزيا !

وكانت هذه كبرى المهازل ، وتاج النصر لذلك الكهل الأبيض الماكر ، الذى لم يستطع أحد من « الكاناكا » أن يغلبه مرة !.. وأخذ الناس يتوافدون من القرى البعيدة مصطحبين نساءهم وأطفالهم ، ليشهدوا أهل القرية الأغبيـــاء ، الذين رفضوا عشرين جنيها مقابل شق الطريق ، ثم اضطروا إلى العمل بلا مقابل !.. وكلما زادوا من نشاطهم فى العمل ، وضاعفوا من جهودهم ، اشتد تباطؤ الضيوف . إذ لم يكن ثمة ما يدعو إلى التعجل ، ماداموا يحصلون على أغذية وافرة بلا مقابل !

* * *



وأخذت المهـــزلة تزداد طرافة ، بازدياد الفترة التى كانوا يستغرقونها فى إنجاز العمل ، حتى لم يعد لـــدى القوم طاقة على الصبر ، فجاءوا — فى ذلك الصباح — ليلتمسوا من المدير أن يعيد الأغراب إلى ديارهم ، واعدين إياه بأن ينجزوا العمل فى شق الطريق بغير مقابل !.. وكان هذا نصرا تاما — لا نزاع فيه — لووكر . فقد أذلهم !

وانتشرت على وجهه الكبير أمارات غبطة متعجرفة ، وقبع فى مقعده وكأنه ضفدعة كبيرة ، وشاعت فى أساريره أمارات الشر — مما جعل ماكنتوش يرتعد اشمئزازا واستهجانا — ثم أخذ يتكلم بصوته العالى قائلا : « أترونني أشق هذا الطريق لمصلحتى ؟.. ماذا تظنوننى أفيد من ورائه ؟.. إنما أصنعه لكم ، حتى تتمكنوا من السير فى راحة ، وحتى تنقلوا جـــوز الهند فى يسر . وقد عرضت أن أدفع لكم أجرا عن عملكم . مع أن الطريق يشق لمصلحتكم .. عرضت عليكم أجرا سخيا . وقد حق عليكم أن تدفعوا أنتم الآن .. سأعيد أهل ( مانوا ) إلى ديارهم إذا أنتم أتممتم الطريق ودفعتم العشرين جنيهـــا التى يجب أن أعطيهم إياها ! » .

وصدرت صيحة عالية من الرجال .. وحاولوا أن يتفاهموا معه ، ذاكرين أنهم لم يكونوا يملكون المبلغ . ولكنه قابل أقوالهم بالتهكم والتشفى . ثم دقت الساعة ، فقال : « لقد حان وقت الغداء .. فأخرجوهم من هنا ! » . ثم نهض بتثاقل وغادر الغرفة . وعندما لحق به ماكنتوش ، وجده قد جلس فعـــلا إلى المائدة ، وربط المنشفة حول عنقه ، وأمسك بالشـــوكة

Looloo
www.dvd4arab.com

والسكين استعدادا للطعام الذى كان الطاهى الصينى يوشك أن يحضره . وكان فى خير حالات الانشراح !

وعندما جلس ماكنتوش قال ووكر : « لقد قهرتهم بشـــكل جميل ، ولن أجد بعد ذلك صعوبة كبيرة فى إنشاء الطرق ! » . فقال ماكنتوش ببرود : « أعتقد أنك تمزح ! » . فهتف به ، « ماذا تعنى ؟ »

ـــ ما أراك ستحملهم حقا على دفع العشرين جنيها !

ـــ بل أراهن بحياتى على أننى سأحملهم على هذا !

ـــ لست أرى أن هناك أى حق يخولك هذا .

ـــ أحقا ؟!.. ولكنى أعتقد أن لى الحق فى أن أفعل أى شىء يروق لى فى هذه الجزيرة .

ـــ أعتقد أنك قد ارهبتهم بما فيه الكفاية .

فقهقه ووكر ، ولم يأبه لما كان ماكنتوش يراه ، وإنما قال : « عندما أحتاج إلى رأيك سأطلب منك أن تدلى به ! » .

فشحب وجه ماكنتوش .. وكان يعرف بالتجـــربة المريرة انه لا يملك ســـوى التزام الصمت ، وقد أدى به ما بذله من مجهود عنيف فى ضبط أعصابه ، إلى الشعور بالتوعك ، وبأنه مشرف على الاغماء ، فلم يستطع أن يأكل كل الطعام الذى كان أمامه . وأخذ ينظر فى اشمئزاز إلى ووكر وهو يلقى بقطع اللحم فى فمه الواســـع .. كان قذرا فى طريقة أكله ، وكان الجلوس معه على مائدة واحدة يتطلب معدة قوية . وارتجف



ماكنتوش ، وتملكته رغبة جامحة فى تحقير هذا الرجل الضخم القاسى .. وود لو استطاع أن يبذل أى شىء فى العالم كى يراه متمرغا فى التراب ، يقاسى بقدر ما كان يحمل سواه على أن يقاسوا !.. أبدا ما شعر ماكنتوش بالكراهية نحو هذا الثور بقدر ما شعر إذ ذاك !

وأخذ اليوم يولى .. وحاول ماكنتوش النوم بعد الغداء ، ولكن الانفعالات التى أحس بهـــا فى فؤاده منعته من ذلك . وحاول أن يقرأ ، ولكن الحروف والكلمات كانت تتراقص أمام عينيه . وكانت الشمس ترسل أشعتها فى قسوة ، فتاق إلى المطر ، وإن أدرك أن المطر لن يأتى معه بشىء من البرودة ، وإنما كان خليقا بأن يزيد الجو حرارة ويفعمه بالرطوبة . ولقد كان من أهل ( ابردين ) ، ولهذا هفا قلبه فجأة إلى الرياح المثلجـــة التى تصفر خلال الشوارع الجرانيتية فى هذه المدينة . أمـــا هنا ـــ فى هذه الجزيرة ـــ فقد كان أسيرا .. لم يسجنه البحر وحده ، وإنما كان حبيس كراهيته لهذا الكهل الفظيع كذلك !

وأخذ ماكنتوش يضغط رأسه المصدوع .. وود لو استطاع أن يقتل ذلك الرجل . ولكنه استطاع أن يتمالك نفسه ، ورأى أن عليه أن يفعل شيئا ليبعد عقله عن التفكير فى هذه الناحية . وإذ لم يستطع القراءة ، فكر فى ترتيب أوراقه وتنظيمهـــا . وهى مهمة فكر فى القيام بها منذ فترة ، ولكنه كان يرجئهـــا باستمرار . وفتح درج مكتبه فأخرج حزمة من الرسائل .. ووقع نظره على مسدسه ، فأومضت فى رأسه فكرة سريعة ما تلاشت .. تلك هى أن يطلق رصاصة على رأس ووكر ،

Looloo
www.dvd4arab.com

لينجو من ذلك القيد غير المحتمل فى الحياة !.. ولاحظ أن بالمسدس شيئا من الصدأ بسبب رطوبة الجو ، فأخذ ينظفه.. وفيما كان منهمكا فى هذا ، أشتد به شعور بأن هناك من كان يتلصص حول الباب ، فرفع رأسه وصاح : « من هناك ؟ » : ومضت برهة ، ثم ظهر مانوما فقال له : « ماذا تريد ؟ » .

ووقف نجل الشيخ برهة فى صمت ، فلما تكلم كان صوته مختنقا .. وقال : « ليس بوسعنا أن ندفع عشرين جنيها ، إذ أننا لا نملك المبلغ ! » . فقال ماكنتوش : « وماذا أملك أن أفعل ؟.. لقد سمعت ما قاله المستر ووكر ! » . وأخذ مانوما يرجو ويستعطف فى كلمات نصفها بلغة أهل (ساموا) ، ونصفها الآخر بالإنجليزية ، وكلها رجاء واستعطاف ، وكأنها أنشودة شحاذ ، مما ملأ قلب ماكنتوش بالاشمئزاز . فقد أحنقه أن يرى الشاب يسمح لسواه بأن يسحق بهذا الشكل ، وأن يصبح « شيئا » يدعو إلى الرثاء !

وقال ماكنتوش أخيرا : « لا أستطيع عمل شىء ، فأنت تعرف أن المستر ووكر هو السيد هنا ! » . فعاود مانوما صمته ، وظل واقفا عند الباب . وأخيرا قال : « اننى مريض ، فأعطنى بعض الدواء ! » .

ـــ وماذا بك ؟

ـــ لا أعلم .. اننى مريض ، وأشعر بالآلام فى كل جسمى .

ـــ لا تقف هناك .. تعال ودعنى أراك !

فدخل مانوما الغرفة ، ووقف قبل أن يصل إلى المكتب ،



وقال : « أشعر بالألم هنا .. وهنا » . ووضع يديه على ردفيه ووجهه . وارتسمت على وجهه معالم الألم . وفجأة ، شعر ماكنتوش بأن عينى الفتى كانتا مصوبتين إلى المسدس الذى كان قد وضعه على المكتب عندما ظهر مانوما عند الباب . وساد الصمت بين الرجلين ، وخيل لماكنتوش أنه صمت لا ينتهى .. وتراءى له أنه يقرأ الأفكار التى كانت تتردد فى عقل الفتى ، فراح قلبه يدق بعنف .. ثم شعر بأن شيئا ما قد تملكه ، فأصبح يتصرف تحت دفع إرادة أجنبية عنه ، ولم يعد هو الذى يوجه حركات جسمه ، وإنما كانت تحركه قوة غريبة عليه !.. وأحس بأن حلقه قد جف فجأة ، فوضع يده عليه بحركة آلية ، ليتمكن من الكلام . واضطر إلى تجنب عينى مانوما .. وقال فى صوت كأنه خارج من حنجرة قبض على قصبتها الهوائية شخص ما : « انتظر هنا ، وسوف أحضر لك شيئا من الصيدلية ! » .

ونهض .. أفكان وهما أن أحس بأنه يترنح ؟. ووقف مانوما فى صمت ، ومع أن ماكنتوش كان محولا عينيه عن مانوما ، فانه أحس بأن الفتى كان يتطلع فى بلاهة إلى الباب . وكان الشخص الآخر الذى تقمص ماكنتوش هو الذى راح يدفعه إلى خارج الغرفة ، ولكنه كان هو نفسه الذى أخذ حفنة من الأوراق المتناثرة ، والقاها على المسدس ليخفيه عن البصر ، قبل أن يذهب إلى الصيدلية ، فيأخذ منها قرصا من دواء ، ويصب سائلا أزرق اللون فى زجاجة .. ثم خرج إلى الفناء . ولم يشأ أن يعود إلى مسكنه ، ولهذا نادى مانوما ، وأعطاه الدواء وزوده بالتعليمات الخاصة بتعاطيه .. ولم يدر ما

Looloo
www.dvd4arab.com

الذى جعل من المستحيل عليه أن ينظر إلى مانوما ، فقد ظل — وهو يحدثه — مثبتا عينيه صوب كتفى الفتى . وأخذ مانوما الدواء وتسلل من الباب .

ودخل ماكنتوش إلى غرفة الطعام ، وعاد يقلب الصحف القديمة ، ولكنه لم يستطع القراءة .. كان السكون مخيما على المنزل ، وكان ووكر نائما فى غرفته فى الطابق الأعلى ، والطاهى الصينى مشغولا فى مطبخه ، والشرطيان يصطادان السمك . وخيل إليه أن السكون الذى خيم على المنزل كان سكونا غير طبيعى .. وكان التساؤل عما إذا كان المسدس ما يزال فى المكان الذى تركه فيه يطرق رأسه كالمطرقة !.. ولم يستطع أن يحمل نفسه على التحقق من ذلك .. كان عدم التأكد غظيعا، ولكن التأكد كان أفظع . وأخذ العرق يتصبب منه .. ولم يستطع فى النهاية احتمال هذا السكون ، فاستقر رأيه على أن يخرج إلى الطريق ، ويذهب إلى التاجر : وكان رجلا يدعى جرفيس ، يمتلك متجرا على حوالى ميل . وكان خليطا — من أب ابيض وأم من الأهالى — ولكن هذا القدر من الدم الأبيض الذى يجرى فى عروقه ، جعل تبادل الحديث معه أمرا محتملا .. ولقد كان ماكنتوش تواقا إلى الابتعاد عن مسكنه ، وعن مكتبه الذى تناثرت فوقه الأوراق ، وتحتها شىء ما ، أو .. لا شىء ؟!

ومشى فى الطريق ، وكلما مر بكوخ أحد الزعماء ، تصاعدت إليه التحيات . وأخيرا وصل إلى المتجر ، فاذا ابنة التاجر تجلس وراء منضدة البيع .. وكانت فتاة سمراء ، ذات قسمات عريضة ، وقد ارتدت سترة وردية اللون ، «وجونلة»



بيضاء . وكان أبوها « جرفيس » يأمل أن يوفق إلى تزويجها ، فقد كان يملك مالا . وقد قال لماكنتوش أن من يتزوجها يصبح فى سعة !

* * *

وعندما رأت ماكنتوش يدخل المتجر ، تضرج وجهها هونا ما ، وقالت : « إن أبى يفض بعض الصناديق التى وصلت هذا الصباح ، وسوف أبلغه أنك هنا ! » . فجلس ، بينما ذهبت الفتاة إلى ما وراء المتجر . وإن هى إلا برهة حتى دلفت أم الفتاة إلى الحانوت . وكانت سيدة ضخمة الجثة ، تحب السيطرة وتتمتع بقدر كبير منها . وكانت بدانتها الغظيعة تبديها بمظهر مستهجن ، ولكنها استطاعت أن توقع فى نفس رائيها وقارا . فكانت تظهر الود فى غير تذلل ، وتظهر التواضع وهى تشعر بمركزها .

ومدت يدها إلى ماكنتوش وقالت : « ما أغربك يا مستر ماكنتوش !.. لقد كانت تريزا تسألنى فى هذا الصباح بالذات عنك ، قائلة : لماذا لم نعد نرى المستر ماكنتوش ! » . وشعر برجفة خفيفة إذ تصور نفسه زوجا لابنة هذه السيدة الوطنية العجوز . فقد كان المعروف عنها أنها تتحكم فى زوجها برغم دمه الأبيض ، وتقبض عليه بيد من حديد . فكانت السلطة سلطتها، وكانت هى الرأس المفكر المدبر للعمل .. وقد لا تكون أكثر من المسز جرفيس فى نظر البيض ، ولكن والدها كان زعيما من الدم الملكى ، وقد كان أبوه وحده يحكمان كملكين!

Looloo
www.dvd4arab.com

وأقبل التاجر وكان يبدو ضئيلا بجوار زوجته .. كان رجلا أسمر ، ذا لحية سوداء أخذ المشيب يدب فيها ، وعينين جميلتين ، وأسنان ناصعة البياض . وكان بريطانيا قحا ، كما كانت لغته إنجليزية عامية . ولكنك تشعر بأنه يتكلم بالإنجليزية كلغة أجنبية ، إذ كان يتكلم مع أسرته بلغة أمه التى كانت من أهل الجزيرة .. وكانت تبدو عليه علامات الخضوع والخوف والذلة . وقد رحب بماكنتوش قائلا : « آه يا مستر ماكنتوش ، انها لمفاجأة مبهجة حقا !.. احضرى لنا الويسكى يا تريزا ، فلسوف يتناول المستر ماكنتوش جرعة معنا ! » .

وأخذ يروى جميع أخبار ( آبيا ) ويرقب عينى الضيف فى الوقت ذاته ، ليعرف الحديث الذى يروق له . وما لبث أن سأله : « وكيف حال ووكر ؟.. اننا لم نره فى الأيام الأخيرة ، وسوف ترسل له المسز جرفيس خنزيرا رضيعا فى يوم ما . خلال هذا الأسبوع ! » . وقالت تريزا : « لقد رأيته عائدا على جواده هذا الصباح » . وقدم جرفيس الويسكى لماكنتوش ، فشرب هذا كأسه ، بينما جلست السيدتان تتأملانه : الأم هادئة متشامخة — فى ثوبها الأسود — وتريزا تحاول أن تبتسم كلما وقعت عينها على عينه .. بينما كان التاجر يثرثر دون أن يتعب !

وقال جرفيس : « يقولون فى آبيا إن الوقت قد اقترب لكى يعتزل ووكر الخدمة ، إذ أنه لم يعد صغير السن ، وقد تغيرت الأحوال منذ حضوره إلى هذه الجزر ولكنه لم يتغير معها ! » . وقالت الرئيسة العجوز : « إنه يتمادى .. والأهالى غير



راضين ! » . فضحك التاجر قائلا : « لكم كانت مسألة الطريق مضحكة . وعندما رويتها للقوم فى ( آبيا ) قهقهوا جميعا حتى كادت جنوبهم أن تنفجر .. يا لووكر الكهل ! » .

فنظر إليه ماكنتوش بحدة ، وحار فى تعرف ما كان التاجر يعنيه بكلامه عن ووكر بهذه الطريقة . فقد كان ووكر بالنسبة لتاجر من أم من الأهالى « مستر ووكر » . وكان ماكنتوش على وشك أن يوجه لوما مقذعا من جراء هذه القحة . ولكنه لم يعرف ما الذى منعه !

وقال جرفيس : « آمل أن تحل محله يا مستر ماكنتوش إذا ما ذهب . فأنت تفهم الأهالى ، وقد أصبحوا متعلمين ، ولا بد من معاملتهم بطريقة تختلف عن ذى قبل .. إن الحاجة تدعو الآن إلى مدير متعلم ، ولم يكن ووكر غير تاجر مثلى ! » . فلمعت عينا تريزا ، بينما تابع والدها الحديث قائلا : « وثق أنه لو كان هناك أى شىء يمكن الإنسان هنا أن يفعله — عندما يحين الوقت — فسوف نفعله . وسأجمع كل الزعماء ، ونذهب إلى آبيا لنقدم التماسا ! » .

وشعر ماكنتوش بغثيان شديد ، فما سبق له أن فكر فى أنه قد يخلف ووكر إذا حدث لهذا المدير شىء ، وإن لم يكن ثمة شخص — فى مركزه الرسمى — يعرف الجزيرة كما كان يعرفها هو . فنهض فجأة ، وخرج عائدا إلى الدار ، دون أن يحيى مضيفيه تقريبا . فلما بلغها ، قصد إلى غرفته رأسا ، وألقى نظرة خاطفة على مكتبه ، ثم نبش ما عليه من أوراق ونقب خلالها وتحتها ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ولم يكن المسدس موجودا !.. ودق قلبه بعنف ، حتى كاد يخرج من بين ضلوعه . وأخذ يبحث عن المسدس فى كل مكان ، ففتش المقاعد والأدراج . وكان يبحث بيأس ، إذ كان يوقن من أنه لن يجده !.. وفيما كان كذلك ، سمع صوت ووكر الجهورى الخشن ، يسأله قائلا : « ماذا تفعل يا مك ، بحق الشيطان ؟ » . فجفل ماكنتوش إذ وجد ووكر واقفا بالباب ، وتحول بغريزته ليخفى الأشياء الملقاة على مكتبه . بينما قال ووكر فى حيرة : « هل ترتب أشياءك ؟.. لقد طلبت إسراج الفرس فى المركبة ، إذ أننى ذاهب إلى ( تافونى ) للاستحمام ويحسن بك أن تأتى أنت كذلك ! » .

ووافق ماكنتوش ، فما كان من المحتمل أن يقع لووكر شىء طالما كان هو معه . وكان المكان الذى يقصدان إليه يبعد نحو ثلاثة أميال ، وفيه بركة من الماء العذب يفصلها عن البحر حاجز رقيق من الصخر ، كان المدير قد نسفه لكى يتيح للأهالى منطقة للاستحمام .. وقد فعل مثل هذا فى مناطق كثيرة حول الجزيرة ، لا سيما فى البقاع التى كانت تجرى فيها جداول .. وكان الماء العذب يبدو باردا منعشا ، إذا قورن بماء البحر الدافىء اللزج !

وسارا فى الطريق المعشوشب الساكن . وكانت المركبة تمر بين الحين والآخر فى مخاضة من المخاضات الكثيرة التى شق البحر طريقه إليها بين القرى . وكانت الأكواخ المبنية على شكل الأجراس متناثرة على أبعاد متسقة وفى وسطها الكنيسة البيضاء الصغيرة . وعندما وصلا إلى القرية الثالثة ، ترجلا من



المركبة وأوثقا الفرس ، ومشيا إلى البركة . ورافقتهما أربع فتيات أو خمس ، ونحو ستة من الأطفال . وسرعان ما كان الجميع فى الماء يلعبون ويتصايحون ويتضاحكون ، بينما أخذ ووكر يسبح رائحا غاديا — وكأنه خنزير بحرى ضخم — وهو يداعب الفتيات بفجور ، فيغطس تحت الماء ، ويحاولن الإفلات كلما حاول الإمساك بهن .. حتى إذا تعب ، جلس على صخرة ، فسرعان ما تلتف الفتيات والأطفال حوله ، وكأنهم أفراد أسرة سعيدة . وكان الكهل يبدو بضخامته وهلال الشعر الأبيض الذى فى مؤخرة رأسه ، وصلعته اللامعة ، كإله من آلهة البحر .. ولقد فاجأه ما كنتوش مرة وفى عينيه نظرة رقيقة غريبة ، وما لبث أن قال : « انهم أطفال أعزاء ، ينظرون إلى كما لو أننى كنت أباهم ! » .

وتحول إلى إحدى الفتيات فأبدى لها ملاحظة بذيئة أسلمت الجميع إلى نوبات من الضحك . وأخذ ماكنتوش يرتدى ملابسه ، فبدا بساقيه الرفيعتين وذراعيه النحيلتين ، هيكلا مضحكا ، أشبه بدون كيشوت ، مما جعل ووكر يطلق عليه دعابات قاسية قوبلت بضحكات مكتومة . وأخذ ماكنتوش يناضل كى يرتدى قميصه ، وهو يعرف أنه يبدو فى مظهر مضحك .. وكان يكره أن يكون موضع سخرية ، فوقف يحملق فى صمت !.. وما لبث أن قال لووكر : « إذا شئت أن تعود فى موعد العشاء ، فعليك بالتعجيل ! » .

— إنك لست فتى شريرا يا ماكنتوش ، وإنما أنت غبى .. فبينما تكون منهمكا فى عمل ، إذا بك تريد أن تعمل شيئا آخر . وليست هذه بالطريقة المثلى للحياة !

Looloo
www.dvd4arab.com

ولكنه — مع هذا — نهض ببطء ، واستوى على قدميه . وأخذ فى ارتداء ملابسه . ثم عادا إلى القرية وشربا قدحا من « الكافا » مع زعيمها . وما لبثا أن عادا بالعربة إلى دارهما بعد وداع مرح من جميع القرويين الكسالى . حتى إذا فرغا من تناول طعام العشاء ، أشعل ووكر سيجارا ، واستعد كعادته للخروج فى جولة . وما أن لاحظ ماكنتوش هذا ، حتى تملكه الخوف فجأة ، وقال : « ألا ترى أنه ليس من الحكمة أن نخرج الآن فى الليل وحدك ! » .

فاستدار ووكر وتفرس فى وجهه بعينيه الزرقاوين المستديرتين وقال : « ماذا تعنى بحق الشيطان ؟ » .

— تذكر حادث السكين منذ ليال ، لا سيما بعد أن أثرت فى هؤلاء الناس واغضبتهم !

— إنهم لا يجرؤون على شىء البتة !

— لقد تجرأ أحدهم من قبل ..

— كان ذلك من قبيل الارهاب ، ولكنهم لن يؤذونى ، فهم ينظرون إلى كأنى والدهم ، ويعرفون أن كل ما أفعله لمصلحتهم . وكان ماكنتوش يراقبه ويشعر نحوه باشمئزاز ، وقد غاظه اعتداد الرجل بنفسه . ومع هذا ، فقد كان هناك شىء — لم يدر كنهه — يدفعه إلى الإلحاح . فقال : « تذكر ما حدث صباح اليوم !.. إنك لن تضار إذا بقيت فى البيت الليلة فقط ، وسوف ألعب الورق معك ! » .



— سألعب معك عندما أعود .. لم يخلق بعد بين هؤلاء الأهالى من يستطيع أن يحملنى على تغيير خططى !

— إذن يحسن أن تدعنى أذهب معك .

— بل ابق حيث أنت !

فهز ماكنتوش كتفيه ، إذ أنه أنذر الرجل إنذارا تاما . فماذا كان قد أغفله فهذا شأنه . ووضع ووكر القبعة على رأسه وخرج . وبدأ ما كنتوش يقرأ ، ولكنه رأى فجأة أنه قد يكون من الخير أن يثبت وجوده فى ذلك المكان . فنهض ودخل المطبخ منتحلا ذريعة لدخوله ، وظل يتحدث بضع دقائق مع الطاهى ، ثم أخرج « الجراموفون » ووضع أسطوانة عليه .. وبينما كانت نغمات الأغنية اللندنية المرحة تتردد ، كانت أذنه مرهفة لسماع صوت فى وسط هذا الليل .. وظلت الأسطوانة تدور عند كتفيه ، ونغماتها تعلو فى صوت أجش . ومع ذلك فقد خيل إليه أنه محاط بصمت شيطانى . وكان يسمع هدير الأمواج الرتيب المل على الشاطىء ، وتأوهات النسيم تنبعث من بين أوراق شجر جوز الهند العالية .. فإلى متى يطول هذا ؟.. يا له من شىء رهيب !

وسمع قهقهة خشنة ، وصوت ووكر يقول : « ان العجائب لا تنقطع ، فليس من عادتك أن تسمع أسطوانات يا ماكنتوش ! » .. وكان ووكر يقف فى باب الشرفة ، ووجهه أحمر يشيع فيه السرور . ومضى يقول : « ها أنتذا ترانى حيا . ولكن .. لماذا كنت تدير الجراموفون ؟ » . ودخل إلى القاعة ، وهو يقول :

www.dvd4arab.com

وسمع قهقهة خشنة ، وصوت ووكر يقول : « ان العجائب لا تنقطع ، فليس من عادتك أن تسمع أسطوانات يا ماكنتوش ! »



« هل أعصـــابك متوترة ، فأدرت الجراموفون لتروح عن نفسك ؟ » .

ــ لقد كنت أسمع لحن جنازتك !

ــ وما هو بحق الشيطان ؟

ــ إنها أغنية : «نصف من البيرة المرة وقدح من الاستاوت» !

ــ إنها أغنية جميلة ، لا أمل سماعها فى أغلب الأوقات . والآن .. اننى على اســتعداد لأن أســتولى على نقودك فى لعب الورق !

ولعب الاثنان ، وشـــق ووكر طريقـــه إلى الربح بالخداع والتهريج والســخرية من أخطـــاء ماكنتوش ، والمـــراوغة والتهويش .. وأخيرا ، استعاد ماكنتوش رباطة جأشـه ، واستطاع أن يشـــعر بتسرية إذ راح يراقب هـــذا الكهـــل المتغطرس .. وكان يعلم أن « مانوما » يجلس فى مكان ما ، يتحين فرصته !

***

وظل ووكر يربح اللعبة بعد الأخرى . وفى النهاية ، وضع ما كسبه فى جيبه وهـــو جـــذل فرحـــان ، وقال لماكنتوش : « يجب أن تكبر ســـنا قبل أن تستطيع مجاراتى فى اللعب يا ماك ، لأنى فى الواقع موهوب بالسليقة فى لعب الورق ! » .

ــ لا أعرف أن من المواهب أن يأتى إليك الورق جزافا !

Lobloo
www.dvd4arab.com

ـ الأوراق الرابحة تأتى للاعب الماهر ، ومع هذا فقد كان فى استطاعتى أن أكسب لو لعبت بورقك !

وأخذ يروى قصصا طويلة عن مختلف المناسبات التى لعب فيها الورق مع لاعبين مشهورين بإتقانهم للعب وتوسلهم بالاحتيال والنصب ، فكانت النتيجة أنه أخذ منهم كل أموالهم . وظل يفخر ويزهو ويمدح نفسه ، وكان ماكنتوش يصغى باهتمام ، لأنه يريد أن يغذى كراهيته له ، فكانت كل كلمة يقولها ووكر وكل إيماءة منه تزيد فى بغضه له . وأخيرا نهض ووكر وتثاءب بصوت عال ، وقال : « سأذهب للنوم لأن أمامى يوما طويلا غدا ! » .

ـ ما الذى ستفعله ؟

ـ سأذهب إلى الجانب الآخر من الجزيرة . ولذلك فسأخرج فى الساعة الخامسة صباحا ، ولا ينتظر أن أعود فى موعد العشاء ، بل سأعود فى ساعة متأخرة !

وكانا يتناولان طعام العشاء عادة فى الساعة السابعة مساء .

فقال ماكنتوش : « فليكن العشاء فى الساعة السابعة والنصف ! » .

ـ أظنه موعدا مناسبا .

وراقبه ماكنتوش وهو ينفض بقايا التبغ من غليونه ، فإذا حركاته خشنة وحيويته طاغية . وكان من الغريب حقا التفكير



فى أن الموت مسلط فوق رأسه .. وما لبثت أن لمعت فى عينى ماكنتوش الباردتين الكئيبتين ابتسامة باهتة ، وقال : « هل تحب أن آتى معك ؟ » .

ـ لماذا بالله أحب ذلك ؟.. إننى سأستخدم الفرس ، ويكفيها أن تحملنى ، وهى لا تود أن تجرك فى طريق طوله ثلاثون ميلا !

ـ لعلك لا تدرك تماما ما هو الشعور السائد فى (ماتوتو) ، وأعتقد أنه من الخير أن أذهب معك !

فانفجر ووكر ضاحكا فى استهتار ، وقال : « إنك لخليق بأن تكون ذا نفع كبير فى أى مأزق . أما أنا فلست أجيد إطلاق الساقين للريح ! » وهنا انسابت الابتسامة من عينى ماكنتوش إلى شفتيه ، فإذا بهما تختلجان بشدة . وقال باللاتينية : « من أراد الله أن يقضى عليه ، بعث الغرور فى نفسه ! » . فتساءل ووكر : « ما هذا بحق الجحيم ؟ » ، فأجاب ماكنتوش وهو يغادر المكان : « عبارة لاتينية ! » .

وأخذ يضحك فيما بينه وبين نفسه ، وقد تغير مزاجه . لقد بذل كل ما كان فى وسعه ، وأصبحت المسألة ـ بعد هذا ـ فى يد القدر !

ونام ماكنتوش فى هذه الليلة نوما عميقا لم يستمتع به منذ أسابيع . وعندما استيقظ فى صباح اليوم التالى خرج إلى الفضاء . وشعر بعد هذه الليلة الطيبة ببهجة كبيرة لبرودة هواء الصباح الباكر . وتراءى له البحر أكثر زرقة ، والسماء أكثر صفاء منها فى أغلب الأيام ، والريح رطبة ، وكانت ثمة

www.dvd4arab.com

تشعريرة تسرى فى سطح البركة كلما مس النسيم ماءها ، فبدت كمخمل جرت عليه الفرشاة فى اتجاه عكسى . وشعر بنفسه أقوى وأكثر شبابا من ذى قبل . ولهذا بدأ عمله اليومى بحمية ونشاط . وعاد إلى النوم بعد الغداء . فلما كان الأصيل ، أسرج الجواد ، وقام بجولة خلال الشجيرات . وخيل إليه أنه يراها بعينين جديدتين . وشعر بأنه فى حال طبيعية أكثر من ذى قبل ، وإن كان الغريب فى الأمر أنه استطاع أن يقصى ووكر عن تفكيره ، كأنما لا وجود له فى حياته!

وعاد فى أواخر الأصيل ، وهو يشعر بالحرارة بعد هذه النزهة بالجواد ، فدخل الحمام مرة أخرى ، ثم جلس فى الشرفة يدخن غليونه ، ويرقب النهار وهو يتراجع ويختفى وراء البحيرة .. كانت البحيرة تبدو جميلة للغاية فى وقت الغروب ، بفضل ما كان يضفيه عليها الغروب من ألوان وردية وقرمزية وخضراء . وشعر بالهدوء ، واطمأن ، وارتاح للعالم ولنفسه . وعندما جاء الطاهى يعلن أن طعام العشاء قد أعد، ويسأله عما إذا كان يرجىء إعداد المائدة ، ابتسم له ماكنتوش بود ، ثم نظر إلى ساعته وقال : « إنها الآن السابعة والنصف: فلا داعى للانتظار ، إذ ليس بوسع أحد أن يحدس متى يحضر الرئيس » . فأومأ الطاهى برأسه . ورآه ماكنتوش يجتاز الفناء حاملا وعاء مملوءا بالحساء ، يتصاعد منه البخار . فقام بتكاسل ، وذهب إلى غرفة الطعام ، وتناول عشاءه .

ترى هل وقع الحادث ؟.. كان عدم التأكد مثيرا للاهتمام ، فأخذ ماكنتوش يضحك فى نفسه فى صمت ، لا سيما وأن



الطعام لم يبد رتيبا كالعادة . ومع أنه كان يضم قطعا من السجق — وهو صنف يلجأ الطاهى إلى تقديمه عندما تخونه قوة الابتكار — إلا أن السجق لاح — فى هذه المرة — لذيذا ، طريا ، حريفا !.. حتى إذا انتهى من تناول العشاء نهض ومشى يتهادى إلى كوخه ليحضر كتابا ، وقد أحب الهدوء الشامل ، لا سيما وقد أخذ الليل يخيم ، وبدأت النجوم تتألق فى السماء .. وصاح يطلب مصباحا ، فلم تمض لحظة حتى جاء الصينى يدب على قدميه الحافيتين . وتبدد الظلام بالنور الذى ترامى من المصباح الذى حمله .

ووضع الخادم المصباح على المكتب ، وتسلل بغير صوت خارجا من الغرفة . وإذا بماكنتوش يقف فجأة وكأنه تسمر فى مكانه ، فقد رأى بين الأوراق المتناثرة مسدسه . فأخذ قلبه ينبض فى ألم ، وتصبب العرق منه .. إذن فقد وقعت الواقعة !

والتقط المسدس بيد مرتعشة ، فرأى أن أربعة خزانات من خزانات رصاصه فارغة . ووقف فترة لا ينبس ببنت شفة ، ثم وجه بصره فى شك إلى الليل البهيم ، ولكنه لم ير أحدا . فأسرع ووضع أربع رصاصات فى الخزانات الفارغة ، ودس المسدس فى درج مكتبه ، وجلس ينتظر !.. ومرت ساعة ، ثم أخرى ، دون أن يحدث شىء . وجلس إلى مكتبه وكأنه يكتب ، ولكنه لم يكتب ولم يقرأ ، وإنما ظل ينصت وقد أرهف أذنيه لعله يسمع صوتا آتيا من بعيد . وأخيرا سمع

Looloo
www.dvd4arab.com

وقع خطوات مترددة ، فعرف أن صاحبها هو الطاهى الصينى، فناداه : « آه سونج ! » .

وجاء الخادم فوقف لدى الباب ، وقال : « لقد تأخر الرئيس كثيرا، وأصبح الطعام غير ملائم !» . فتفرس ماكنتوش فيه ، وساءل نفسه : أترى الطاهى يعرف ما حدث ؟.. وهل سيدرك — عندما يعرف — نوع العلاقة التى كانت بينه وبين ووكر ؟.. ولكن الطاهى الصينى كان يعمل فى صمت وخفة ، والابتسامة مرتسمة على شفتيه . فمنذا الذى يستطيع أن يجزم بما يدور فى خلده ؟

وقال ماكنتوش أخيرا : « أعتقد أنه تناول العشاء فى الطريق، ولكن عليك أن تحتفظ بالحساء ساخنا ، على أية حال ! » .

* * *

وما ان انتهى ماكنتوش من قوله هذا ، حتى انقطع حبل الصمت المخيم ، إذ سمعت أصوات مرتبكة ، وصيحات ، ووقع خطوات سريعة لأقدام عارية . ودخل لفيف من الأهالى إلى الفناء — رجالا ونساء وأطفالا — فازدحموا حول ماكنتوش، وتحدثوا جميعا فى وقت واحد . فكان حديثهم غير مفهوم .. كانوا مهتاجين ومذعورين .. وكان بعضهم يبكى !.. فشق ماكنتوش طريقا وسطهم ، وذهب إلى الباب . ومع أنه لم يفهم كلام الأهالى ، إلا أنه كان يعرف تماما ما حدث . وما أن وصل إلى الباب ، حتى وصلت — فى الوقت ذاته — مركبة جلس فيها شخصان يحاولان أن يحملا ووكر . وقد أحاط بالمركبة



بعض الأهالى ، كما كان أحدهم يمسك بمقود فرس «ووكر» .. واقتيدت الفرس إلى الفناء ، وجرى الأهالى وراءها ، فصاح بهم ماكنتوش ليوقفهم . وظهر الشرطيان فجأة ، ولا يعلم إلا الله من أين أتيا ، وأخذا يدفعان الأهالى بعنف ويبعدانهم .

وفهم ماكنتوش من الأحاديث المختلطة أن بعض الصبية كانوا يصيدون السمك ، وبينما هم فى طريق عودتهم إلى قريتهم ، التقوا بالمركبة ، وكانت الفرس ترعى . ولم يستطيعوا أن يتبينوا فى الظلام غير جسد المدير الضخم المتشح بالبياض غارقا بين المقعد ومقدمة المركبة ، فظنوا فى بداية الأمر أنه مخمور ، فأخذوا ينظرون بحزن ، ولكنهم سمعوه يئن ، فاعتقدوا أن فى الأمر شيئا . وهرولوا إلى القرية طالبين النجدة، وعندما عادوا ومعهم نحو خمسين شخصا ، اكتشفوا أن ووكر مصاب بالرصاص !

وتملكت ماكنتوش موجة من الرعب فجأة ، وساءل نفسه : هل مات الرجل ؟.. ولكن ، كان لا بد من نقله من المركبة قبل كل شىء . وكان الأمر عسيرا ، نظرا لضخامة « ووكر » . وقد اقتضى رفعه من المركبة تعاون أربعة رجال أقوياء . وعندما اهتز جسده ، أطلق صرخة مكتومة ، فعرف الجميع أنه لم يزل حيا . فحملوه ودخلوا به المنزل وصعدوا إلى الطابق الأعلى ، حيث وضعوه فى الفراش ، وهنا تمكن ماكنتوش من رؤيته ، فقد كان كل شىء يبدو غير واضح فى الفناء الذى لم يكن مضاء بغير ستة من المصابيح التى تستخدم فى الأماكن الخلوية .. وكانت ثياب ووكر البيضاء ملطخة بالدماء ، وقد

www.dvd4arab.com

أخذ الرجال الذين حملوه يفركون أيديهم ليزيلوا ما لصق بها من دماء لزجة ، يمسحونها فى مآزرهم .

ورفع ماكنتوش المصباح .. أبدا لم يتوقع أن يرى ووكر فى مثل هذا الشحوب .. وكانت عيناه مغلقتين ، ولكنه كان يتنفس ، كما كان نبضه محسوسا ، وإن تجلى أنه كان يعالج سكرات الموت !.. واستولى الرعب على ماكنتوش . ورأى الكاتب — الذى كان من أبناء الجزيرة — فطلب بصوت أحاله الذعر أجش ، أن يذهب إلى الصيدلية ويأتى بمعدات الحقن .. وأحضر أحد الشرطيين زجاجة من الويسكى ، فصب ماكنتوش قليلا منها فى فم الكهل ..

وكانت الغرفة مزدحمة بالأهالى الذين جلسوا على الأرض فى هلع ، لا يتبسون ببنت شفة ، وإن راح يصدر من أحدهم — بين الحين والآخر — عويل مرتفع . واشتدت حرارة الجو ، ولكن ماكنتوش شعر بالبرد ، فاذا يداه وقدماه باردة كالثلج .. وراح يبذل مجهودا عنيفا ، لكى لا تدب القشعريرة فى جميع مفاصله . ولم يكن يدرى ماذا يفعل ، لا ولا كان يعرف ما إذا كانت الدماء ما تزال تنساب من ووكر ، وإذا كانت كذلك فانه لم يكن يدرى كيف يوقف النزيف !

وأحضر الكاتب إبرة الحقن ، فقال له ماكنتوش : « احقنه أنت ، فانك أكثر منى مرانا على هذا العمل ! » . وراح يعانى من دق عنيف فى رأسه ، وكأن أشياء ضارية تجاهد محاولة الخروج من يافوخه . وأخذ الجميع يرقبون أثر الحقنة ..



ولم يلبث ووكر أن فتح عينيه فى بطء .. ولاح أنه لم يعرف أين كان !.. وقال ماكنتوش : « الزم الهدوء ، فأنت الآن فى دارك ، وفى أمان تام ! » فارتسم على شفتى ووكر شبح ابتسامة ، وقال فى همس : « لقد ظفروا بى ! » .

— سأحمل جرفيس على إرسال زورقه البخارى إلى ( آبيا ) فى الحال ، ولن ينتصف النهار غدا حتى يكون الطبيب قد حضر .

وسادت فترة صمت طويلة ، أجاب بعدها الكهل : « سأكون قد مت عندئذ ! » . وتبدى الجزع على وجه ماكنتوش الشاحب ، ولكنه تظاهر بالضحك وقال : « ما هذا الهراء ؟.. التزم الهدوء ، وسوف تتحسن سريعا ! » .

— أعطنى شرابا !.. جرعة قوية !

فصب ماكنتوش — بيد مرتعشة — قدرا من الويسكى ، ومثله من الماء ، وظل ممسكا بالكأس بينما راح ووكر يشرب بلهفة . والظاهر أن الجرعة أنعشته ، فأطلق زفرة طويلة ، وبدا شىء من الحمرة يدب فى وجهه المكتنز الضخم . وشعر ماكنتوش بأنه عديم الحيلة إلى أبعد حد ، فوقف وأخذ يحملق فى الكهل . ثم قال : «لو أنك أبلغتنى ما ينبغى أن أفعل لفعلته !»

— ليس هناك ما يعمل غير أن تدعنى وشأنى .. فقد انتهيت !

وكان منظره يدعو إلى الشفقة ، وهو مسجى على الفراش الكبير بجسده الضخم المترهل ، وقد بدا شاحب اللون ، ضعيفا إلى حد تدمى له القلوب . وعندما استراح ، ظهر أن

www.dvd4arab.com

عقله قد صحا إلى حد ما ، إذ قال : « لقد كنت على حق يا ماك إذ حذرتنى ! » .

ـ ألا ليتنى ذهبت معك !

ـ إنك فتى طيب يا ماك ، وعيبك الوحيد هو أنك لا تشرب الخمر !

وسادت فترة أخرى طويلة من الصمت ، ثم اتضح أن ووكر كان يحتضر من جراء نزيف داخلى . ولم يصعب على ماكنتوش برغم جهله أن يدرك أنه لم يبق فى عمر رئيسه أكثر من ساعة أو ساعتين ، فوقف بجوار الفراش جامدا ، دون حراك . وظل ووكر نحو نصف ساعة راقدا ، مغلق العينين . وأخيرا فتحهما ، وقال ببطء : « سيمنحونك منصبى ، وقد قلت لهم فى المرة الأخيرة ـ التى ذهبت فيها إلى آبيا ـ إنك صالح .. فأتمم الطريق الذى بدأته ، فاننى أحب أن أتصور أنه سينتهى بأكمله ، ويدور حول الجزيرة ! » .

ـ لست أريد منصبك ، ولسوف تتحسن حالك !

فهز ووكر رأسه فى عناء وقال : « اننى أخذت نصيبى .. عاملهم برفق ، فان هذا أمر مهم .. إنهم أطفال ، ويجب أن تذكر هذا على الدوام !.. يجب أن تكون حازما معهم ، ولكن من الواجب أن تكون رفيقا بهم ، وأن تكون عادلا كذلك! .. اننى لم أجن من ورائهم بنسا واحدا ، ولم أقتصد مائة جنيه فى العشرين عاما التى قضيتها فى خدمتهم !.. إن الطريق شىء عظيم ، فأتممه ! » .



وصدر عن ماكنتوش ما يشبه التنهد ، بينما واصل ووكر حديثه : « إنك فتى طيب يا ماكنتوش ، وقد أحببتك على الدوام ! » . وأغلق عينيه فظن ماكنتوش أنه لن يفتحهما بعد ذلك . وكان يشعر بجفاف فى فمه ، حتى أنه تاق إلى أى شراب .. ووضع الطاهى الصينى مقعدا له فى هدوء ، فجلس بجوار الفراش وانتظر .. ولم يدر كم من الوقت انقضى عليه فى هذه الجلسة ، وكأنما لم تكن لليل نهاية .. وفجأة ، أصيب أحد الجالسين بنوبة من التشنج لم يستطع لها كبتا ، فأخذ يجهش بالبكاء بصوت عال وكأنه طفل . وعندئذ فطن ماكنتوش إلى أن الغرفة كانت مزدحمة بالأهالى ، وقد جلسوا جميعا متربعين على الأرض ـ رجالا ونساء ـ يحملقون فى الفراش . فصاح : « ماذا يفعل كل هؤلاء الناس هنا ؟.. ليس هذا من حقهم ، فأخرجوهم !.. أخرجوهم !.. أخرجوهم ! »

والظاهر أن هذه الكلمات أيقظت ووكر ، إذ فتح عينيه مرة أخرى ، وأراد أن يتكلم .. ولكنه كان ضعيفا ، حتى لقد اضطر ماكنتوش إلى أن يرهف أذنيه ليلتقط ما كان يقول : « دعهم يمكثوا !.. أنهم أبنائى ، وينبغى أن يكونوا هنا ! » .

فاستدار ماكنتوش إلى الأهالى وقال : « امكثوا .. فهو يريد ذلك ... ولكن اجلسوا فى صمت ! » .. وارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه ووكر ، وهمس : « اقترب منى ! » . فمال ماكنتوش عليه .. وكانت عينا الرجل مغلقتين ، والكلمات تخرج منه وكأنها تنهدات الريح خلال أشجار جوز الهند !.. وقال : « اعطنى جرعة أخرى من الشراب . فان

www.dvd4arab.com

لدى ما أريد أن أقوله ! » . فأعطاه جرعة من الويسكى لم يخففها بالماء .. واستجمع ووكر قواه ، وبذل فى ذلك آخر مجهود فى جعبة إرادته ، ثم قال :

ـــ لا تحدث ضجة من أجل حادثتى هذه ، ففى عام ١٨٩٥ ـــ عندما قامت الاضطرابات ، واغتيل البيض ـــ جاء الأسطول وضرب القرى بالقنابل ، فقتل كثيرون ممن لم يكن لهم ناقة ولا جمل فى الأمر .. ان رجال الحكم فى ( آبيا ) أغبياء ، وإذا أقدموا على شىء ، فسوف لا ينزل عقابهم بغير الأبرياء .. ألست أريد معاقبة أحد ؟

وسكت برهة ليستريح ثم قال : « يجب أن تقول انها حادث لا يلام أحد عليه .. عدنى أن تفعل هذا ! » .

ـــ سأفعل كل ما تريد !

ـــ يا لك من فتى طيب .. أنت من خير الناس .. وهم أطفال ، وأنا أبوهم ، والأب لا يدع أطفاله يقعون فى المآزق إذا وسعه ذلك !

وصدرت من حلقه ما يشبه الضحكة وقال : « إنك رجل متدين يا ماك ، فما رأيك فى الصفح عنهم ؟ » .

وظل ماكنتوش برهة لا يحير جوابا ، وشفتاه ترتجفان .. وأخيرا قال :

ـــ هل يغفر لهم لأنهم لا يعرفون ما يصنعون ؟



ـــ أجل .. فليغفر لهم ! لقد أحببتهم ... وكنت ـــ كما تعلم ـــ أحبهم على الدوام !

وتنهد .. وراحت شفتاه تتحركان ببطء ، مما اضطر ماكنتوش إلى وضع أذنه على مقربة منهما ، لكى يستطيع السمع .. وكان ووكر يقول : « أمسك يدى ! » . فشهق ماكنتوش ، وخيل إليه أن قلبه كاد يتوقف .. وأمسك بيد الكهل ، فاذا هى باردة وضعيفة وخشنة .. وظل ممسكا بها ، إلى أن قفز فجأة من مقعده ، عندما سمع حشرجة طويلة .. وكانت حشرجة مخيفة ، رهيبة !.. ثم مات ووكر !

وأخذ الأهالى يصرخون بأصوات عالية ، والدموع تجرى على خدودهم . وراحوا يضربون صدورهم بأيديهم .

وخلص ماكنتوش يده من يد الرجل الميت ، وسار مترنحا ـــ وكأنه مخمور ـــ حتى خرج من الغرفة ، فسعى إلى الدرج المغلق فى مكتبه ، وأخذ منه المسدس . وقصد نحو البحر ـــ ثم سار إلى البركة ، وأخذ يخوض الماء فى أناة وحذر ، حتى لا يتعثر فى صخرة مستترة . وظل هكذا إلى أن بلغت المياه إبطيه . وإذ ذاك وقف ، وأخرج المسدس ، وأطلق رصاصة على رأسه !

وبعد نحو ساعة ، كانت أسماك القرش السمراء تتخبط وتتقاتل فى البقعة التى سقط فيها !

« تمت »

Looloo
www.dvd4arab.com

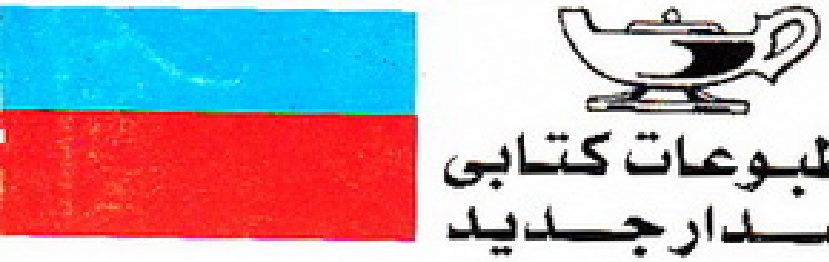

## مطبوعات كتابى
## إصـــدار جـــديـد

**عزيزى القارئ :**

يضم هذا الكتاب ثلاثًا من قصص مؤلفها الروائى العالمى « سومرست موم » ، نشر كلاً منها فى مجموعة من مجموعات قصصه القصيرة : فالقصة الأولى مأخوذة من مجموعته التى أطلق عليها (**AH KING** ) .. والقصة الثانية من مجموعته التى أطلق عليها (**THE GASUARINA TREE** ).. أما القصة الثالثة فمأخوذة من مجموعة ثالثة أطلق عليها مؤلفها عنوان (**THE TREMBLING OF A LEAF**)

وسوف ترى حين تقرأ القصص الثلاث ، كيف برع مؤلفها « موم » فى اختيار الخاتمة لكل منها : ففى القصة الأولى نرى كيف أحاطت الزوجة المفتونة بالفتى العفيف ، وضيقت عليه الخناق ، فلم يكن أمامه سوى أن يستسلم !.. وفى القصة الثانية نرى البطل جبانًا خسيسًا يتسامح ويتستر على من غدر به .. وفى القصة الثالثة نرى بطل القصة ماكنتوش يوقن من أن الشخص الثانى فى القصة ، وهو المدعو ووكر ، سيقتل فى ليلة معينة ، فيعمد إلى إثبات وجوده فى داره : بأن يدير لحنًا على الجراموفون ، حتى إذا ما قتل ووكر أخيرًا ، يتوقع القارئ أن يغتبط ماكنتوش لتخلصه من رئيسه الفظ المغرور ، لاسيما وأنه سيخلفه فى منصبه ، ولكن ..

لكنى لن أفسد عليك الخاتمة التى ابتكرها (موم) لهذه القصة !

ولن أتركك بعيدًا عن هذه القصص الثلاث أكثر من ذلك ، فلأتركك كى تشرع فى قراءتها واحدة بعد الأخرى .

حلمى مراد